808.88-02/03
سجل تحت رقم 1759
بتاريخ 31 ماي 2008
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة

موسومة :

الأسلوب والأداء
دراسة صوتية تباينية في القراءات القرآنية

تخصص: القراءات القرآنية وعلم الأصوات

إعداد الطالب:
خير الدين سيب

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د: حسين رضوان النجار رئيسا

أ.د: محمد عباس مشرفا ومقررا

أ.د: إبراهيم قدور عضوا مناقشا

أ.د: سالم علوي عضوا مناقشا

د. سيدي محمد غيثري عضوا مناقشا

د. زين الدين مختاري عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1424 ـ 1425هـ * 2003م - 2004م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح والدي في الخالدين

وإلى والدتي أطال الله عمرها

وإلى زوجي وأبنائي

أهدي إليهم جميعا ثمرة هذا الجهد العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ...وبعد.

فإن اهتمامي بالقرآن الكريم وتنبُّهي إلى الاختلاف في قراءة بعض ألفاظه يعود إلى مرحلة الصبا حين كنت طفلا أتردّد على الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم ، وقد شدّ انتباهي هذا الاختلاف الذي كنت أجهل سببه ومصدر تفسيره وتعليله ، فتساءلت أليس القرآن واحدا ؟ وكبر التساؤل وازداد معه الفضول بمرور الأيام إلى أن فتح الله عليّ بنعمة الدراسات العليا — ونعمه لا تحصى — فأنجزت في هذا المضمون رسالة الماجستير عن :" الفروق الصرفية والنحوية بين القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية " ، وبقي الجانب الصوتي لتغاير القراءات لغزا يؤرّقني ، أَلَه بُعْد دلالي ؟ بمعنى آخر : أيكون لهذا التغاير الصوتي علاقة بالأسلوب وما يؤدّيه من معنى ؟ وما دور الجانب الأدائي (الصوتي) في إبراز هذه المعاني ؟، وهل يُمكّن تسخير الأدوات التقنية التي أحدثتها التكنولوجية المعاصرة من الوقوف على الدور الوظيفة العلمية في تحديد نوع الأسلوب وإبراز خصائصه ؟ هذا الإشكال بتساؤلاته دفعني دفعا إلى خوض غمار البحث من جديد في مصنفات القراءات القرآنية والدراسات الصوتية التي أُنجزت في هذا المجال ، خصوصا بعدما أسند إليّ تدريس علم الأصوات في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أبي بكر بلقايد ، وعلم القراءات القرآنية لطلبة الماجستير بقسم العلوم الإسلامية بجامعة وهران .

إن الدراسات اللغوية والأساليب القرآنية وروافدها الأدائية تعتمد على قرائن مادية لغوية طغى عليها جانب استعمال الأدوات في معظمها والجانب الأدائي في شموليّته ، من هذه

فجاء البحث – بقسميه النظري والتطبيقي – فريدا في طرحه وطريقة تناوله والتي أعرضت عنها الدراسات السابقة أو قصرت عن تحقيقه .

وكانت عدّتي في إنجاز هذه الرسالة مجموعة من المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي تنوعت بتنوّع مباحثها ، فمنها كتب اللغة والنحو ، والتفسير ، والقراءات وتوجيهها ، والبلاغة ، وعلم الأصوات ، فمن كتب اللغة : كتاب سيبويه ، والخصائص لابن جني ، ومن كتب معاني القرآن : معاني القرآن للفراء و معاني القرآن للزجاج ومعاني القرآن للنحّاس ، ومن كتب التفسير:جامع البيان للطبري ، والكشاف للزمخشري ، والبحر المحيط لأبي حيان ، ومن كتب القراءات وتوجيهها : كتاب السبعة لابن مجاهد ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ، وإتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه، والحجة للقراءات السبع لأبي علي الفارسي ، والمحتسب لابن جني ، ومن كتب البلاغة : نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والإيضاح للقزويني ، ومن كتب علم الأصوات عدد كبير أخص بالذكر منها : الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ، ودراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار ، وعلم الأصوات لكمال بشر، ومن وظائف الصوت اللغوي لأحمد كشك ، والصوتيات العربية لمنصور الغامدي ، واللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لوليد العناتي ، مع بعض المراجع الأجنبية باللغتين الفرنسية والإنجليزية والتي أثبتناها في ثنايا البحث وفهرست المصادر والمراجع والبرنامج التطبيقي المسمى محلل الصوت (SPEECH ANALYZER) .

وأما الصعوبات التي اعترضتني أثناء إنجازي للبحث فأذكر منها ما يأتي :

أولا : إن طبيعة الـــموضوع استدعت وقتا طويلا من أجل الاطلاع على الدراسات السابقة ، مما اضطرني إلى إقامة علاقات مع بعض الجامعات خارج الوطن وسافرت لأكثر من مرة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية ، وجامعة الأزهر الشريف ، وكلية دار العلوم بالقاهرة بجمهورية مصر العربية ، وكلية اللغة العربية بدمشق بسورية ، واستشرت حتى استكملت جمع الهمة ، واستقر الأمر على نوعية الدراسة حتى لا تكون تكرارا محضا لما سبق.

ثانيا : إن موضوع الرسالة له صلة وثيقة بالوحي - القرآن الكريم المصدر الرئيس للتشريع- فكان لابد من التعامل بحيطة وحذر في توثيق كل قراءة قرآنية ، والوقوف على آراء العلماء في المسألة حتى لا أقع في والزلل الزيغ.

ثالثا : صعوبة تجنب الآراء الشاذة والتي تعد — أحيانا — خروجا عن رأي الجمهور قلما يقبل أو يستساغ ، مما أنهكني في التنقيب والغوص في بطون المصادر والمراجع عسى أن أقف على الرأي الصائب والراجح .

وقد أسلمني تحقيق هدف الدراسة إلى اتباع المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة من خلال استقراء النصوص في سياقها ، وتبعا لتوجُّهات أصحابها وطريقتهم في المعرفة ، ثمّ يحلّلها مبرزا دورها في تجلية هدف البحث ، كلّ ذلك دون تمحّل في الاستقراء أو تزيّد ، وأعملت المنهج التطبيقي في الباب الثالث مع الوصف والتحليل.

وحتى تخرج هذه الدراسة بنتائج دقيقة ومحددة سرت في عرض محتواها وفق خطة انبثقت من تصنيف المادة المجموعة ، وتمثّلت في مقدمة ومدخلٍ وثلاثة أبواب وخاتمة ، فجعلت المدخل : للقراءات القرآنية وأقسامها افْـتُتِحَ بمبحث أول تناولت فيه تعريف

الجادّة ، فقد بذل جهدا مشكورا في متابعة هذه الدراسة قراءة وتصحيحا وتوجيها ، وأسمح لنفسي أن أمدح فيه حيويته ونشاطه وإخلاصه وتواضعه في المعاملة ، وقد سبق له أن أشرف على رسالتي في الماجستير، كما أتقدم بفائق التقدير والشكر إلى مدير مخبر المعالجة الآلية للغة العربية بجامعة تلمسان على ما أسداه لي من نصائح وعلى ما شدّ به همّتي من توجيهات ، وعلى ما أتاحه لي من فرصة استخدام الأجهزة المتوفّرة في مقر الخبر ، و إلى أساتذتي الذين كان لي شرف الاعتزاز بانتسابي تلميذا إليهم ، وإلى كل من قدّم لي المساعدة من قريب أومن بعيد في إنجاز هذا البحث ، فإليهم جميعا وفائي وتقديري.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وبالله وحده التوفيق

تلمسان في14 ربيع الثاني 1425هـ
الموافق 15جوان 2004م

المطلب الثاني : القراءات في الاصطلاح

أولا : الأصل الشرعي لكلمة " قراءة" :

لعل من أقدم النصوص التي أشارت إلى تسمية الاختيار في التلاوة قراءة , ذلك الحديث المشهور المروي في الكتب الصحاح ونصه:

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب قَال:سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِه , فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَة لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ,فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ ,فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّم , فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِه ,فَقُلْت: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأ,قَال:أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّم ,فَقُلْت:كَذَبْتَ ,فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ ,فَانْطَلَقْتُ بِه أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ,فَقُلْتُ :إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا ,فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرْسِلْهُ ,اقْرَأْ يَا هِشَامُ ,فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ,فَقَال رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّم:كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ,ثُمَّ قَالَ:اقْرَأْ يَا عُمَرُ ,فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي,فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّم:كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ,إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ .[1]

---

[1]- أخرجه البخاري,ومسلم, والترمذي , والنسائي, و أحمد, واللفظ هنا للبخاري وله طرق متعددة. (ينظر: أحمد بن علي العسقلاني_ فتح الباري شرح صحيح البخاري _ بيروت_دار المعرفة للطباعة والنشر _د.ط _د.ت_ ج: 9_ص:22

ثانيا : القراءات اصطلاحا:

أورد علماء القراءات جملة من التعريفات في حد القراءات القرآنية أذكرها مرتبة حسب التسلسل الزمني لوفياتهم كما يلي :

1 – تعريف أبي حيان الأندلسي [1] (ت:745هـ):

عرَّف أبو حيان القراءات في طي تعريفه للتفسير حيث قال : "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيه التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك ". ثم قال:"وقولنا :"يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن "هذا هو علم القراءات " [2]

الملاحظ في هذا التعريف أنه لم يأت به غرضا وقصدا ولكن جاء به عرضا فكان ـأي التعريف ـ أقرب إلى موضوع التجويد [3] منه إلى تعريف القراءات لذا لا ينظر إليه كحد يطلب فيه كونه جامعا مانعا .

---

[1]- هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي أثير الدين أبو حيان الأندلسي، من كبار علماء العربية والتفسير، ولد سنة 654هـ وتوفي سنة 745هـ .ينظر : الزركلي ـ الأعلام-ج:7-ص: 152.

[2]- أبوحيان الأندلسي ـ البحر المحيط ـ سوريا ـ دمشق ـ دار الفكر ـ ط .2 ـ1403هـ ـ ج :1:ص 14

[3]- يعرف التجويد بأنه : إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه . ينظر: محمد صادق قمحاوي ـ البرهان في تجويد القرآن ـ لبنان ـ بيروت ـ عالم الكتب ـ د.ط ـ د . ت ـ ص: 9ـ 10،و عبد الفتاح السيد عجمي ـ هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري ـ الرياض ـ مؤسسة الجريسي ـ ط . 1 ـ 1402هـ - ص: 37ـ38. وينظر: حسني شيخ عثمان ـ حق التلاوة ـ عمان ـ دار العدوي للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط . 3 ـ 1401هـ ـ ص: 14. وينظر الكتب المصنفة في تجويد القرآن .

2 – تعريف بدر الدين الزركشي [1] (ت: 794هـ)

عرف الزركشي القراءات بقوله : " والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما " [2] .

الملاحظ في تعريف الزركشي:

– أنه خصص القراءات بمواضع الاختلاف ولم يشر إلى مواضع الاتفاق فيها وهذا يعني أن مواضع الاتفاق ليست قراءات وإنما هي قرآن , ومواضع الاختلاف منها ما يصح كونه قرآنا ومنها ما لا يصح . [3].

– أنه لم يشر في تعريفه بوضوح إلى النقل والرواية التي هي الأصل في القراءات .

– أنه قصر الاختلاف على ما ذكر ولم يشر إلى الاختلاف في اللغة والإعراب والحذف والإثبات وهو واقع في القراءات .

---

[1]– هو بدرالدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أحد جهابذة العلماء الأثبات ومن أهل النظر و الاجتهاد وأحد الأعلام في الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين , له عدة مصنفات , ولد بالقاهرة سنة 745هـ وتوفي بها سنة 794هـ. ينظر : أحمد بن علي بن حجر _ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة _ تصحيح : سالم الكرنكوي _ الهند _ حيدر أباد _ مطبعة دائرة المعارف العثمانية _ د . ط _د . ت _ ج :3 ص: 397. وينظر : مقدمة البرهان في علوم القرآن–ج:1–ص:5 إلى 13 .

[2]– بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن _ تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم _ لبنان _ بيروت_ دار المعرفة للطباعة والنشر _ د . ط _ د . ت _ ج :1_ص : 138.

[3]– ينظر : عبد الهادي الفضلي _ القراءات القرآنية تاريخ وتعريف_جدة _ نشر مكتبة دار المجمع العلمي _ د . ط _ 1399هـ _ ص: 63.

3 – تعريف ابن الجزري[1] : (ت 833هـ)

عرف ابن الجزري القراءات بقوله : "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة ".[2]

4 – تعريف السيوطي[3] : (ت 911هـ):

عرَّف السيوطي القراءات أثناء حديثه عن أسانيد القراء حيث قال: " ...ومـــما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة , ورواية , وطريق , ووجه , فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الطرق والروايات فهو قراءة ..."[4].

فالقراءة عند السيوطي هي ما خالف فيه إمام من الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم غيرَه , مع اتفاق الطرق والروايات عليه.

ويلاحظ ما يلي :

– أن هذا التعريف إنما ساقه عرضا لا غرضا .

---

[1]– هو محمد بن محمد بن علي الجزري، ولد سنة 751هـ ، شيخ الإقراء في زمانه وصاحب المصنفات في علم القراءات منها : النشر في القراءات العشر ، غاية النهاية في طبقات القراء وغيرها ، توفي سنة 833هـ. ينظر : محمد بن الجزري _ غاية التهاية في طبقات القراء _ بيروت_دار الكتب العلمية – ط. 1 _د . ت _ ج:2 _ ص:247. ينظر : الزركلي _ الأعلام _ ج: 7ص:45.

[2]– محمد بن الجزري _ منجد المقرئين ومرشد الطالبين _ بيروت _ دار الكتب العلمية _ د. ط _ 1400 هـ _ 1980م _ ص: 3.

[3]–هـو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي جلال الدين ، محدث ومؤرخ ،وأديب ، ومصنف متفنن ولد سنة 849هـ وتوفي سنة 911هـ (ينظر : الزركلي _ الأعلام _ ج: 3 _ص: 302.)

[4]– ينظر : عبد الرحمن السيوطي _ الإتقان في علوم القرآن _ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم _ القاهرة _ دار التراث _ ط . 3 _ 1405 _ ج: 1_ص: 209 ، وينظر النسخة غير المحققة_ ج: 1 ص: 98-99.

- أن هذا التعريف إنما ساقه عن القراء عموما .

- أنه لـــم يحدد فيه ماهية القراءة من حيث هي ، إنـــما بالنظر إلى الرواية والوجه والطريق وهو ما عبر عنه بقوله :" تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة .."

5 – تعريف شهاب الدين القسطلاني [1] : (ت 923هـــ)

عرَّف القسطلاني علم القراءات بأنه: " علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله

واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات ، والتحريك والإسكان ، والفصل والاتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع ".

وقال :" علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب ، والحذف والإثبات ، والفصل والوصل، من حيث النقل ".

أو يقال : " علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقلته ." [2]

يلاحظ أن التعريف الثاني ما هو إلاّ اختصار للتعريف الأول , أمَّا التعريف الثالث فهو مطابق لما أورده ابن الجزري .

1- هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري أبو العباس شهاب الدين مقرئ محدث ،ولد سنة 851 هـــ ،و توفي سنة 923 هـــ. ينظر : الزركلي ـ الأعلام ـ ج:1ـص: 232.

2- شهاب الدين القسطلاني ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات ـتحقيق : عامر السيد عثمان وزميله ـ القاهرة – لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ د . ط ـ 1392هـــ ـ ج:1ـص: 170.

6 – تعريف طاش كبرى زاده [1]: (ت 962هـ)

قال طاش كبرى زاده معرفا علم القراءات :" هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ... وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم كلام الله من حيث الاختلافات غير المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة ." [2]

يلاحظ أن التعريف اكتفى بحصر القراءات في الاختلافات سواء أكانت متواترة أم غير متواترة واصلة إلى حد الشهرة ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه لا يريد بالشهرة في التعريف ما هو قسيم المتواتر والآحاد ، إنما يريد بالشهرة ما يقابل المتواتر ويدخل في الآحاد .

7 – تعريف الدمياطي [3]: (ت 1117هـ)

اكتفى الدمياطي ـ رحمه الله ـ عند تعريفه للقراءات بإيراد التعريف الأول والثالث مما أورده القسطلاني في كلامه الذي نقل سابقا.[4]

---

[1]– هو أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير عصام الدين طاش كبرى زاده , مؤرخ تركي الأصل ، مستعرب توفي سنة 962هـ .ينظر : الزركلي ـ الأعلام ـ ج:1ـص: 257.

[2]– طاش كبرى زاده ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط . 1 ـ1405هـ ـ ج:2ـص : 6.

[3]– هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي , شهاب الدين المشهور بالبناء , عالم بالقراءات توفي سنة 1117هـ . (ينظر : الزركلي ـ الأعلام ـ ج:1ـص:240.)

[4]– ينظر : أحمد الدمياطي ـإتحاف فضلاء البشر في القراءات الربع عشر ـ مراجعة وتصحيح علي محمد الضباع ـ مصر ـ طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي ـ د . ط ـ د . ت ـ ص: 5

8 – تعريف الزرقاني [1] : (ت 1376هـ)

قال الزرقاني معرفا القراءات : " مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالف به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها ".[2]

يلاحظ أن التعريف حصر القراءات في الاختلافات بين القراء , وأنه حصر الاختلافات في النطق بالحروف وهيئاتها , بينما الخلاف الواقع بين القراءات أعم من ذلك.

9– تعريف عبد الفتاح القاضي [3] : (ت:1403هـ)

عرَّف القراءات بأنها :" علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله." [4]

10 – تعريف محمد سالم محيسن[5]

عرَّف محيسن القراءات بأنها : " علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف بعزو النقلة ."[1]

---

[1]– هو محمد بن عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر توفي سنة 1376هـ . (ينظر : الزركلي ـ الأعلام ـ ج:6ـص:120.)

[2]– محمد الزرقاني ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ـ سوريا ـ دمشق ـ دار الفكر ـ د.ط ـ د.ت – ج:1ـص: 405.

[3]– هو عبد الفتاح القاضي , عالم بالقراءات من أهل التدقيق فيها له كتاب : البدور الزاهرة في القراءات العشر و كتاب : القراءات الشاذة وتوجيهها , من كبار علماء الأزهر توفي سنة 1403هـ .

[4]– عبد الفتاح القاضي ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية ـ ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها ـ لبنان ـ دار الكتاب العربي ـ ط . 1 ـ 1401هـ ـص: 7.

[5]– هو محمدمحمد سالم محيسن , عالم بالقراءات له مصنفات عدة منها : القراءات وأثرها في علوم العربية , و المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة وغيرها , من علماء الأزهر , معاصر .

يمكن القول أن هذا التعريف مطابق لما أورده ابن الجزري اللهم إلاّ تلك الإضافة في قوله : " من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي ".

خلاصة :

يظهر من عرض هذه التعريفات وتقييد الملاحظات عليها أنهـــا :

تتفق في ما بينها في أداء كلمات القرآن أو التلفظ بها أو نطقها .

- جلها ذكر الاختلاف[2] , وجزء منها فقط ذكر الاتفاق في كلمات القرآن [3] .

- حدد بعضها العزو للناقل [4] .
- جاءت بعض هذه التعريفات مفصلة لما أجمل في غيرها , مما جعل هذه الأخيرة محتواة في الأولى .

وعليه يمكن القول أن تعريف القراءات اصطلاحا له عناصر تحدد المعرّف , وهذه العناصر هي:

1_ مواضع الاختلاف في القراءات .

2 – النقل الصحيح – العزو للناقل – سواء أكان متواترا أم آحادا .

3 – حقيقة الاختلاف [5] بين القراءات .

1- محمد سالم محيسن _ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة _ بيروت_دار الجيل _ مكتبة الكليات الأزهرية _ ط . 2 _1984هـ _ ج:1_ص:45. والمقتبس في اللهجات العربية والقرآنية_مصر _مكتبة القاهرة _ ط . 1_ 1399هـ _ ص:66.

2- راجع التعريفات العشرة السابقة.

3- ينظر : تعريفات القسطلاني , وعبد الفتاح القاضي.

4- ينظر: تعريفات ابن الجزري , والسيوطي , و القسطلاني , وعبد الفتاح القاضي , ومحيسن .

5- حددت التعريفات حقيقة الاختلاف بين القراءات في : اللغة , والإعراب , والحذف والإثبات , والتحريك والإسكان , والفصل والاتصال, والتخفيف والتشديد وألفاظ الوحي .

ولعل التعريف الجامع لأفرادها المانع من دخول غيرها فيها هو ما جمع هذه الحدود والملاحظات وهو ما أُثْبت عند القسطلاني وعبد الفتاح القاضي .

تعريف القراءات باعتبار الفن المدون :

إذا كان العلم في اصطلاح التدوين هو :" مجموع المسائل المتعلقة بجهة مخصوصة " [1] فإن تعريف القراءات بصفته علما مدونا هو : " مـــجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى في الحذف والإثبات ، والتحريك والإسكان, والفصل والوصل, وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع ".

أو" مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى من جهة اللغة ،والإعراب ، والحذف ، والإثبات ، والفصل ، والوصل من حيث النقل ".

أو " مـــجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله ".[2]

1- ينظر : مصطفى حاجي خليفة ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ بيروت ـ دار العلوم الحديثة ـ د . ط ـ د . ت ـ ج:1 ـ ص:6 .

2- ينظر: صديق بن حسن خان القنوجي ـ أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم – دمشق – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- د.ط- 1978-ج:1-ص:43.

المبحث الثاني : أركان القراءات القرآنية و أقسامها

المطلب الأول: أركان القراءة الصحيحة و الشاذة .

إنّ الكلام عن أركان القراءة الصّحيحة وحجّيتها يعدّ من المباحث الهامّة الدقيقة لأمور منها :

أن ذلك مرتبط بكلام الله تعالى الذي:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [1]

أنّه سيترتب على هذا المبحث الحكم على بعض القراءات بأنّه لا تجوز القراءة به، إلى غير ذلك من الأحكام التي محلها كتب الفقه وعلم القراءات القرآنية.

ويعدّ هذا الكلام خطيرا إذا لم يؤيد بالدّليل المبني على الحجّة والبرهان ، وحرصا منّي على تجنب الخطأ أو ارتكاب المحظور ، فإني أعمل في هذا المبحث على جمع آراء السابقين وأقلدهم فيما كتبوه إلى حدّ كبير مع التنقيح والتعليق على كل ما يستحقّ ذلك .

1- سورة فصلت من الآية 42

أولا: أركان القراءة الصحيحة .

لقد كان جمع القرآن وكتابته في المصاحف في عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وتوزيعه على الأمصار مرجعا للناس ، إليه يصيرون في قراءاتهم وخلافهم ، وبذلك قضى على احتمالات الفرقة في الأجيال القادمة ، وانحصرت وجوه القراءات بما تواتر موافقا للمصحف العثماني ، إلاّ أنّ ناشئة نشأت لم ترجع في قراءتها إلى المقرئين الأئمّة وإنّما اكتفت بما ينطبق على الرّسم المذكور " فصار أهل البدع والأهواء يقرؤون بما لا يحلّ تلاوته وِفاقا لبدعتهم " [1].

ولما كثر الاختلاف بفعل هؤلاء " أجمع رأي المسلمين على قراءات أئمة ثقاة تجرّدوا للاعتناء بشأن القرآن الكريم ، فاختاروا من كل مصر وُجِّه إليه مصحف أئمةً مشهورين بالثّقة والأمانة في النّقل وحسن الدّراية وكمال العلم ، أفنوْا أعمارهم في القراءة والإقراء ، واشتهر أمرهم،وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم،ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم.[2]

كانت وجوه قراءاتهم ينظّمها ضابط صاغه العلماء لتمييز القراءات المقبولة عن غيرها من القراءات المردودة في شروط ثلاثة:

1- صحّة السّند بالقراءة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متواترة من أول السّند إلى آخره.

2- موافقة القراءة لرسم المصحف العثماني ولو احتمالا .

3- موافقتها وجها من وجوه العربية.

ويرى الجعبري [3] أن الشرط واحد وهو صحة النقل ويلزم الآخران [4] .

---

[1]- ينظر: أحمد البنا الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر- ص : 6 .

[2]- المرجع نفسه والصفحة.

[3]- هوأبو محمد إبراهيم بن عمر الجعبري العلامة المقرئ الشافعي ، شيخ بلد خليل ، ولد بجعبر في حدود سنة 640هـ، روى عنه السبكي، والذهبي ، من مصنفاته شرح الشاطبية ،وشرح الرائية ، تقرب تصانيفه المائة

مناقشة أركان القراءة الصحيحة

الركن الأول : صحة السند وتواتره .

لم يكتف الجمهور بصحة السند بل اشترطوا التواتر وهو : " نقل جماعة عن جماعة يـــمتنع تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه ، من غير تعيين عدد على الصحيح ."فالتواتر جزء من الحد ، لا يتصور ماهية القرآن إلا به ، وعلى هذا يكون ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن ، إلا أن بعضهم اكتفى بصحة السند إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يشترط التواتر ، واشتهر من عرف عنه ذلك في المائة الخامسة للهجرة مكي بن أبي طالب [1]، فقد قال :" القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ، وساغ وجهها في العربية ووافقت خط المصحف " [2] . وشاع هذا القول بعده حتى تبعه على ذلك بعض المتأخرين منهم المحقق ابن الجزري[3] حيث يقول :" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردُّها ولا يحلّ إنكارها ، بل هي من الأحرف السّبعة التي نزل بها القرآن ووجب على النّاس قبولها [4]....

.توفي في رمضان 732هـــ. ينظر : عبد الحي الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ــ ج 6ص: 97 و 98، وابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء –ج:1 ص: 21.

[4]- لعله يعني الرسم وموافقة العربية

[1]- سبقت ترجمته.

[2]- عبد الرحمن بن زنجلة: حجة القراءات – تحقيق : سعيد الأفغاني – بيروت – مؤسسة الرسالة –ط. 2- 1399هـــ - 1979- ج:1-ص:109.

[3]- سبقت ترجمته.

[4]- محمد بن الجزري : النشر في القراءات العشر – لبنان – بيروت –طبع دار الكتب العلمية – د.ط – د.ت– ج :1 ص: 9 و 12،وينظر:جلال الدين السيوطي- الإتقان في علوم القرآن –ج:1-ص:262، وعبد العال سالم مكرم ، وغيره – مقدمة معجم وعبد العال سالم مكرم ،وغيره – معجم القراءات –ج:1-ص:99.

وقد جمع هذه الشّروط في منظومته حيث قال:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِي *** وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ *** فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ [1]

وصحّة السّند عند ابن اجزري تعني : أن يروي تلك القراءة العدل الضّابط عن مثله كذلك حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشّأن الضّابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذّ بها بعضهم . [2] ويقول ابن جزي المالكي [3] :

"لا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاثة شروط :

أحدها: أن يوافق خط المصحف .

الثـــاني: أن ينقل نقلا صحيحا مشهورا.

الثّالث: أن يوافـــق كلام العرب ولو فـــي بعـــض اللّغات أو بعض الوجوه " [4].

و لم يشترط ابن جزي التّواتر [5] كما هو واضح من قوله ، فهو يوافق مكّي بن أبي طالب ومن يرى رأيه .ثم يتعرّض ابن جزي لقول الجمهور القائلين بالتّواتر منتقداً

---

[1]- المراجع نفسها والصفحات، وينظر : محمد إبراهيم الحفناوي : دراسات في القرآن الكريم – القاهرة – دار الحديث – د.ط- د.ت –ص: 38.

[2]- ينظر : محمد بن الجزري - النشر في القراءات العشر –ج:1-ص:13، وينظر :محمد سالم محيسن – في رحاب القرآن الكريم - ص : 417.

[3]- هو أبو القاسم محمد بن جزي من أهل غر ناطة ولد سنة 693هـ ، من أهم مصنفاته : وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ، وغيرها ، توفي سنة 741هـ ، ينظر: أحمد بن محمد المقري _ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب _ تحقيق : إحسان عباس _ لبنان _ بيروت_ دار صادر _ د.ط_ 1388هـ _ 1968م _ ج: 5، ص :514.

[4]- أبو القاسم محمد بن جزي _تقريب الوصول إلى علم الأصول _ تحقيق :محمد علي فركوس _الجزائر _ دار التراث الإسلامي _ط 1 _ 1410هـ _1990م _ص : 115.

[5]- وإلى المعنى نفسه أشار الإمام الشوكاني ، ينظر: أبو علي الشوكاني _ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول _ بيروت_دار الفكر _ د.ط_ د.ت _ ص: 30و31.، وأشار محمد المختار الشنقيطي أنّ المراد بالمشهورة القراءة المتواترة المجمع عليها ، ينظر: ابن جزي المالكي _ تقريب الوصول الى علم الأصول _ تحقيق ودراسة: محمد المختار الشنقيطي _ القاهرة _مطابع ابن تيمية _ ط . 1_ 1414هـ _ ص: 272.

إيَّاهم بقوله :"... وهذا لا يخفى ما فيه ، فإنَّ التّواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من موافقة الرسم وغيره . إذْ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – وجب قبوله والقطع بكونه قرآنا سواء أوافق الرَّسم أم خالفه... وإذا اشترطنا التّواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثّابت عن هؤلاء الأئمة السّبعة وغيرهم." [1] ثم يقول معلِّقا على شرط التّواتر: " ولقد كنت أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده" [2] .

رد: استنكر الجمهور رأي من اكتفى بصحّة السّند دون التّواتر حتى قال الإمام السفا قسي [3] :"... وهذا قول محدث لا يعوّل عليه ." [4].بل لقد قرر هذا الإمام أن : " مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدِّثين ، والقرَّاء أنَّ التَّواتر شرط في صحَّة القراءة ، ولا يثبت بالسَّند الصَّحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية." [5]، وذكر الإمام النويري [6] على شرح الشَاطبية ما يلي:"... وهذا قول حادث لإجماع الفقهاء والمحدِّثين وغيرهم ، أما القرَّاء فأجمعوا أول الزّمان

---

[1]- ينظر : محمد سالم محيسن ـ المهذّب في القراءات العشر وتوجيهها من طيبة النّشر ـ القاهرة ـ دار الأنوار لطباعة ـ ط . 2ـ 1389هـ ـ 1978م ـ ج : 1 ـ ص: 27، وينظر : وعبد العال سالم مكرم، وغيره: معجم القراءات ـ 109/1، ومحمد بن الجزري ـ طيبة النّشر ـ ج:1-ص:13.

[2]- ينظر: محمد ابن الجزري ـ النشر في القراءات العشر ـ ج:1-ص:13.

[3]- هو علي النوري السفاقسي التونسي من أهل سفاقس ، رحل إلى مصر وتصدر التدريس ببلده . كانت داره زاوية ومدرسة للطلاب العلم . وكان لا يأكل إلاّ من عمل يده ، له تآليف عدَّة ، كان مولده ووفاته بسفاقس (توفي سنة 1418هـ ـ1706م)،ينظر : خير الدين الزَّركلي ـ الأعلام ـ ج: 5 ـ ص: 18.

[4]- السفاقسي علي النوري : غيث النّفع في القراءات السّبع ـ هامش سراج القارئ المبتدي ـ القاهرة ـ طبعة مصطفى الحلبي ـ د . ط ـ 1931 م ـ ص :6 ،وينظر : ابن زنجلة : حجّة القراءات ـ ص : 13.

[5]- المراجع نفسها والصّفحات.

[6]- هو: محمد بن محمد بن علي النويري القاهري المالكي ، يكنّى بأبي القاسم ، اشتغل على علماء عصره ومهر وبرع ونظم ونثر، وكان علاّمة ، توفي بمكّة في جمادى الأولى سنة 857هـ . (ينظر : عبد الحيّ بن العماد الحنبلي ـ شذرات الذّهب في أخبار من ذهب ـ ج: 7-ص:292.

عـــلى ذلك وفي آخره ، ولم يخالف من المتأخِّرين إلاَّ البعض ".[1] وهذا حكم صحيح يقتضيه المنهج السليم في كل ما يرجع فيه إلى النقل ، وبذلك تـــمـــتاز وجوه القراءات من الأحاديث الصحيحة التي يُكْتَفَى في ثبوت صحتها بنقل العدل الضابط عن مثله في سلسلة تنتهي بالصَّحابي دون اشتراط التّواتر إلاَّ أنَّ الإمام السفاقسي يستدرك على ما قد يرد في الخاطر إزاء التّواتر بقوله: " ولا يقدح في ثبوت التّواتر اختلاف القرّاء ، فقد تتواتر القراءة عند قوم دون قوم ، فكل من القرّاء إنَّما لم يقرأ بقراءة غيره لأنَّها لم تبلغه على وجه التّواتر ، ولهذا لم يعبْ أحدٌ منهم على غيره قراءتَه لثبوت شرط صحَّتها عنده ، وإنْ كان هو لم يقرأ بها لفقد الشَّرط عنده ."[2]

---

[1]- ينظر: القاضي عبد الفتّاح ـ القراءات الشاذّة وتوجيهها من لغة العرب ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ ط.1 ـ 1401هـ ـ 1981م ـ ص : 8 و 9، وينظر:أحمد البنا الدمياطي ـ إتحاف فضلاء البشر ـ ص:6.

النويري على شرح الطيبة ـ النويري ـ محفوظ بمكتبة الأزهر برقم : 374 قراءات.

[2]- ينظر : علي النوري السفاقسي ـ غيث النّفع في القراءات السّبع ـ ص : 6 و 7 وينظر : ابن زنجلة : الحجّة في القراءات ـ ص:13 و14.

الركن الثاني : موافقة رسم المصحف العثماني ولو احتمالا.

ومعنى موافقة رسم المصحف أَنْ تكون القراءة ثابتة ولو في بعض المصاحف دون بعضها :

ـ كقراءة ﴿ ۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ [1]

بغير واو قبل السين على الاستئناف[2] ، وهي ثابتة في المصحف المدني والشامي ، وفي المصاحف الأخرى بالواو عطفا [3] .

ـ وكقراءة ﴿ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ بزيادة الباءين [4] وهي قراءة ثابتة في المصحف الشّامي والمدني. [5]

ـ وكقراءة ﴿ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ في الموضع الأخير من [6]

---

[1]- سورة آل عمران من الآية 133 .

[2]- هي قراءة نافع ، وابن عامر،وأبي جعفر.ينظر:عبد العال مكرم،وغير :مقدمة معجم القراءات_ج:2-ص: 66.

[3]- ينظر: أحمد البنا الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر : ص : 179، والقاضي عبد الفتاح : القراءات الشاذة وتوجيهها ص : 7 و 8 .

[4]- هي في المصحف " جآءُو بالْبَيِّنَـتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَـبِ الْمُنِيرِ " سورة آل عمران الآية 184.(بدون ألف بعد الواو).

[5]- قراءة ابن عامر ، وهشام ،وابن ذكوان . ينظر: عبد العال مكرم ، وغيره :معجم القراءات القرآنية _ج:2- ص:93

[6]- ينظر : أحمد الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر _ص : 183 ، وعبد الفتاح القاضي : القراءات الشاذة توجيهها_ ص : 8

[7]- وهي في المصحف :" جَنَّـتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَـرُ " سورة التوبة من الآية 100.

سورة التّوبة بزيادة مِنْ [1] فإنَّ ذلك ثابت في المصحف المكّي [2] .

إلى غير ذلك من مواضع كثيرة في القرآن اختلفت المصاحف فيها ، فوردت القراءة عن أئمَّة تلك الأمصار على موافقة مصحفهم ، فلو لم يكن ذلك في شيء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة بذلك شاذَّة لمخالفتها الرَّسم المجمع عليه ، فلا تعدُّ مخالفة الرَّسم لأحد المصاحف العثمانية اعتمادا على مصحف عثماني آخر مخالفة.

ومعنى "ولو احتمالا" ما يوافق الرَّسم ولو تقديرا ، إذْ موافقة الرّسم قد تكون تحقيقا ، وهي الموافقة الصّريحة ، وقد تكون تقديرا وهي الموافقة احتمالا .

فقد توافق بعض القراءات الرَّسم تحقيقا ، ويوافقه بعضها تقديرا نحو ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [3] فانّه كُتِب بغير ألف في جميع المصاحف . فقراءة الحذف تحتمله تحقيقا كما كتب ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [4] ، وقراءة الألف [5] محتملة تقديرا كما كتب ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ... ﴾ [6] فتكون الألف حذفت اختصارا.

---

[1]- قراءة ابن كثير ، وابن محيصن . ينظر : عبد العال مكرم ، وغيره :معجم القراءات القرآنية-ج: 3-ص:83 و أحمد الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ـص 244.

[2]- ينظر : عبد الفتاح القاضي : القراءات الشّاذة وتوجيهها ـ ص : 8.و عبد العال مكرم ، وغيره :معجم القراءات القرآنية ـج:1-ص:160.

[3]- سورة الفاتحة الآية 4.

[4]- سورة الناس الآية 2

[5] - هي قراءة عاصم ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف ، والحسين ، والمطوعي : ينظر :أحمد الدمياطي-إتحاف فضلاء البشر ـص : 122، عبد العال مكرم ، وغيره --معجم القراءات القرآنية-ج:1-ص:6.

[6]- سورة آل عمران من الآية 26

الركن الثالث: موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية .

لا شكَّ أنَّ هذا الضّابط كان مأخوذا في عين الاعتبار منذ القرن الأوّل الهجري ، بل كان السّبب الجوهري في نشأة النّحو العربي ، ولا أدّل على ذلك من هذه الرِّواية التي تذكر أنَّ أعرابيّا قدم في خلافة عمر بـــن الخطَّاب ــ رضي الله عنه ــ فقال : " مَنْ يُقْرِئني شَيْئاً مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ــصَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَأَقْرَأَهُ رَجُلٌ سُورَةَ **بَرَاءَة** فقال: ﴿ . . . أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [1] بجر كلمة (ورسوله) ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَوَ قَدْ بَرِئَ اللَّهُ مِنْ رَسُولِهِ ؟ ، إن يكن الله بريء من رسوله ، فأنا أَبْرَأُ منْه ، فقال عمر ــ رضي الله عنه ــ : ليس هـــكذا يا أعرابي ، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال: ﴿ . . أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ بالرفع ، فقال الأعـــرابي : أنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضي الله عنه ألا يُقْرِئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر بالأسود الدؤلي أن يضع النحو. [2]".

والناظر في هذه الرواية ــ وهي رواية من الرّوايات المتعدّدة في نشأة النحو ــ يرى ارتباط القراءة باللغة . فقد أدرك هذا الأعرابي بفطرته اللغوية وجه القراءة الأولى الخاطئة، ووجه القراءة الثانية الصحيحة.

إذاً الضابط قديم تحقق وجوده قبل تدوين العلماء له [3] ، ولكن الجديد في المقياس الذي ساقـــه ابن الجزري ووافقه عليه غيره هو :" موافقة العربية ولو بوجه "، ومعنى

---

[1]- سورة التوبة من الآية 3.

[2]- ينظر :ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ــ 9/1، و عبد العال مكرم وغيره :مقدمة معجم القراءات القرآنية ــ ج: 1-ص:100 وما بعدها.

[3]- ومنهم : الداني ، وأبو شامة ، ومكي بن أبي طالب ، وابن الجزري وغيرهم.

قولهم : " وافقت العربية " أن تكون مـــوافقة لوجه من أوجه النحو سواء أكان أفصح أم فصيحا ، مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضرُّ مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح لأن أئمة القراءة لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، والرّواية إذا ثبتت عندهم لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة [1] يلزم قبولها ، والمصير إليها [2] ، ومن هنا نـــشأت الخلافات الفكرية بين القراء ومعظم النُّحاة خصوصا بعدما ردَّ بعض أهل النَّحو القراءات التي لا تتَّفق مع قواعدهم وأصولهم .

خلاصة ما سبق من آراء.

هناك إجماع من العلماء على أن القراءة الصحيحة لا بدّ أن يجتمع فيها ركنان :

الأول : موافقة القراءة لوجه من أوجه اللغة العربيّة ، سواء أكان أفصح أم فصيحا، مجمعا عليه أم مختلفا فيه.

الثاني : موافقة القراءة لخط أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

ثم اختلفوا بعد ذلك في الركن الثالث ، فالجمهور من العلماء اشترط " التّواتر " وبعض المتأخّرين اكتفى بصحة السّند بدلا من التّواتر .

---

[1]- أخرج سعيد بن منصور في سننه عن زيد بن ثابت قال: " القراءة سنّة متّبعة " قال البيهقي : " أراد أن اتباع من قبـــلنا في الـــحروف سنة مـــتبعة، لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وان كان غير ذلك سائغا في اللغة ". ينظر : مناع القطان – مباحث في علوم القرآن ــ ص : 178.

[2]- ينظر : ابن الجزري – النشر في القراءات العشر ــج:1-ص:9، و عبد العال مكرم وغيره – مقدمة معجم القراءات القرآنية ــج:1-ص:100 وما بعدها، وعبد الفتاح القاضي – القراءات الشاذة وتوجيهها ــ ص : 7،ومناع القطان – مباحث في علوم القرآن ــ ص : 178.،وعبد الرحمن السيوطي – الإتقان في علوم القرآن –ج:1-ص: 101 و 102.

وأعتقد أن رأي الجمهور هو الراجح الذي لا ينبغي العدول عنه ، لأنّ الأمّة أجمعت على أنّ القرآن هو ما نُقِلَ نقلا متواترا، فالتّواتر جزء من الحدّ ، فلا يتصور ماهية القرآن إلاّ به ، وبذلك يمتاز القرآن والقراءات الصحيحة من غيرها من النقول.

ثانيا : القراءات الشـــاذة .

يتبين للباحث في ضوء عرض ضـــوابـــط القراء ة الصحيحة أنّه متى سقطت هـــذه الضوابـــط كلها أو بعضها ، أ صبحت القراء ة شـــاذة لا يُعْتَدُّ بها [1] في مجال القراء ة ، وإنْ كان يـــُعـــْتـــَدُّ بها في مـــجال اللغـــة والأحكـــام الفـــقهية - لمن يرى ذلك - ولصلتهـــا الوثيقة بصلب البث خُصص لـــها هـــذا المطلب للوقوف على تفاصيل أكثر .

تـــعريف القراء ة الشـــاذة:

أولا : لـــغـــة : الشذوذ مصدر شَذَّ يَشُـــذُّ ، وَيَشِذُّ شَذًّا وَشُذُوذًا ، فأصل الكلمة مادة (ش . ذ. ذ) ، شَذَّ عَنْهُ ويشذ شذوذا انفرد عن الجمهور ، ونذر ، فهو شاذ ، وشَذَّ الرجل إذا انفرد عن أصحابه ، وكذلك كل شيء منفرد فهو شاذ ، وكلمة شاذة .

والشـــّذَاذ : بالـــفتح والضم ما تفرق من الحـــصى ، وأَشـــَذَّ : جاء بقول شـــاذّ، والشيء نَحَّاه وأقْصـــاه.[2]

من هـــذا يتبين أن مادة (ش . ذ . ذ) تـــدور حول الندرة ، والتفرد ، والقلة ، والغربة ، والتفرق .

---

[1]- سيفرد لاحقا مبحث خاص لحجية القراءة بنوعيها الصحيحة والشاذة .

[2]- ينظر : ابن منظور : لسان العرب ـ ج: 5 -ص: 28 و 29 ، و الفيروزأبادي - القاموس المحيط ـ ج:1 -ص: 354، ومحمد بن أبي بكر الرازي - مختار الصحاح- تحقيق : مصطفى ديب البغا ـ الجزائر ـ دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط . 4 ـ 1990م ـ ص : 332.

ثانيا _ اصطلاحا: ورد ت تعريفات عديدة ومختلفة للقراء ة الشاذة نذكر منها ما يأتي :

1 – ما نقلت قرآنا آحادا ، فلفظ " نقلت قرآنا " فصل أخرج الحديث و" آحادا"فصل ثانٍ أخرج القراء ا ت المتواترة. [1]

2 – الشاذ: هو ما لم يصح سند ه .[2]

3 – القراء ة الشاذ ة :هي التي لم يثبتها قراء الأمصار ، ولا تسمى قرآنا .[3]

4 – ... فإن صحَّ إسناد ما لم يحتمله – أي رسم المصحف–وكانت موافقة للوجه الإعرابي والمعنى العربي فهي شاذة... [4]

5 _ الشاذ : ما نقل بالآحاد على أنَّه قرآن .[5]

6 _ كل قراء ة لم تتحقق فيه الأركان الثلاثة – ضوابط القراء ة الصحيحة– كلها أو بعضها فهي قراء ة شاذة مردودة.[6]

7 – الشاذ: ما اختل شرط صحته وزاد على القراءات العشر.[7]

8 – ضابط كل قراء ة تواتر نقلها ووافقت العربية مطلقا ورسم المصحف ولو تقديرا ، فهي من الأحرف السبعة ، وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ .[8]

9 – ... قولنا في الشاذ : والصحيح أنّه ما وراء العشرة .

---

[1]– ينظر :محمد عبد الله النجار – علم أصول الفقه _ القاهرة _ مطبعة محمد علي وأولاده _ ط . 5 _ 1385هـ _ 1966م ص: 68.

[2]– ينظر : السيوطي – الإتقان غي علوم القرآن _ ج : 1 . ص : 102 .

[3]– ينظر : أبو عبد الله الشريف التلمساني _ مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول _ ضبط وتعليق : الشرف قصار _ الجزائر _تيبازة _ شركة النشر والإعلام _ د .ط _ د . ت _ ص : 18.

[4]– ينظر : الشوكاني – إرشاد الفحول : ص: 31.

[5]– ينظر : عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي – شرح البنود على مراقي السّعود . ج1–ص83.

[6]– ينظر: القاضي عبد الفتاح – القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب .ص : 7.

[7]– المرجع السابق ، والصفحة نفسها ، وهو رأي القراء وبعض الفقهاء.

[8]– قاله الإمام الجعبري ، ينظر : القاضي عبد الفتاح – القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب –ص : 9 .

10 - لا يعرف خلاف بين أئمـــة الشافعية في تفسير الشاذ أنّه ما زاد على العشرة بل منهم من ضيق فقـــال :"ما زاد علـــى السبع ". [1]

11 - قال الإمام النويري [2] : " أنّ الأصوليين والفقهاء أجمعوا على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشر ، وكذلك أجمع عليه القراء أيضـــا إلاّ من لا يُعْتَدُّ بخلفه ." [3]

12- الشاذ عند الأصوليين وبعض الفقهاء هو ما سوى القراءات السبع . [4]

13 - القراءات الشواذ - في مصطلح علماء القرآن - هي التي تروى آحادا ، وتخالف خط المصحف العثماني الإمام ، ولا يمنع من وصفها بالشذوذ أَنْ تكون صحيحة السند وموافقة للعربية . [5]

تعليق :

يؤخذ من هذه النقول ما يأتي:

إن التعريفات قسمان ، قسم ذكر التعريف بالحـــد، وقسم ذكر التمثيـــل .

أ = القسم الأول : التعريف بالحد :

اشتمل هذا التعريف على أمرين اثنين :

1 – ما يتعلق بالنقل (السند) .

2 – ما يتعلق بالحكم على هذه القراء ة .

---

[1]- المرجع السابق .

[2]- سبقت ترجمته .

[3]- ينظر : القاضي عبد الفتاح : القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب .ص : 9 .

[4]- ينظر : عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي : شرح البنود على مراقي السّعود . ج1-ص : 85.

[5]- ينظر: محمد بخيت المطيعي : الكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن- القاهرة- المطبعة الخيرية- د. ط -1323هـ - ص : 20 .

1: ما يتعلق بالنقل (السند)

حصرت التعريفات النقل- السند - في العبارات التالية :

- مخالفة صحة السند أو أركان القراء ة الصحيحة .

- ما نقل آحادا من غير تواتر .

2 - ما يتعلق بالحكم على هذه القراء ة :

إن كل قراء ة اتصفت بما ورد في تعريف الحد بالنقل حكم عليها بعدم قر آنيتها لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر.

ب - القسم الثاني : التعريف بالتمثيل .

هذا النوع من التعريف ورد فيه الاتفاق على أن ما وراء القراءات السبع شاذ ، ووقع الخلاف في القراءات الثلاث المكملة للعشر ، ومن باب أولى ما وراء العشر.

وخلاصة هذه التعريفات والنقول : أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، وأن التواتر لم يتحقق إلا في القراءات السبع إ جماعا [1] إلا أنه نقل عن المحقق ابن الجزري قول يخالف ما ذكر سلفا جاء فـــيه :" متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة - السابق ذكرها - أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء أكـــانت عند السبعة أم عمن أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف. [2]

وتطبيق هذه المقاييس على القراءات القرآنية يُدخل كثيرا من القراءات غير السبعية في القراءات الصحيحة ، ويخرج عددا من القراءات السبعية من الصحة إلى الشذوذ .

---

[1]- ذكر طه حسين أن القراءات السبع غير متواترة حيث قال : " القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير ، وليس منكرها كافرا ولا فاسقا ، ولا مغتمزا في دينه ، وإنما قراءات مصدرها اللهجات واختلافها.للناس أن يجادلوا فيها ، وأن ينكروا بعضها ، وقد حاولوا فيها بالفعل وتماروا ، وخطأ فيها بعضهم بعضا، ولم نعلم أن أحدا من المسلمين كفر أحدا لشيء من هذا "ينظر : طه حسين - في الأدب الجاهلي - مصر - دار المعارف- ط .2- د . ت - ص : 95،96. ولقد ردّ العلماء رأيه وأثبتوا زيفه وبطلانه، لأنه ثبت بما يقطع الشك أن هذه القراءات السبع متصلة السند بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنها متواترة . ينظر : مقدمة معجم القراءات- ج : 1-ص:76،ويراجع شروط القراءات الصحيحة من هذا البحث .

[2]- ينظر : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر -ج: 1-ص: 9 ، والسيوطي : الإتقان في علوم القرآن ـ ج: 1-ص:99 ، ومقدمة معجم القراءات القرآنية - ج: 1-ص:111.

قال أبو شامة [1]:" لا ينبغي أن يُغترَ بكل قراءة تُعزى إلى السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أُنزلت هكذا ، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط ، وحينئذ لا ينفرد بنـــقلها مصنف عن غيره ، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يُخرجها عن الصحة. فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تُنسب إليه.

فإن القراء ة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ [2]، غير أن هؤلاء لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراء اتهم تركن النفس إلى ما نُقل عنهم فوق ما يُنقل عن غيرهم." [3].

---

[1]- سبقت ترجمته .

[2]- على الرغم من اختيار ابن مجاهد لهذه القراءات السبع ، فإن هناك قراءات أخرى منسوبة إليهم لم تصل في صحتها ودرجتها إلى مستوى القراءات التي اختارها ، ولذلك أطلق على هذه القراءات التي وردت عن طريقهم ــ ولم يتضمنها اختيار ابن مجاهد ــ قراءات شاذة . ولا شك أن هذا الشذوذ لم يتطرق إليها بسبب مخالفتهم للرسم أو انحرافها عن العربية ، ولكن بسبب الضعف في الرواية ، على أن القراءات الشاذة التي نسبت إلى هؤلاء السبعة قليلة بالنسبة إلى القراءات الشاذة الكثيرة المنسوبة إلى غيرهما ، وقد تم ترتيب القراء السبعة ترتيبا تصاعديا ، بحسب ما روي عنهم من الشذوذ في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لأبي الفتح عثمان بن جني ــ تحقيق علي النجدي ، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ــ كما يلي: 1= حمزة الزيات (ثلاث روايات)، 2= بكسائي علي بن حمزة (سبع روايات)،3= نافع بن نعيم (تسع روايات)،4= عبد الله بن عامر(اثنتا عشرة رواية)،5=) عبد الله بن كثير(ست عشرة رواية)، 6= عاصم بن أبي النجود (خمس وعشرون رواية)، 7- أبو عمرو بن العلاء (ستون رواية).ينظر هذا الإحصاء عند : عبد الصبور شاهين ــ تاريخ القرآن ــ القاهرة ــ دار الكتاب للطباعة والنشر ــ د.ط ــ 1966ــص: 11 ، ومقدمة معجم القراءات القرآنية-ج:1-ص:112.

[3]- ينظر : عبد الرحمن السيوطي ــ الإتقان في علوم القرآن- ج:1-ص:99، 100 ومناع القطان ــ مباحث في علوم القرآن ص : 176.

المطلب الثاني: أقسام القراءات القرآنية

بعد الحديث عن أركان القراءة الصحيحة، يجد الباحث نفسه مضطرا للتطرق لأقسام القراءات القرآنية لارتباطها الوثيق بما سبق وبما هو لاحق.وقد اقتصرت الدراسة على أهمِّ الأقسام التي أوردها العلماء مرتبة حسب تاريخ وفياتهم.

1 _ تقسيم ابن جني: [1] (ت 392هـ)

قال ابن جني : القراءات على ضربين :

الأول : ضرب أجمع عليه أكثر قرّاء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن مجاهد [2] كتابه الموسوم بالقراءات السبعة،وهو لشهرته غانٍ عن تحديده .

والثاني: ضرب تعدّى ذلك ، فسمّاه أهل زماننا شاذّا ، أي خارجا عن قراءة القراء السّبعة المتقدّم ذكرها [3].

يتبين من هذا أن ابن جني قسم القراءات إلى قسمين .

---

[1]- هو: عثمان بن جني الموصلي ، أبو الفتح ، الأديب النحوي الصرفي اللغوي ،له عدة مؤلفات منها : الخصائص ، وسر الصناعة ، والكافي في شرح القوافي ،والمحتسب شرح كتاب الشواذ لابن مجاهد في القراءات ، توفي ببغداد سنة 392هـ.ينظر: عبد الحيّ بن العماد الحنبلي- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب_ج:3- ص:140 و141، وابن خلكان – وفيات الأعيان-ج:3-ص: 246 و248 ، ابن النديم- الفهرست-ص:134 ، والسيوطي- بغية الوعاة-ج:2-ص:132.

[2]- هو أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي الحافظ ، ولد سنة 245 هـ ، كنيته أبي بكر ، هو شيخ الصّنعة وأوّل من سبّع السّبْعة ، توفي سنة 324 هـ (ينظر : محمد بن الجزري - غاية النّهاية في طبقات القُرَّاء –ج:1 -ص:139 وما بعدها ، وخير الدين الزّركلي- الأعلام-ج:1-ص:246.

[3]- عثمان بن جنّي : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب _ تحقيق : ناصف شلبي ،وعبد الحميد النجدي _ القاهرة_ نشر المجلس الأعلى _ د.ط _ د.ت _ ص: 32 .

الأول : القراءات المتواترة .

الثاني: القراءات الشاذة .

2 _ تقسيم مكي بن أبي طالب [1] (ت437 هـ).

قال مكي بن أبي طالب : " فإن سأل سائل فقال: فما الذي يُقْبَل من القرآن الآن فيُقْرَأُ به ؟ وما الذي لا يُقْبَل ولا يُقْرأ به ؟ وما الذي يُقْبَل ولا يُقْرَأ به ؟ فالجواب : أن جميع ما روي من القرآن على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : يُقْرَأُ به اليوم ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال :

1 _ أن يُنْقَلَ عن الثِّقاة عن النَّبي _ صلى الله عليه وسلم _ .

2 _ يكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغا .

3 _ يكون موافقا لخط المصحف .

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قُرِىء به وقُطِعَ بصحّته ، لأنّه أُخِذَ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف ... وكفر من جحده.

القسم الثاني : ما صحّ نقله عن الآحاد ، وصحّ وجهه في العربية ، وخالف لفظه خطّ المصحف ، فهذا يُقْبَل ولا يُقْرَأُ به لعلّتيْن :

أولاهما : أنّه لم يُؤْخذ بإجماع ، وإنّما أُخِذ بأخبار الآحاد ، ولا يثبت قرآن يُقْرَأُ به بخبر الواحد.

ثانيتها : أنّه مخالف لما قد أُجْمِعَ عليه ، فلا يُقْطَعُ بصحَّته ، وما لم يُقْطَعُ بصحَّته لا يجوز القراءة به ، ولا يُكَفَّرُ من جحده ، ولبِئْس ما صنع إذا جحده .

---

[1]- سبقت ترجمته .

القسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ،ولا وجه له في العربية ، فهذا لا يقبل وإنْ وافق خط المصحف. [1]

يتبيّن من تقسيم مكّي بن أبي طالب أنّ القراءات أقسام ثلاثة :

الأول: القراءات الصحيحة : وهي ما اجتمعت فيها الأركان الثّلاثة ، وهذا القسم مقطوع بقر آنيته ويكفر من جحده .

والثاني: القراءات التي نقلت عن طريق الآحاد ، ووافقت القواعد العربية ، إلاّ أنّها خالفت خط المصحف ، وهذا القسم لا تجوز القراءة به ولا يُكَفَّرُ منْ جحده .

والثالث : الشّاذ : وهو ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولكن لا وجه له في العربية ، وهذا القسم لا تجوز القراءة به ، ولا يُكَفَّرُ منْ جحده .

3- تقسيم أبي شامة [2] (ت:665هـ)

يرى أبو شامة أن كل قراءة منسوبة إلى أي قارىء من السّبعة أو غيرهم هي منقسمة إلى المجمع عليه و الشاذّ. (2)

وهذا التقسيم هو أبسط التقسيمات و أقربها للمعايير التي و ضعوها في القراءة المقبولة و المردودة ، و إن كان فيه إبهام في تعريف الشاذ ، هل هو كل ما ليس متواترا ؟ فيدخل فيه الآحاد و غيره ، أم الشاذ بمعنى المردود الذي لا نقل فيه ، إنه إبـــهام يقتضي التوضيح من أبي شامة.

---

[1]- ينظر : مكي بن أبي طالب- الإبانة عن معاني القراءات – ص: 18 ,ومحمد بن الجزري : النّشر في القراءات العشر ـج:1-ص:14.،وعبد الرّحمن السيوطي - الإتقان في علوم القرآن-ج:1-ص:101

[2]- سبقت ترجمته.

4- تقسيم السُّبْكي [1] (ت:756هـ).

قال الإمام السُّبكي : " القراءة عند القرَّاء وبعض الفقهاء ثلاثة أقسام :

1 _ متواترة : وهو السّبع.

2 _ مُختَلَف فيه بين المتواتر والصّحة كالثلاث [2].

3 _ شاذّ : وهو ما اختل فيه شرط صحّة.

وعند الأصوليين وبعض الفقهاء قسمان :

1 _ متواتر: وهو السبع .

2 _ شاذ : وهو ما سوى ذلك ". [3]

يبدو من تقسيم السّبكي أنّ هناك اتِّفاقا على النوع الأول وهو المتواتر المحصور في القراءات السّبع ، والشاذ وهو ما زاد على القراءات العشر ، واختُلِفَ في القراءات الثلاث المكمّلة للعشر ، فالأصوليون وبعض الفقهاء يُلْحِقُونَهَا بالشاذ ، بينما عدَّها القرَّاء وباقي الفقهاء قسما مستقلاً وهو ما اختُلِفَ فيه بين التّواتر الصحّة.

1- - هو تقي الدّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي علي بن تمّام السّبكي الشّافعي ، ولد سنة :683 هـ ، مقرئ حافظ أصولي لغوي نحوي ،له تصانيف عدة منها الاستنباطات الجلية ، والدقائق ، والقواعد المحررة ، صنف نحو مائة وخمسين كتابا مطولا ومختصرا لمختصر ، أنجب أولادا أعلاما ، توفي بمصر سنة :756 هـ .ينظر : عبد الحيّ بن العماد الحنبلي _شذرات الذّهب في أخبار من ذهب –ج:6-ص:180.

2- وهي القراءات الثلاث المكملة للسبع : قراءة أبي جعفر المدني (ت : 128 هـ) ، وقراءة يعقوب البصري (ت :205 هـ) ،وقراءة خلف البزار (ت: 229 هـ).

3- عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي : نشر البنود على مراقي السعود - المغرب- المحمدية- مطبعة فضالة – د.ط- د.ت- ج:1-ص:85.

5 – تقسيم جلال الدين البُلقيني [1] (ت: 824 هـ):

يرى البلقيني أن القراءات أقسام ثلاث هي :المتواتر ,و الآحـــاد ,والشاذ :

الأول : المتواتر ويتناول القراءات السبع المشهورة .

الثاني : الآحاد ويحوي القراءات الثلاثة التي هي تمام العشر، و يلحق بها قراءة الصحابة .

الثالث: الشاذ ويشمل قراءة التابعين كالأعمش [2]، و يحي بن وثاب [3], و ابن جبير [4]، و نحوهم [5].

و الذي يلاحظ في كلام البلقيني أنّه بنى تقسيمه على الاشتهار و عدمه ، فما كان أكثر شهرة ، جعله من قبيل المتواتر كالقراءات السّبع ، و ما كان دونه جعله من الآحاد كالقراءات الثّلاثة ، و ألحق بها قراءة الصّحابة ,و لعلّـــه يعني القراءة التي

---

[1]- هو جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام بن سراج الدين عمر بن أرسلان البُلقيني الشافعي، ولد سنة 763هـــ ،وأمه بنت القاضي بهاء الدين بن عقيل النحوي , نشأ بالقاهرة وحفظ القرآن وعدّة متون , برع في الفقه والأصول والعربية والتفسير والمعاني والبيان ،تولى قضاء العسكر بالديار المصرية،و توفي في 11شوال من سنة 824هـــ.ينظر : ابن رجب الحنبلي – شذرات الذهب ج:7-ص:166-167.

[2]- هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي , ولد سنة 60 هـــ يوم قتل الحسين –رضي الله عنه –، كان فصيحا لم يلحن قط ، لقي من الصحابة عبد الله بن أبي أوفى , وأنس بن مالك، و لم يثبت له سماع من أحدهما ، وتوفي سنة 148هـــ .ينظر :محمد بن الجزري- غاية النهاية في طبقات القراء-ج:1-ص:315 ، وغيره .

[3]- هو يحي بن وثاب كوفي مولى لبني كاهل من بني أسد بن خزيمة , توفي بالكوفة سنة 103هـــ . ينظر: محمد بن إسحاق النديم- الفهرست – ص:152.

[4]- وهو: أحمد بن جبير بن محمد الكوفي ، ألّف كتابا في القراءات سماه كتاب الخمسة ، أخذ عن الكسائي قراءته وخالفه في حروف يسيرة , توفي سنة 258هـــ .ينظر: محمد بن إسحاق النديم- الفهرست- ص:148، وغيره.

[5]- ينظر : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - الإتقان في علوم القرآن- ج:1- ص :99

صحّت عن بعض الصّحابة و نُقِلت عنهم كابن مسعود و أبيّ بن كعب ، وجعل الشّاذّ ما لم يشتهر كقراءة الأعمش و يحيى بن وثاب و غيرهم ...

يتبيّن من هذا التّقسيم أن القراءات الثّلاثة المكمّلة للعشر قِسْم مستقل مع أن جمهور القراء وبعض الفقهاء اعتبروها من المتواتر و ليست من الآحاد ، أو أقل ما يقال أنّـــها مختلف فيها بين التّواتر وبين الصّحّة , قال ابن الجزري: " و القول بأن القراءات الثّلاث غيـــر متواترة في غاية السّقوط ، و لا يصحّ القول به عمن يعتبر قوله في الدّين ".[1]

كما أن قراءة الصّحابـــة قسمان : قراءة مُجْمَـــعٌ عليها ، و تناقلتها الأمة بالتواتر ، لم يتواتر نقلهـــا كقراءة ابن مسعود ، و أبيّ بن كعب ، فهي عند العلماء من القراءة الشّاذّة و لو صحّ سندها .[2]

6 – تقسيم ابـــن الجزري [3] (ت:833هـــ) :

إن ابن الجزري-كما قال السّيوطي : " هو أحسن من تكلم في هذا النّوع.." – [4]فقد ذكر في كتابه النّشر أن القراءات قسمان : صحيحة و ضعيفة أو شاذة أو باطلة, [5]لكنّه في منجد المقرئين ومرشد الطالبين يجعل القسمة ثلاثية: متواترة ، وصحيحة ,وشاذّة، وهو بهذا التقسيم أكثر تفصيلا و دقّـــة و توضيحا لما أجمله في النّشر ، حيث أعطى مفهوما جديدا للصّحيح والشاذّ.[6]

و لنعقد مقارنة بين التقسيمين في الكتابين :

---

[1]– ينظر : محمد بن الجزري : النشر في القراءات العشر – ج:1– ص: 44 و 45

[2]– ينظر:محمد بن الجزري– منجد المقرئين ومرشد الطالبين– ص: 62 ،وجلال الدين السيوطي– الإتقان في علوم القرآن – ج:1– ص: 100.

[3]– سبقت ترجمته.

[4]– ينظر : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن–ج:1– ص : 101

[5]– ينظر : محمد بن الجزري : النشر في القراءات العشر – ج:1– ص:9.

[6]– ينظر : محمد بن الجزري : منجد المقرئين ... – ص: 16.

1 _ مفهوم القراءة الصحيحة في النشـــر:

قال :" هي كل قراءة وافقت العربية و لو بوجه و وافقت أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالا ، وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحـــة التي لا يجوز ردُّها و لا يـــحلُّ إنكارها." [1]

و يُلاحظ هنا أن القراءة الصحيحة عند ابن الجزري في كتاب النشر هي ما توافرت فيها ثلاثة شروط :

1- موافقـــة العربيـــة و لو بوجـــه.

2- موافقـــة أحد المصاحف العثمانيـــة و لو احتمالا.

3- صحة السند .

2 – مفهوم القراءة الصحيحة في منجد المقرئين :

أما في كتابه منجد المقرئين ، فإنه يتعرض لمفهوم القراءة الصحيحة،فيجعلها قسمين :

الأول : ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه، و وافق العربية و الرسم [2]. فهذا القسم بضوابطه موافق لتعريف القراءة الصحيحة في النشر .

الثاني : يعرّفه بأنه :"ما وافق العربية و صح سنده و خالف الرسم" [3]

و من هنا يقع اللّبس في مفهوم القراءة الصحيحة عند ابن الجزري ، لقد اعتبر في كتابه النشر أن ما خالف أحد الشروط الثلاثة ليس من القراءة الصحيحة و إنّما يُطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة [4] , و في الوقت نفسه نجده يعتبر ما خالف الرسم من أقسام القراءة الصحيحة ، مع أنه صرح بأن هذه القراءة تسمى اليوم – أي في زمنه

---

[1]- ينظر : محمد بن الجزري : النشر في القراءات العشر – ج:1- ص:9.

[2]- المرجع نفسه والصفحة .

[3]- ينظر : محمد بن الجزري : منجد المقرئين ... – ص: 16.

[4]- ينظر : محمد بن الجزري : النشر في القراءات العشر – ج:1- ص: 9 .

– شاذّة لكونها شذّت عن رسم المصحف المجمع عليه ، لكن يبقى التساؤل قائما : لم جعلها من قسيم القراءة الصحيحة ؟

إن المتتبع لرأي ابن جزري في هذين الكتابين يقف على حقيقة مؤداها أن المعيار الأول الذي يعتبره في التفرقة بين القراءة الصحيحة و غيرها إنّما هو صحّة السّند ، فهو يُفصح عن رأيه هذا عند شرحه لمقياس موافقة العربية و لو بوجه حيث قال :"... إذا كانت القراءة مما شاع و ذاع و تلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح ، إذ هو- أي الإسناد الصحيح- الأصل الأعظم و الركن الأقوم .." [1], و يزيد رأيه توضيحا بقوله :" وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم و لم يُعتبر إنْكارهم". [2] , و نَقَل عن الداني [3] قوله:"و أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن، على الأفشى في اللغة و الأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، و الأصح في النقل .. لأن القراءة سنة متبعة يلزم قَبُولها والمصير إليها". [4]

و يعرب عند رأيه أكثر و يوضحه توضيحا آخر عند شرحه لشرط موافقة أحد المصاحف ، فيقول معلقا على ذلك :".. على أن مخالف صريح الرسم في حرف مُدغم أو مُبْدل أو ثابت أومحذوف أو نحو ذلك لا يُعدُّ خلافا ، إذا ثبتت القراءة به و وردت مشهورة مستفاضة ... بخلاف زيادة كلمة و نقصانها و تقديمها و تأخيرها حتى و لو كانت حرفا واحدا من حروف المعاني فإن حكمه في حكم الكلمة لا

---

[1]- المرجع نفسه والصفحة.

[2]- لكنه في منجد المقرئين يجعل من القراءة الصحيحة ما خالف الرسم وصح سنده من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم.ينظر:محمد بن الجزري:منجد المقرئين-ص:16

[3]- هو : أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني عالم بالقراءات وله عدة مصنفات منها : التيسير في القراءات السبع، وجامع البيان , والمقنع في رسم مصاحف الأمصار توفي سنة 444هـ. ينظر:أبو الفرج الحنبلي:شذرات الذهب-ج:2- ص: 524.

[4]- ينظر : محمد بن الجزري : النشر في القراءات العشر – ج:1- ص:9.

يسوغ مخالفة الرسم فيه ..." [1] ، ونَقَلَ عن الجُعْـبُري [2] قوله :" الشّرط واحد و هو صحّة النّقل , و يلزم الآخران ، فمن أحكم معرفة حال النقلة و أمعن في العربية و أتقن الرّسم انجلت له هذه الشّبهـــة .." [3]

يتضح مما سبق أن ابن الجزري يـــجعل القراءة الصحيحة ما صحَّ سندها أولا ، ثم تأتي الشّروط الأخرى مكمِّلـــة لها ، و الدَّليل على ذلك أنه جعل القراءة الصّحيحة على قسمين،اشترط في كل قسم منها صحَّة السَّند قال :

"**الأول** ما صحَّ سندها ..ووافق العربيّة و الرَّسم و هو على ضربين:

1 - ضرب استفاض نقله و تلقاه الأئمّة بالقبول .. فهذا صحيح مقطوع به ، و هذا الضَّرب يُلحق بالقراءة المتواترة ، و إن لم يبلغ مبلغها..." [4] .

2 - و ضرب لم تتلقه الأمَّة بالقبول و لم يستفض ،و حكي عن أبي عمر بن الصلاح [5] و ابن السُّبكي [6] أنه من القراءة الشاذة وِفاقاً للبغوي [7] و الإمام السُّبكي [8].

1- ينظر:محمد بن الجزري: النشر في القراءات العشر- ج:1ص:9,وعبد الرحمن السيوطي:الإتقان-ج:1-ص: 101 .

2- هو:إبراهيم ين عمر بن إبراهيم الجعبري صاحب شرح الشاطبية المسمى كنز العمال , وكتاب عقود الجمان , وغيرها توفي سنة 732هـ .ينظر :أبو الفرج العماد الحنبلي : شذرات الذهب..- ج:3-ص:687.

3- ينظر :عبد الرحمن السيوطي- الإتقان في علوم القرآن-ج:1-ص:101.

4- ينظر : محمد بن الجزري - منجد المقرئين ... - ص: 16.

5- هو:أبو عمرو بن عبد الرحمن الشهرزوري ,له كتاب الفتاوى جمعه طلبته توفي سنة 643هـ.ينظر :أبو الفرج العماد الحنبلي - شذرات الذهب.- ج:3-ص:246.)

6- هو: سبقت ترجمته.

7- هو: سبقت ترجمته.

8- هو: سبقت ترجمته.

الثاني من القراءة الصحيحة ، ماصحّ سنده ووافق العربية و خالف الرّسم [1]".

ومما يبتغي الإشارة إليه أن ابن الجزري هنـــا - أي من منجد المقرئين - جعل القراءة ثلاثة أقسام و جعل أعلاها مرتبة القراءة المتواترة :"و هي كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية و لو تقديرا و تواتر نقلهـــا ".[2]

3- مفهوم القراءة الشاذة عند ابن الجـــزري :

القراءة الشّاذة عند ابن الجزري هي القراءة التي ورد فيها نقل و لو كان صحيحا ، و هي على قسمين :

الأول : ما صحَّ سنده و وافق العربيَّة و رسم المصحف لكنّه لم تتلقّه الأمة بالقبول و لم يستفض.

الثاني : ما صحَّ سنده و وافق العربيَّة و لكن خالف رسم المصحف..[3]

و يلاحـــظ أن في تقسيم ابن الجزري تداخلا ظاهرا بين مفهوم القراءة الصحيحة وبين القراءة الشّاذّة ، فهو يسمي القراءة شاذَّةً و يجعلها من أقسام الصحيحـــة , أما القراءة التي لم يرد فيها نقل ، فلا يدخلهـــا ابن الجزري في مفهوم القراءة الشاذّة ، و إنما هي عنده مكذوبة يُكفَّر متعمِّدها، قال : " و أمَّا ما وافق المعنى و الرَّسم أو أحدهما من غير نقل ، فلا تسمى شاذَّةً ، بل مكذوبة يُكفَّر متعمِّدها ".[4] و حاصل القول أن ابن الجزري يجعل المعيار الأساسي في التفرقة بين الصحيح وبين غيره ، إنما هو النَّقل و صحَّة السَّند ، و يعضّـــده بالشرطين الآخَرَيْن ، فما كان منقولا وصحَّ عنده فهو القراءة الصَّحيحة ، و ما خالف ذلك فهو القراءة الشَّاذَّة أو الباطلة ،

---

[1]- ينظر : محمد بن الجزري : منجد المقرئين ... - ص: 16.

[2]- ينظر : محمد بن الجزري : منجد المقرئين ... - ص: 15.

[3]- المرجع نفسه ص: 16.

[4]- ينظر : محمد بن الجزري : منجد المقرئين ... - ص:17.

و بذلك يكون قد اتّبع الْجُعْبُري في جعله الشّرط واحدا ، و هو صحّة النّقل ، و يلزم الآخران [1]

7_ تقسيم السيوطي [2] 911 هـ):

قال السيوطي " أتقن الإمام ابن الجزري هذا الفصل نقدا ، وقد تحرر لي منه أنّ القراءات أنواع :

الأول : المتواتر :وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراء على ذلك.

الثاني : المشهور : وهو ما صحّ سنده و لم يبلغ درجة التّواتر ، ووافق العربيّة والرّسم ، واشتهر عند القراء ، فلم يعد من الغلط ولا من الشّاذ ، ويُقْرَأُ على ما ذكر ابن الجزري ... ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ...

الثالث : الآحاد : وهو ما صحّ سنده ، وخالف الرّسم أو العربيّة ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، وهذا لا يُقْرَأُ به. [3]

الرابع : الشّاذ : وهو ما لم يصح سنده

---

[1]- أي الشرطان الآخران يلزمهما شرط صحة السند فهو حجة عليهما و ليسا حجـــة عليه .ينظر : عبد الرحمن السيوطي : الإتقان –ج:1–ص:101.

[2]- سبقت ترجمته.

[3]- عقد الإمام الترمذي في جامعه والحاكم في مستدركه بابا بهذا النوع من القراءات , أخرجا فيه شيئا كثيرا صحيح الاسناد وأغلبها عن الصحابة ومنهم : أبو بكر , وأبو هريرة , وابن عباس , وعائشة –رضي الله عنهم– ينظر: عبد الرحمن السيوطي – الإتقان – ج:1– ص: 215.

الآحاد المرفوع ، و الأمثلة على ما كان من هذا القسم و اعتبره بعضهم شاذا كثيرة معروفة .

تـــحـــلـــيـــل:

الظاهر من هذه التقسيمات المذكورة أنّها متقاربة كثيرا لذا يمكن القول أنّ القراءات قسمان :

الأول : قراءات صحيحة .

الثاني : قراءات شـــاذة .

القسم الأول :القراءات الصحيحة ويندرج تحته نوعان وهما :

1 ـ القراءات المتواترة : وهي ما وافق اللغة العربية ، والرسم العثماني ، ونقلت بطريق التواتر [1].

2 ـ القراءات المشهورة : وهي ما وافقت اللغة العربية ،والرسم العثماني ، وصح سندها ، إلاّ أنّها لم تبلغ درجة التّواتر .[2]

القسم الثاني : القراءات الشاذة وتندرج تحته أربعة أنواع وهي :

---

[1]- هذا النوع هو القرآن المنزّل على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويحرم جحوده ، ومن أنكره أو أنكر بعضه فقد كفر بما أُنْزِلَ على سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم.ينظر: عبد الفتاح القاضي- القراءات الشاذة وتوجيهها- ص : 6.

[2]- يندرج تحت هذا النّوع بعض كلمات مخصوصة ضمن قراءات الأئمّة العشرة. ينظر: محمد سالم محـيسن - في رحاب القرآن الكريم -ص : 427 .

1 _ الآحاد : والمراد به ما وافق اللغة العربية ، والرسمَ العثماني ، ونُقِلَ بطريق الآحاد، ولكنّه مع ذلك لم يشتهر ولم يستفض بين رجال القراءات المعنيين بهذا العلم.

2 _ الشاذ : وهو ما فقد أحد الأركان الثلاثة ، أو معظمها .

3 _ المدرج .

4 _ الموضوع .

ويذهب بعض العلماء إلى التّشديد في المسألة حيث يقولون :" إنّ التقسيم في علم القراءات تقسيم حاسم ، ليس فيه إلاّ بابان هما : المتواتر ، والشاذ ، وليست فيه تلك السّعة التي نراها في السنن، كالمتواتر والمشهور والآحاد وكذلك التقسيم إلى متصل ومنقطع ومعضل [1] وغير ذلك .

فنحن هنا أمام إثبات نص قرآني أو نفيه ، ولا نملك إزاء ذلك أكثر من القول بالثبوت أو بعدمه. فعلى هذا الرأي يمكن القول أنّ كلّ قراءة لم يثبت تواترها فهي قراءة شاذّة.[2]

---

[1]- لعلّهم يشيرون إلى تقسيم الإمام جلال الدّين السّيوطي الذي أوردناه سابقا.

[2]- هذه القراءات الشّاذّة لـــم يُدَوَّن منها أصلا إلاّ أربع قراءات وهي : قراءة يـــحي اليزيدي ، وابن محيصن ، والأعمش ، و الحسن البصري ، فيما بقيت القراءات الشاذّة الأخرى غير مدوَّنة أَصْلا ولن يجتمع منها إلاّ بضع كلمات وردت في ثنايا كتب القراءات والتّفسير.

الباب الأول :

الأسلوب والقراءات القرآنية

تمهيد : تعريفات الأسلوب

الفصل الأول : تغاير الأسلوب بين الإخبار والاستفهام في القراءات القرآنية

الفصل الثاني: تغاير الأسلوب بين الإخبار والأمر في القراءات القرآنية

الفصل الثالث : تغاير الأسلوب بين الإخبار والنهي في القراءات القرآنية

تمهيد

أولا : مفهوم الأسلوب

ثانيا : الأسلوب في الدراسات الحديثة

ثالثا : الأسلوب والدراسات القرآنية

رابعا : مفهوم الخبر والإنشاء :

الباب الأول: الأسلوب و القراءات القرآنية

تمهيد :

أولا : مفهوم الأسلوب .

إن كلمة أسلوب صارت حقلا مشتركا بين البيئات المختلفة يستعملها العلماء ليدلوا بها على منهج من مناهج البحث العلمي و يستعملها الأدباء في الفن الأدبي قصصا أو جدلا أو تقريرا ، و في العنصر اللفظي سهلا أو معقدا ،و في إيراد الأفكار منطقية أو مضطربة ، و في طريقة التخييل جميلة ملائمة أو مشوهة نابية و يتخذها الموسيقيون دليلا على طرق التلحين و تأليف الأنغام ، و مثلهم الرسامون فهي عندهم دليل على طريقة تأليف الألوان و مراعاة التناسب بينها. و هكذا حتى أصبحت كلمة " أسلوب" تكاد ترادف كلمة شخصية في المعنى ، لهذا كان لزاما علي أن أحدد مفهوم هذا المصطلح تحديدا دقيقا قدر المستطاع حتى أضع الإطار المنشود لهذه الدراسة فآثرت أن أتناوله تبعا للنقاط الآتية :

أ. لغة

ب . أصل كلمة أسلوب

ج. اصطلاحا

1. عند القدامى

2. عند المحدثين

أ. مفهوم الأسلوب لغة :

لا تشريب أن أبدأ بالإشارة للجذر اللغوي لكلمة أسلوب ، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور قوله : " يقال للسطر من النخيل و كل طريق ممتد فهو أسلوب ، فالأسلوب الطريق و الوجه و المذهب. يقال أنتم في أسلوب بسوء، و يجمع على

أساليب، و الأسلوب الطريق تأخذ فيه ، و الأسلوب الفن ، يقال " أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه " [1]

و ذكر الفيروز أبادي أن الأسلوب يطلق على الطريق و عنق الأسد ، و الشموخ في الأنف [2] .

يلاحظ في تعريف ابن منظور أن أصل الكلمة من مصدر سلب، و أنه قسم الأسلوب إلى قسمين :

قسم حسي : يمثل الوضع الأسبق للفظ ، كسطر النخيل و الطريق الممتد أو المسلوك، و الأسلوب عليه خطة يسلكها السائر و قسم معنوي هو الخطوة الثانية في الوضع اللغوي حين تنتقل الكلمات من معانيها الحسية إلى هذه المعاني الأدبية أو النفسية ، و ذلك هو الفن من القول أو الوجه و المذهب في بعض الأحيان . فإذا صح هذا الاستنباط كان للأسلوب معنى أوسع إذ يتجاوز هذا العنصر اللفظي فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير ، و بهذا يتعدى الأسلوب بمفهومه اللغوي ، و يتجاوزه إلى المعنى الاصطلاحي أو كاد[3] .

ب. أصل كلمة أسلوب :

اشتقت كلمة أسلوب في اللغات الأوربية من الأصل اللاتيني " Stilus" و هو يعني " ريشة " أو قلم ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة

1- ابن منظور ، محمد بن مكرم – لسان العرب- بيروت- دار صادر ، و دار إحياء التراث العربي – ط.1- 1300 هـ- ج: 1- ص " 456، و طبعة المطبعة الأميرية ببولاق بمصر – د.ط- 1300 هـ- ج 1- ص : 456.

2- الفيروز أبادي محمد بن يعقوب – القاموس المحيط – بيروت – دار العلم للجميع- د.ط-د.ت- ج: 1- ص: 83، و طبعة دمشق – مكتبة النوري- د.ط- د.ت- ج: 1- ص : 83.

3- ينظر : أحمد الشايب – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – ط .6-1966- ص: 41، و نور الدين السد- الأسلوبية و تحليل الخطاب- الجزائر- دار هومة – د.ط- د.ت- ج:1- ص : 129.

الكتابة ، أو هي طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة [1] ، و ارتبطت أولا بطريقة الكتابة اليدوية دالا على المخطوطات ثم أطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية فاستخدم في العصر الروماني كاستعارة تشير إلى صفات اللغة المستعملة لا من قبل الشعراء بل منذ قبل الخطباء و البلغاء...

و يستخدم أرسطو مثلا "lexis " أي لغة أو كلمة مقابل " Taxis" أي نظام التي تترجم عادة بقول أو أسلوب ، و تعني كلمة " stylos" في اللغة الإغريقية "عمودا " و من هنا جاءت تسمية زاهد متصوف "سيمون " الاستيليتا، إذ كان يعيش عل عمود قديم تقشفا و زاهدا " [2]

و في اللغة الإنجليزية فإن شكل كلمة Style مبني على أساس توهم الأصل الإغريقي لا مطابقة الأصل اللاتيني الحقيقي كما جاء في قاموس أوكسفورد [3].

ج. مفهوم الأسلوب اصطلاحا :

إن قول ابن منظور الأسلوب الفن ، أو أساليب من القول أي أفانين منه يدل على أن مفهوم الأسلوب لم يبق محصورا في التحديد اللغوي، و إنما جاوزه إلى معنى الاصطلاح أو قارب ذلك . و قد حظي مصطلح الأسلوب بنصيب كبير من التعريفات، فتشعب هذا الكم بدوره إلى اتجاهات متباينة نتيجة لاتساع المسافة التي يشغلها في ميدان الدراسة فحال ذلك دون وجود مصطلح دقيق للأسلوب [4]. بل

---

[1]- ينظر : مجدي وهبة – معجم المصطلحات الأدبية – لبنان- بيروت – مكتبة لبنان – ط .01- 1974 – ص : 542.

[2]- ينظر : مجدي وهبة – معجم المصطلحات الأدبية – ص 542 و 543، ز صلاح فضل- علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته – القاهرة – مؤسسة المختار للنشر و التوزيع – ط.2-1419 هـ-1998م- ص : 82، و نور الدين السّد الأسلوبية و تحليل الخطاب – ص 130.

[3]- ينظر: صلاح فضل – علم الأسلوب – ص : 82

[4]- ينظر: برند شبلنر – علم اللغة و الدراسات الأدبية – ترجمة و تعليق : محمد جاد الرب- القاهرة- الدار الفنية للنشر و التوزيع – د.ط- 1987 م – ص: 25.

تشكل له دلالات متعددة تتواءم مع الظرف التاريخي و تتصالح مع التحولات الثقافية و المسافات الفكرية ، و من ثم تعددت مفهوماته و تخالفت تعريفاته [1] و الحقيقة كما يقول " أنه لا يوجد حتى الآن تعريف دقيق للأسلوب كما لا توجد نظرية أسلوبية محددة، و قد جعلت هذه لحقيقة بعض مؤلفي المقدمات في علم الأسلوب يأتون في بداية شروحهم بمختارات من تعريفات الأسلوب المتضاربة " [2].

و مهمة دارس الأسلوب بهذه الأقوال تعد غاية الصعوبة من حيث اختيار مصطلح أسلوبي خاص ، فهناك مساحات شاسعة من التعريفات المتراكمة و المتناقضة، و التي تعمل على تزاحم المصطلح [3]، و على الرغم من ذلك ، فإنه لا يجب التنصل من عناء اختيار المصطلح المناسب، و إنما هو مدعاة إلى الخوض بجهد كبير في اختيار عدة مصطلحات للأسلوب و مناقشتها ، ولهذا أكتفي ببعضها لمعرفة حدوده و مجال التعامل معه في هذا البحث .

- **تعريف ابن خلدون :**

يقول ابن خلدون في مقدمته عن الأسلوب : " إنه عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه و لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ؛ و لا باعتبار إفادة أصل المعنى من خواص التركيب، الذي هو وظيفة البلاغة و البيان، و لا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض .... و إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار

---

[1]-ينظر: رجاء عيد- البحث الأسلوبي معاصرة و تراث- الإسكندرية – منشأة المعارف- د.ط- 1993م- ص:7، و محمد عبد المطلب – قضايا الحداثة عند القاهر الرجاني – القاهرة – الشركة العالمية للنشر (لونجمان)- د.ط- 1995- ص 18 و 19، و عدنان بن ذريل – اللغة و الأسلوب –سوريا – منشورات اتحاد الكتاب العربي – ط:1-1980 م – ص: 140 و ما بعدها .

[2]- برند شبلنر – علم اللغة و الدراسات الأدبية – ص: 25.

[3]- ينظر: شوقي علي الزهرة – الأسلوب بين عبد القاهر و جون ميرى دراسة مقارنة – القاهرة- مكتبة الآداب- د.ط- 1996 – ص:38، و صلاح فضل – علم الأسلوب – ص: 83 و 84.

انطباقها على تركيب خاص. و تلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب و أشخاصها و يصيرها في الخيال كالقالب و المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب و البيان، فيرصّها فيه رصًّا، كما يفعل البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام و يقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه و توجد فيه على أنحاء مختلفة "[1].

إن قول ابن خلدون يضع أمام الدارس عدة نقاط قيمة منها :

أولا : وجود الفرق بين الوجهين العلمي و الفني في تكوين الأسلوب فعلوم النحو و البلاغة و العروض تنفعنا على أنها نظريات ترشدنا في اصطلاح الكلام ومطابقته لقوانين النظم و النثر، و أما صياغة الأسلوب الجميل فهي فن يعتمد على الطبع و التمرس بالكلام البليغ[2].

ثانيا : أن أصل الأسلوب صورة ذهنية تمتلأ بها النفس و تطبع الذوق من الدراسة ، و المرانة و قراءة الأدب الجميل ، و على مثال هذه الصورة الذهنية تتألف العبارات الظاهرة التي اعتدنا أن نسميها أسلوبا لأنها دليله ، و ناحيته الناطقة الفصيحة[3].

ثالثا : أن هذه الصورة الذهنية ليست معاني جزئية ، و لا جملا مستقلة ، بل طريقة من طرق التعبير يسلكها المتكلم .

---

[1]- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد- مقدمة ابن خلدون – لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط.1- 1413هـ- 1993 م- ص : 489 و 490.

[2]- ينظر: أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله – الصناعتين- تحقيق: علي محمد البجاوي و غيره – القاهرة – عيسى البابي الحلبي و شركاه- د.ط-1971م- ص: 147، و ابن الأثير ضياء الدين : المثل السائر – تحقيق أحمد الحرفي و بدوي طبانة – القاهرة – نهضة مصر – د.ط- 1379 هـ-1959-ج : 1 - ص : 30.

[3] - ينظر : أحمد الشايب – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية – ص : 43.

يلحظ في معنى الأسلوب منذ القدم ناحية شكلية خاصة هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي تسلك لتصوير ما في النفس أو النقل إلى الغير بهذه العبارات اللغوية.

- **تعريف ابن قتيبة :**

يرى ابن قتيبة أن الأسلوب رديف لكلام العرب حين تكلم عن فهم القرآن في كتابه تأويل مشكل القرآن حيث يقول : " و إنما يعرف القرآن من كثر نظره ، و اتسع علمه و فهم مذاهب العرب و افتنانها في الأساليب، و ما خص الله به لغتها دون جميع اللغات ... فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاما في نكاح أو حمالة أو تحضيض أو صلح أو ما يشبه ذلك لم يأت به من واد واحد ، بل يفتن ، فيختصر تارة إرادة التخفيف ، و يطيل تارة إرادة الإفهام ، و يكرر تارة إرادة التوكيد ، و يخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، و يكشف بعضها حتى يفهما بعض الأعجميين، و يشير إلى الشيء ، و يكنّي عن الشيء ، و تكون عنايته بالكلام على حسب الحال ، و قدر الحفل ، و كثرة الحشد، و جلالة المقام" [1] .

فقول ابن قتيبة صريح في أن الأسلوب عند العرب الكيفية التي يشكل بها المتكلم كلامه سواءا أكان شعرا أم نثرا .

- **تعريف الخطابي :**

ذهب الخطابي إلى المعنى نفسه حين تكلم عن نوع من الموازنة بين المعارضة و المقابلة فقال : " و هو أن يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام ، و واد من أوديته ، فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان من باله من الآخر في نعت

1- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم – تأويل مشكل القرآن – شرح أحمد الصقر – مصر – القاهرة- دار التراث- ط:2- 1393م- 1973 م – ص : 12 و 13.

ما هو بإزائه ، و ذلك مثل أن يتأمل شعر أبي دؤاد الإيادي و النابغة الجعدي في صفة الخيل ، و شعر الأعشى و الأخطل في نعت الخمر ... "[1] .

• تعريف الباقلاني :

ذهب الباقلاني إلى أن الأسلوب منهل مورود و مسلك معبد ، يتبع فيه أرباب الصناعة بعضهم بعضا فيما يستجد من الأساليب و هو يؤخذ بالتعلم ، و تُرَاض الألسنة و الأقلام عليها بالمرانة كسائر الصناعات إذ يقول : " ... إذا استحسنوا شيئا اتبعوه، و تنافسوا في محاكاته بباعث الجِبِلَّة ، و كذلك رأينا أصحاب هذه الصناعة يتبع بعضهم بعضا فيما يستجدونه من الأساليب ، و ربما أدرك اللاحق فيهم شأو السابق أو أربي عليه كما صنع العميد بأسلوب الجاحظ و كما يصنع الكتاب و الخطباء اليوم في اقتداء بعضهم ببعض، و أما أساليب الناس على اختلاف طرائقها في النثر و الشعر إلا مناهل مورودة ، و مسالك معبدة تؤخذ بالتعلم ، و تراض الألسنة و الأقلام عليها بالمرانة ، كسائر الصناعات "[2] .

• الأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني

جاء مصطلح الأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز منذ خلال حديثه عن موضوع إبداعي مميز هو الاحتذاء يقول : " و اعلم أن الاحتذاء عند الشعراء و أهل العلم بالشعر ، و تقديره و تمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له و عرض أسلوبا ، و الأسلوب الضرب من النظم و الطريقة فيه ، فيعْمَدُ شاعر آخر

---

[1]- الخطابي ، أبو سليمان محمد بن محمد إبراهيم- بيان إعجاز القرآن – تحقيق و تعليق : محمد خلف الله و غيره- مصر – دار المعارف- د.ط- د.ت- ص: 65- ضمن كتاب : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني .

[2]- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب- إعجاز القرآن – تحقيق : أحمد صقر- دار المعرف- د.ط- 1954م- 1972م – ج:1- ص :51، و 52.

إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره ، فيُشبَّه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها ، فيقال : " قد احتذى على مثاله ... " [1] يعد هذا القول إشارة واضحة و صريحة لمصطلح الأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني، و قد جاء الحديث عن الأسلوب من خلال هذا الجانب التطبيقي عمّا يُعرَفُ بالاحتذاء حيث تداخلُ أسلوبين :

الأول : يَعمَد إليه الشاعر برؤيته الشخصية المبتكرة و الخاصة فيأتي به من خلال تشكيل جديد للمعنى ، فيبرز ذلك من خلال الأسلوب الذي يعتمده .

و **الثاني** : يعمد إليه الشاعر برؤيته الأسلوبية المقلدة لغيره للرؤية الأصلية.

لقد ركز عبد القاهر على دوافع معينة عند الكاتب حيث ينفث فيها ذاته ، و لهذا أشار إلى أن الاحتذاء ضرب من الأسلوب ، و لكن يظل السبق لصاحب الأسلوب الأول، فالشاعر الأول يبتدئ في معنى له، و غَرَضٍ أسلوباً، و الأسلوب لا يتكون إلا إذا سبقه معنى و غرض يدفعانه للتشكيل اللغوي الخاص .

و إشارة عبد القاهر للأسلوب من خلال عملية إبداعية في هذا الموضع لها دلالة غنية و خصبة ، و هي رؤية متميزة لفن القول لتي تعرف باسم فكرة النظم أو نظرية النظم [2] و هذا ما يصرح به حيث قال :" و الأسلوب الضرب من النظم و الطريقة فيه " [3]فحديثه الفني عن الأسلوب إذن هو حديث عن فنية النظم ، و إشارته للأسلوب من خلال هذه العملية الثنائية – عملية الاحتذاء- تنبه إلى التأصيل الابتكاري للتشكيل من خلال رسمه لملامح صاحبه الأصلية غير المقلدة [4].

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز في علم المعاني – تحقيق : محمد رضوان الداية و فايز الداية – سوريا- دمشق – دار قتيبة – ط.1- 1403 هـ- 1983 – ص : 315 .

[2]- شفيع السيد – الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي – القاهرة- دار الفكر – ط .1- د.ت- ص : 22.

[3]- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – ص : 315.

[4]- محمد عبد المطلب – قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني – ص : 43.

ثانيا : الأسلوب في الدراسات الحديثة :

أ. عند الدراسيين الغربيين :

أشارت أغلب الدراسات الحديثة في تعريفها مفهوم الأسلوب إلى تعريف الكونت بيفون أو(بوفون) الذي يرى أن " الأفكار تشكل وحدها عمق الأسلوب ، لأن الأسلوب ليس سوى النظام و الحركة، و هذا ما نضعه في التفكير "[1] و يقول أيضا " إن المعارف، و الوقائع و الاكتشافات تنتزع بسهولة ، و قد تنتقل من شخص لآخر ، بل تكتسب مزيدا من الثراء إذا تناولنا أيد كثيرة، فهذه الأشياء خارجة عن الإنسان. أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه ، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول و لا ينتقل و لا يتغير "[2].

تبرز من هذا القول ثلاثة أمور هي :

الأول : إن المعارف و الاكتشافات عمل جماعي بطبعه ، إذ لا تقوم و لا تتم إلا بالصياغة الجماعية من المشاركين كلهم ، أما الأسلوب فهو ذاتي دال على كاتب معين .

ثانيا : إن المعارف بطبعها تتميز بالاستمرارية فهي بحاجة إلى تعديل غير متوقف من الإضافات الجماعية ، و بذلك تزداد ثراءا .

---

[1] – Pierre Guiraud – la stylistique – Paris – coll "Que sait je" 7ème ed- 1972- P 22 .

و ينظر قوله بترجمات متقاربة ، صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته– ص : 84، و نور الدين السد – الأسلوبية و تحليل الخطاب – ج : 1– ص: 131، و شوقي علي الزهرة – الأسلوب بين عبد القاهر و جون ميري دراسة مقارنة – ص : 40.

[2] – المراجع نفسها و الصفحات .

ثالثا : إن الأسلوب بصمة شخصية لا يمكن أخذه عن صاحبه أو استعارة أبعاده منه، و لا نقله مطلقا لأن ذلك تشويه لملامح الكاتب بكل أبعاده فتتحول عند النقل إلى ملامح أخرى لا تدل – حين نقلها- على إنسان معين .

و إلى هذا المعنى أشار " جون ميري" بأن القارئ المتمرس يستطيع التعرف على ملامح شخصية الكاتب من خلال أسلوبه ، و ضرب مثلا لذلك حيث قال : " إني أعرف من كتب المقالة المنشورة في جريدة السبت ، إنك لا يمكن أن تخطئ صاحبها لأن ملامحه بادية فيها " [1].

إن تعريف " بيفون" هذا تردد مرات عديدة بل انتشر انتشارا أثيرا فتخطئ كل الحواجز الزمنية و المكانية فاقتطع من سياقه لذا يجدر بالباحث الوقوف عند هذا التعريف لمناقشته.

يبدو أن مصطلح الأسلوب عند " بيفون" قد نُظر إليه نظرة جزئية حيث اقتطع من سياقه الكلي، و اختصر إلى هذه الجملة " الأسلوب هو الرجل " و من هنا فقد خاض المفسرون في فهم هذه الجملة المقتطعة في اتجاهات شتى لفهمها ، كُلٌّ يدلي بمعرفته الخاصة حتى خرج هذا المصطلح عن طبيعته القصدية، و أصبح يرد على أنه تعبير عن كل ما يأتي به الكاتب حتى في سلوكه العادي، و سنعرض لبعض هذه التعريفات لاحقا.

إن هذه الجملة في هذا النص لا يعني أكثر من أن الأسلوب سمة شخصية في استعمال اللغة لا يمكن تكرارها [2].

إن بساطة جملة "بيفون" هذه " الأسلوب هو الرجل " تعطي شعورا ببساطة المصطلح نفسه ، و لكن من أخذها فقد فهمها فهما ظاهريا من ظاهر لفظها و حده، و جون ميري يدعو إلى التعمق في الدلالات الخاصة التي يريدها " بيفون " نفسه من

---

[1]- Jaune Murry – The Problem of Style – London – 1967- P.A, P : 4

[2]- ينظر شكري عياد- اللغة و الإبداع- مبادئ علم الأسلوب العربي – القاهرة – انترناشيونال للطبع و النشر –ط.1- 1988- ص 24.

هذه العبارة فيقول : " و لكن المتعمق في هذه الإشارة التعبيرية الاصطلاحية عند بيفون سيوقن بأنه يريد بقوله هذا ربط التعبير الأسلوبي بكل أنواع النشاط الإبداعي للشخص، فكل فن يصوره المبدع يدخل في هذا الحيز الاصطلاحي ، إنها إشارة ذكية لها دلالتها الإبداعية "[1]

لقد حاول بيفون من خلال هذا القول ربط قيم الأسلوب الجمالية بخلايا التفكير الحية و المتغيرة من شخص إلى آخر "[2].

و قد تناول كثير من العلماء هذا المصطلح فاختصروه حتى جعلوه مفهوما عائما[3] ، نذكر من أقوالهم ما يأتي :

يقول لوكس " F.L.Lucas " في كتابه الأسلوب مشيرا إلى تعريفه للأسلوب بأنه " بداية طريقة الرجل في الكتابة "[4]، ثم يطلق هذا المصطلح إطلاقا شاملا لجوانب التعبير الكتابية و الشفهية حيث يقول : " إنه يعني عامة طريقة الرجل في التعبير كتابة أو مشافهة "[5].

و امتدت المساحة التعبيرية في هذا القول فشملت كل ما يصدر عن الرجل ، فهو أسلوبه الخاص ، و لهذا فإن بيار جيرو Pierre Guiraud يحدد مجاله في حيز الإبداع الفني ، بل الإبداع الأدبي وحده حيث يقول : " يهتم الأسلوب باللغة الأدبية وحدها ، و بعطائها التعبيري "[6].

---

[1]-المرجع السابق – ص:3.(J. Murry – the same . – P : 3).

[2]- ينظر أحمد درويش – الأسلوب بين المعاصرة و التراث – القاهرة- مكتبة الزهراء- د. ط- د. ت – ص : 154.

[3]- ينظر نور الدين السد – الأسلوبية و تحليل الخطاب- ج : 1 – ص : 133.

[4]- F.L.Lucas – Style London 1974 – P : 16 ، ينظر : شوقي على الزهرة – الأسلوب بين عبد القادر و جون ميري – ص : 43.

[5]- المرجع نفسه و الصفحة

[6]- بيار جيرو – الأسلوب و الأسلوبية – ترجمة منذر عياشي – لبنان – بيروت – مركز الإنماء القومي- ط. 1- 1990م – ص : 9.

فمجال الأسلوب بإشارة جيرو هذه يحدد في الإبداع الأدبي ، حيث استخدام اللغة و تشكيلها، فالأسلوب حسب ذلك هو تشكيل فني للغة، كما تتشكل الألوان لتعطي دلالات خاصة لم تكن ترى قبل هذا التشكيل ، يقول : " فمثل التشكيل الأسلوبي مثل الألوان ، إنها كما يقال : تستخدم كي تقنع القارئ ، و تنال إعجابه، و تشد انتباهه ، و تصدم خياله بإبراز الشكل أكثر حدة ، و أكثر غرابة ، و أكثر طرافة ، أو أكثر جمالا "[1] فربط " جيرو" الأسلوب الأدبي بالأسلوب التشكيلي للون له أبعاده من حيث التحديد، و البعد عن الرؤية الامتدادية التي لحقت قول "بيفون " غير المقصود [2].

و يلاحظ أن هوج جراهام Hough Graham نظر إلى الأسلوب كمصطلح من جانبين :

- الأول في الدراسة القديمة .
- الثاني في الدراسات الحديثة .

يقول في الجانب الأول :" بأن الأسلوب قديم قدم الدراسات الأدبية ذاتها " [3]

ففي هذه الإشارة حدد حيز الأسلوب و مادته بالتعبير الأدبي نفسه ، و ربط بين التعبير الأدبي و بين الدرس البلاغي ، أي أن مصطلح الأسلوب القديم ارتبط بالوظيفة القولية أكثر من ارتباطه بالجانب الكتابي .[4]

و أما الجانب الثاني – عنده- فهو يتناول المصطلح في العصر الحديث حيث شمل المفهوم الأسلوبي كل معالم الجمال فيقول : " بأن النقد الحديث لا يتحدث عن الأسلوب أكثر من حديثه عن الجمال نفسه " [5].

---

[1]- المرجع نفسه و الصفحة .

[2]- ينظر شوقي على الزهرة – الأسلوب بين عبد القاهر و جون ميري – ص : 43.

[3]- Hough Graham- Style and Stylistics- London -1965, P : 2

[4]- المرجع نفسه و الصفحة .

[5]- Hough . Graham – style and stylistics P : 6 .

فربط هوج الأسلوب بالدراسات الأدبية القديمة ثم بعلم الجمال كله يـــمدُّ المساحة الخاصة به ، و يرَكِّزُ على الممارسة الفنية حيث يقول : " بأن الحديث عن الأسلوب هو حديث بالتالي عن الاختيار الفني المتمثل في اختيار المفردات و التراكيب الخاصة التي هي من صنع الأديب " [1].

و بهذه الأقوال لا يضع هوج – Hugh يده على مصطلح محدد للأسلوب لأنه يراه – عبارة عن تقاطع بين خيوط الجمال بأبعاده و الاختيارات الفنية الذاتية للمبدع .

فالأسلوب هو الإبداع أيضا ، أو هو العملية الإبداعية بتعقداتها و إفرازاتها الأمر المعادل لعملية " التكنيك ذاتها ، و بهذه الحركية الفنية يتقارب رومان جاكبسون Jokobjon Roman مع هوج Hough إذ ينقل لنا عدنان بن ذريل قول جاكبسون عن الأسلوب حيث يقول : " فالأسلوب لديه : " هو الوظيفة المركزية المنظمة للخطاب " [2] .

و تتحقق هذه الوظيفة في عمليتين هما :

1. الاختيار .
2. التركيب .

و أما الاختيار فيتم للمبدع باختيار أدواته التعبيرية ، و يقوم التركيب معتمدا على هذه الاختيارات و تشكيلها تشكيلا يقتضي بعضه قواعد النحو و يسمح ببعضه الآخر بالتصرف في الاستعمال [3].

أما جون ميري J. Murry فيصرح أنه لا يستطيع تحديد مصطلح معين للأسلوب حيث يشير إلى أنه إذا نظرنا إلى الأسلوب من جانب التعريف العلمي ستمتد مساحته لتشمل كل عناصر الجمال الأدبي ، باتساعاتها البعيدة ، كما ستغطي

---

[1]– المرجع نفسه صفحة : 7 .

[2]– ينظر عدنان بن ذريل – اللغة و الأسلوب – ص : 154.

[3]– ينظر عدنان بن ذريل – اللغة و الأسلوب – ص : 154.

النظرية الأدبية كاملة، و حينئذ ستحتاج إلى كم هائل من المؤلفات (المجلدات) كما ستحتاج كذلك إلى ذات المساحة من المحاضرات [1] ، لذلك يحاول المرور إلى معابر محدد من خلال جوانب تطبيقية (علمية) عله يستطيع تكثيف مصطلح الأسلوب فهي عنده – أي كلمة الأسلوب- تعني أشياء كثيرة ، و لكن كلما كانت هذه الأشياء أكثر تحديدا ، كانت أبعد عن المعنى المركزي الكامن في الكلمة [2] .

و من هنا نراه يعرف الأسلوب فيقول إن الأسلوب هو : " هذه الخاصية الذاتية التعبيرية التي من خلالها تستطيع التعرف على الكاتب " [3] و يقول أيضا " بأن الأسلوب هو الوسائل الفنية للتعبير الأدبي " [4].

ب. عند الدراسيين العرب :

اختلفت تعريفات الدراسيين العرب للأسلوب ، و لعل مرد هذا الخلاف إلى مصادر ثقافة هؤلاء و نكتفي بالإشارات إلى بعض هذه التعاريف خشية الإطالة .

1. **عرف مصطفى أمين** و صاحبه في كتاب البلاغة الواضحة الأسلوب على أنه " المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، و أفعل في نفوس سامعيه، و قسّماه إلى أسلوب علمي و أسلوب أدبي و أسلوب خطابي " [5]. يتضح من هذا التعريف انهما يقسمانه إلى أقسام تختص بكل جنس من القول ، و هذا التصنيف لا يختلف كثيرا عما أشارت إليه الدراسات العربية القديمة في تحديد خصائص كل أسلوب من أساليب القول [6].

---

[1] – J. Murry – The problem of style – P : 3 .

[2] – ينظر شكري عياد – اللغة و الإبداع – ص 24 ، و 25 .

[3] – المرجع السابق – ص:4 ، (J. Murry- Ibidem – P : 4).

[4] – المرجع نفسه – ص : 5.

[5] – علي الجارم و مصطفى أمين – البلاغة الواضحة – القاهرة – دار المعارف- ط.1- 1969 – ص : 68 .

[6] – ينظر: نور الدين السد – الأسلوبية و تحليل الخطاب – ج: 1 – ص: 146.

2. تعريف الشايب :

تعريفه مشابه لـــما ذُكر عن الأسلوب منذ القدم أنه " طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية ، ثم يعلق قائل: " و لا يزال هذا هو تعريف الأسلوب إلى اليوم ... " [1].

و يلاحظ أن قوله يشير إلى قضية العلاقة بين اللغة و الفكر و هي لفتة جوهرية في الدرس الأسلوبي الحديث، و خلص إلى القول : " إن الأسلوب هو طريقة التفكير و التصوير و التعبير " [2] . و يقول في موضع آخر : " إن تعريف الأسلوب ينصب بداهة على هذا العنصر اللفظي فهو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني ، أو نظم الكلام و تأليفه لأداء الأفكار و عرض الخيال ، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني "[3].

3. **و يذهب زهران البدراوي** إلى أن مفهوم الأسلوب يطلق على العبارة اللغوية و هو ينصب بداهة على العنصر اللفظي ، فهو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني ، أو نظم الكلام و تأليفه لأداء الأفكار و عرض الخيال ، و هو العبارة اللفظية المنسقة لأداء المعاني [4]

---

[1]- ينظر: أحمد الشايب – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية – ص : 44.

[2] – المرجع نفسه – ص 45.

[3]- المرجع السابق –ص : 46.

[4]- ينظر البدراوي زهران – أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث- مصر – القاهرة- دار المعارف-ط. 1- د.ت- ص : 8.

4- و يرى **أحمد أمين** أن الأسلوب هو اختيار الكلام بما يتناسب و مقاصد صاحبه، و يعتمد نظم الكلام أولا على اختيار الكلمات ، لا من ناحية معانيها فقط بل من ناحيتها الفنية أيضا بما توحيه من أفكار ترتبط بها، و من ناحية وقعها الموسيقي [1] و في حديثه عن الأسلوب كونه عنصرا من العناصر الأربعة المكونة للأدب يقول بأنه " نظم الكلام ، و هو طريقة التعبير عن الأفكار ، و تتعدد الأساليب بتعدد المستويات اللغوية التي يتمّ التّعبير بها، و من خلال طرائق توظيف اللغة في الكلام و تشكيلها يُمْكِنُ وصف الخطاب إذا كان أدبيا أو لا " [2].

4. و يرجع **محمد غُنَيْمي هلال** دراسة الأسلوب إلى أرسطو الذي جعله شاملا للشعر و الفنون جميعا، و الأسلوب عنده هو التعبير و وسائل الصياغة ، و يظل في كل معانيه غايته الإقناع [3].

5. و يعرف **حمادي صمود** الأسلوب بأنه : " معطى يستعصي عن التحديد و الضبط ، إذ هو نتاج عمليات معقدة معاضلة لا تنفك إحداهما عن الأخرى إلا عن صعوبة نادرة، فهو طريقة الكاتب في الانتقال بفنه من الانفعال الفيسيولوجي و اللذة الحسية إلى تشكل علامي ظواهري يستقطب دلالة الحضارة ، و يصل الكون بالتاريخ، و إنه مسار في اتجاهين ما بين النص الوهم و النص الظاهرة ، في المعنى

---

[1]- أحمد أمين – النقد الأدبي- الجزائر – وحدة رغاية – طبعة أنيس، موفم - د.ط- 1992م – ص: 76.

[2]- المرجع نفسه – ص : 33 و 74.

[3]- ينظر: غنيمي محمد هلال- النقد الأدبي الحديث- لبنان- بيروت- دار العودة- د.ط- 1976- ص 116 و 117.

الواسع لكلمة النص " [1] يقر صاحب التعريف أن الأسلوب فعالية فردية و هو طريقة الكاتب في تجسيد انفعاله في شكل علامي ظاهر .

7. أما **عبد السلام المسدي** فيعتقد : " أن مدلول الأسلوب ينحصر في تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الوجود اللغوي ، فالأسلوب هو الاستعمال ذاته ، فكأن اللغة شحنات معزولة و الأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر كما لو كان ذلك في مخبر كيمياوي " [2] فالأسلوب في نظر المسدي " هو النظام الذي من خلاله يتم ضبط اللغة و إخراجها في الصورة التي يريد المنشيء التعبير بها عن أغراضه ، فاللغة شبيهة بخزان متجدد لمادة لا تنضب طاقتها ، و أن المتكلم يأخذ من هذا الخزان ما شاء للتعبير عمّا يشاء وفق أسلوب يراه أنسب في التعبير عن مبتغاه [3] .

يمكن القول – على هدي ما سبق – أن الأسلوب ينصب على اللفظ الذي يعبّر به عن المعنى أو نظم الكلام و تأليفه لأداء الأفكار ، و لعله من الصعوبة تحديد مصطلح دقيق جامع مانع إلا أنه أغلب التعريفات السابقة تكاد تتفق على المعنى الآتي لمصطلح الأسلوب و هو : طريقة التفكير و التصوير و التعبير ، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني، كما يمكن القول إن الصياغة و الأسلوب طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية [4].

---

[1]– حمادي صمود– المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية – مقالة بمجلة الجامعة التونسية – تونس – العدد الأول– 1981– ص : 235.

[2]– عبد السلام المسدي – النقد و الحداثة – لبنان – بيروت– دار الطليعة للطباعة و النشر – ط.1– 1983 – ص 44.

[3]– ينظر : نور الدين السد– الأسلوبية و تحليل الخطاب– ج: 1– ص : 202 .

[4]– ينظر : أحمد الشايب – الأسلوب – ص: 44،و46 ،و خفاجي محمد عبد المنعم وغيره – الأسلوبية والبيان العربي – القاهرة – الدار المصرية اللبنانية – ط.1 – 1412هـ – 1992م – ص:41.

و يوجز لنا الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن تعريف الأسلوب اصطلاحا فيقول : " تواضع المتأدبون و علماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه و اختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه و مقاصده من كلامه ، أو هو طابع الكلام أو فنه انفرد به المتكلم كذلك . " [1]

---

[1]- الزرقاني محمد عبد العظيم – مناهل العرفان في علوم القرآن – سوريا – دمشق – دار الفكر – د.ط- د.ت- ج: 2 – ص : 303 .

بسيط بساطة الطبيعة ، و بالبساطة احتلت الطبيعة عظمة الكون و إعجاب ساكنيه ، و بالفطرة و البساطة أنفسهما تحلى القرآن و أسلوبه بصفة الإعجاز ، فانبرى جمع من جهابذة العلماء لإبراز معالم إعجازه بشكل فني رائع ، لكن الدارس المتفحص عندما يرجع إلى القرآن يلمس أن ما بدا من جهود لمعالم هذا الأسلوب القرآني محاولات بسيطة ، و ظل باهت لعمق يقصر العقل عن التعبير عنه، و إن لم يقصر عن إدراكه و تذوقه [1].

إن سيد قطب الذي يعد من أكثر الدارسين لأسلوب القرآن ليقر بهذا القصور علانية على الرغم من روعة الإبداع التي ظهرت جلية في تذوقه النصوص القرآنية في كتاباته الشهيرة، يقول سيد قطب: " كثيرا ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتهيب أن أمسها بأسلوبي البشري القاصر ، المتحرج أن أشوهها بتعبيري البشري الفاني" [2] إنه جال في أعماق القرآن و شعر بالقصور إزاء عمق النص القرآني ، و عاش لحظات تصور فيها معاصري القرآن و تلقيهم إياه بالقلوب و العقول و الأرواح و المشاعر ، فمثلوا معجزة العقيدة و المبدإ .

فالنصوص القرآنية أوسع من أن يقف عندها عقل بشري بأسلوبه البشري، لكن مع هذا يستطيع هذا العقل البشري بأسلوبه أن يدرك – إلى حد ما- تصورات القرآن ، و قيمته و حقائقه ، و ينقلها بلغة البشر ، فهو لم يزد على أن قرب لنا البعيد بضرب من التمثيل رجاء الإيضاح و التبيين ، أما الاستقصاء و الإحاطة بمزايا الأسلوب القرآني و خصائصه على وجه الاستيعاب فأمر استأثر به منزّله الذي عنده علم الكتاب [3].

---

[1]- ينظر: عمر السلامي – الإعجاز الفني في القرآن- تونس- مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، و مصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع- د.ط- 1980- ص : 22.

[2]- سيد قطب في ظلال القرآن – بيروت- دار الشروق- ط.10- 1402هـ- 1982 م- المجلد الرابع – ج: 13- ص : 2038.

[3]- ينظر : محمد سعيد رمضان البوطي- من روائع القرآن تأملات علمية و أدبية في كتاب الله عز و جل – بيروت – مؤسسة الرسالة –د .ط- 1416 هـ-1996 ص:112 و ما بعدها ، و ينظر: محمد الزرقاوي-

و من الاعتناء بالقرآن و أسلوبه يتفرّع جانب هام هو الدراسات الخاصة بالقراءات القرآنية متواترها و شاذها " و ثمة شطر من وجوه التغاير بين هذه القراءات يمكن أن يعزي في مجال البحث اللغوي - على سبيل الظن أو اليقين- إلى تغاير اللهجات أو أنه شطر ذو تغاير صوتي في معظمه ، و هو يندرج تحت ما يعرف بالأصول [1] في علم القراءات ، و فضلا عن هذا فثمة شطر آخر من وجوه هذا التغاير لا يمكن عزوه بحال إلى اختلاف اللهجات كاختلاف القراءات في التقديم و التأخير و الذكر و الحذف و تعاقب حروف المعاني، و تعاقب صيغ الأسماء و الأفعال، و بعض وجوه الإعراب، و غير ذلك مما يغير اللفظ و التركيب عن صفته، الأمر الذي يؤدي إلى تفاعل الأسلوب و تغاير الدلالات و يشيع هذا الشطر فيما يعرف بفرش الحروف في القراءات [2] و من هذا الجزء آيات أنتج تنوع القراءات فيها تنوعا في الأسلوب، فالآية على قراءة تكون خبرية ، و على قراءة تكون إنشائية ، و هذا التنوع في الأسلوب يضفي على معنى الآية دلالة لا تكون فيها بدونه، و تقتصر دراستنا على هذا التنوع لتعلقها بالجانب الأدائي . و لأن أغلب الدراسات التي تناولت تغاير القراءات كانت تنصب على الاتجاه اللغوي في توجيه القراءات و دلالته التفسيرية و الأحكام الفقهية و البلاغية ، أما الدراسة المتعلقة باختلاف الأساليب بين الخبر و الإنشاء و علاقتها بالأداء و دلالته ، أمر لا يكاد يلتفت إليه.

مناهل العرفان- ج : 2- ص : 309 و عمر السلامي – الإعجاز الفني في القرآن – ص : 23 و نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين – لبنان – بيروت- دار النفائس – ط.1- 1410 هـ- 1990م- ص : 18 و ما بعدها .

[1]-يقسم علماء القراءات مناهج القراء إلى :

أ= أصول : وهي قواعد القراءة لكل قارئ كمد المدات وتحقيق الهمزات وإمالة الألفات وغيرها.

ب = فرش: وهي الكلمات القرآنية بعينها وكيف قرأها كل قارئ ، وسمّيت فرشا لأنه تفرشش في التعليم على مواضع الآيات ، ولا تندرج تحت اصول جامعة .ينظر: القاصح علي بن عثمان – سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي – مراجعة علي الضباع – بيروت – دار الفكر- د.ط- 1403هـ - ص:148.

[2]- ينظر: الهامش السابق (رقم:1) .

بيد أن هناك أمرا ينبغي التنبيه إليه و هو عدم الانسياق وراء القول بأبلغية قراءة على أخرى أو الترجيح بينها، إذ يوهم ذلك بتدافع القراءات في المعنى أو إسقاط الأخذ ببعضها، و إن جاز ذلك في القراءات الشاذة لكونها كما يقولون أقوى في الصناعة [1] من جهة أقيستهم في العربية ، و أقل تحرجا من جهة ذوقهم في النظر إلى معانيها ، فهو غير جائز فيما بين القراءات المتواترة، و لهذا أنحى باللوم على هذا المسلك كوكبة من العلماء [2] قال النحاس : " و السلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال إحداهما أجود من الأخرى لأنهما جميعا عن النبي صلى الله عليه و سلم ، فيأثم من قال ذلك ، و كان رؤساء الصحابة رحمهم الله ينكرون مثل هذا " [3].

لعل بمثل هذا التنبيه أتجاوز حدود الترجيح إلى استشراق القيم الدلالية الكبرى التي تترتب على تغاير أسلوب القراءات و تنوعها على نحو ما سيتضح بالتفصيل في ثنايا هذا البحث .

1- ينظر : الزركشي بدر الدين – البرهان في علوم القرآن – ج: 1- ص: 341، و السيوطي جلال الدين – معترك الأقران في إعجاز القرآن- تحقيق : علي محمد البجاوي – القاهرة- دار الفكر العربي – د.ط- 1973 - ج:1 – ص : 163.

2- ينظر : عضيمة محمد عبد الخالق – دراسات لأسلوب القرآن الكريم – القاهرة – دار الحديث – د.ط- 1972- ج: 1- ص:19 و ما بعدها .

3- النحاس أبو جعفر – إعراب القرآن – تحقيق: زهير غازي زاهر- بيروت- مكتبة عالم الكتب و النهضة العربية-د.ط- 1985 م – ج: 5- ص : 62.

رابعا : مفهوم الخبر و الإنشاء :

استقر البلاغيون على تقسيم الكلام من حيث لفظه و ارتباطه بقصد المتكلم و مقتضى الحال إلى ضربين هما : الخبر و الإنشاء [1]

أ . مصطلح الخبر :

يختلف مدلول مصطلح الخبر اختلافه في التراث العربي فهو يطلق و يراد به تارة ما عرف في مصطلح النحاة بالمسند الذي تتم به الفائدة في الجملة الاسمية، كما يراد به أخرى ما هو قسيم أساليب الاستفهام و الأمر و النهي و غيرها، فالخبر مصطلح عام وما أقصده في هذه الدراسة كونه قسيما لأساليب الاستفهام و غيره، و قد اختلف العلماء في حد الخبر ، فقيل لا يُحَدُّ لعسره، و قيل لأنه ضروري ، لأن الإنسان يفرق بين الخبر و الإنشاء ضرورة ، و الأكثر على حده ، فقالوا : " الخبر هو الكلام الذي يدخله الصدق و الكذب [2]، و قيل : " الذي يدخله التصديق

---

[1]- تردد في تراثنا منذ أمد اختلاف العلماء حول تقسيم الكلام إلى خبر و طلب أو إلى خبر و استخبار و أمر و نهي .... و هكذا حتى أوصلوه إلى عشرة ، ينظر : ابن قتيبة – أدب الكاتب- تحقيق: محمد الدالي- بيروت- مؤسسة الرسالة – ط.2- 1985- ص:7، و ابن السيد البطليوسي – الاقتضاب في شرح أدب الكاتب- تحقيق:مصطفى السقا، و حامد عبد المجيد- القاهرة- الهيئة العامة للكتاب- د.ط-1981-1983- ج:1- ص:58 و 59، و الزجاجي عبد الرحمن ابن إسحاق – تفسير رسالة أدب الكاتب- تحقيق: عبد الفتاح سليم- القاهرة- معهد المخطوطات العربية- د.ط- 1993- ص:111 و 112، و ابن هشام الأنصاري المصري- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب – تحقيق : الشيخ محي الدين عبد الحميد- د.مطبعة- د.ط- د.ت- ص: 31 و 32 .

[2]- يستثنى من ذلك خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صادقا و دليله قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ سورة الأنعام الآية 115.

و التكذيب " أو هو : " كلام يفيد بنفسه نسبة " ، و قيل " الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفيا أو إثباتا" [1]

و قال بعض المتأخرين : " الإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام و الخبر خلافه أو ما كان نسبة في الخارج تصدقه أو لا تصدقه ، أو ما احتمل الصدق أو الكذب لذاته ... " [2].

ب . مصطلح الإنشاء :

الإنشاء قسيم الخبر و هو ما يحصل مدلوله في الخارج بخلاف الخبر [3] أو هو ما لا يحتمل الصدق و لا الكذب ، أو ما لا يشترط أن يكون له نسبة في الخارج تصدقه أو تكذبه [4].

و لسيبويه في الكتاب إشارة إلى ذلك في باب ما يختار فيه النصب قال : " و إنما فعلوا ذلك بالاستفهام ، لأنه كالأمر في أنه غير واجب، و أنه يريد به من المخاطب

---

[1]- السكاكي محمد بن علي: مفتاح العلوم- لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية-د.ط-د.ت- ص: 71 و 72 ، و جلال الدين السيوطي- إتمام الدراية لقراء النقابة الجامع لأربعة عشر علما- مطبوع على هامش مفتاح العلوم للسكاكي – د.ط- د.ت – ص: 130 و 131.

[2]- الخطيب القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة – لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية – د.ط- د.ت- ص : 16 ،و الخطيب القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة- شرح و تعليق :محمد عبد المنعم خفاجي- بيروت- دار الجيل- ط.3- 1414هـ-1983 م-ج:1- ص : 59 و ما بعدها – عبد المتعال الصعيدي – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة – مصر- المطبعة النموذجية – د.ط –د.ت-ج: 1- ص : 10 و 78.

[3]-ينظر : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي- إتمام الدراية لقراء النقابة الجامع لأربعة عشر علما- ص: 142.

[4]- الخطيب القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة –ص 135- و الطبعة المحققة- شرح و تعليق: عبد المنعم الخفاجي-ج:3- ص: 98 و عبد الرحمن السيوطي – علوم القرآن – ج: 2- ص : 98، - و بدر الدين الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج: 2- ص- : 317- و غيره .

أمرا لم يستقر عند السائل" [1] و معنى هذا أن الاستفهام و الأمر والنهي و غيرها أساليب غير واجبة ، أي أنها يجوز أن تقع و ألا تقع ،و اختير مصطلح الإنشاء عَلَماً عليها ، لأنها في أغلب أحوالها معان ينشئها المتكلم من ذاته ليعبر بها عن غرضه فهي من ابتكاره دون أن تكون موجودة في الخارج سواء أفاد طلبا أم لا [2].

إن أسلوب الخبر أو الإخبار [3] – كان هو القاسم المشترك لغيره من أساليب الإنشاء و التي منها الاستفهام و هو أكثرها تواردا ثم يليه في ذلك الأمر و النهي .

و إذا كان الناظر في بلاغة الكلام يدرك بداهة أن لكل أسلوب من هذه الأساليب مقاما يقتضيه ، فإن تغاير طرائق التعبير في الآية الواحدة بين أسلوب و آخر تبعا للقراءات القرآنية الواردة متواترها و شاذها، كان هما استرعى نظر العلماء منذ محاولاتهم الباكرة ، فطفقوا يتساءلون عن السر و يعللون له بأوجه عديدة ، مبرزين مقامات الخطاب و تصوير حالات المخاطبين، مدركين في الوقت نفسه تلك المعاني الثواني التي تخرج إليها هذه الأساليب عن أصل مرادها ، إلا أن اللافت للنظر أني لم أقف على مُصَنَّف أو عالم أفرد هذا التغاير في الأسلوب بين الخبر و الإنشاء بالتأليف و الدراسة الأدائية خصوصا، و لهذا جاء هذا البحث تكملة في هذا السياق ، و أعالج في هذا الباب النقاط التالية .

- تغاير الأسلوب بين الإخبار و الاستفهام في القراءات القرآنية .
- تغاير الأسلوب بين الإخبار و الأمر في القراءات القرآنية .

1- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر – الكتاب- تحقيق : عبد السلام هارون- القاهرة- مكتبة الفانجي –ط.2 – 1977 – ج.1- ص : 99.

2- ينظر : السيوطي – الإتقان في علوم القرآن- ج: 2- ص: و أحمد سعد محمد- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية- القاهرة – مكتبة الآداب – ط.1- 1418 هـ- 1998 م – ص : 211.

3- إن بعض موجهي القراءات عدل عن مصطلح الخبر إلى الإخبار لعدم التباسه بمصطلح النحاة و أهل الحديث، فضلا عن دلالته على ذلك الضرب من الكلام ، و موافقته لصياغه و وزن لفظ الإنشاء، ينظر : أحمد سعد محمد ، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – ص : 211 .

- تغاير الأسلوب بين الإخبار و النهي في القراءات .
- تغاير القراءات القرآنية في الأسلوب الواحد وباقي الأساليب .

الفصل الأول

تغاير الأسلوب
بين الإخبار والاستفهام
في القراءات القرآنية

الفصل الأول: تغاير الأسلوب بين الإخبار والاستفهام في القراءات القرآنية

تعددت رؤى العلماء – علماء القراءات والتفسير واللغة — في هذا الجانب ، تبعا لتغاير نظرتهم إلى المقام و السياق الوارد فيه، فقد يختارون أحد الوجهين في بعض المواضع لتواتره و شيوعه في القراءة، ثم يلتمسون له وجها من المعنى يرونه مناسبا لسياقه، و قد يرون في مواضع أخرى أن سياقها يحتمل تغاير معنى وجهيها ، كما يحاولون في مواضع كثيرة منه التوفيق بين معنى الوجهين بضرب من التأويل أو التقدير؛ فيشيرون إلى أن لفظ الخبر- الإخبار – يشي بـــمعنى الاستفهام ، أو أن لفظ الاستـــفهام يحمل فـــي طياته معنى الإخبار- الخبر- .

وأقف في هذا المجال مستجليا هذه المعاني مع أمثلة على وجه التقريب والتمثيل لا الحصر واليقين

-1

أ.الآية :

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]

ب . القراءات الواردة :

- قرأ ابن كثير "أن يؤتى " بمد الهمزة .
- و قرأ الأعمش و شعيب بن أبي حمزة "إن يؤتى" بكسر الهمزة على أنها نافية .
- و قرأ جمهور القراء "أن يؤتى " بهمزة واحدة مفتوحة".[2]

ج = دلالات القراءات

لوحظ أن تغاير القراءة مع نسقه الوارد فيه يثير تغايرا آخر في متعلق الخطاب في الآية الكريمة ، فرأى فريق منهم أن دلالة الإخبار و الاستفهام على التوبيخ و الإنكار ملتبسة بالنهي في صدرها ؛ لذلك نجد الفارسي) يعمل فكره في السياق القرآني و يدرك أن" مثل هذا في المعنى في قراءة ابن كثير قوله :

﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[3]

1-سورة آل عمران الآية 73.

[2]-ينظر: ابن مجاهد أبو بكر –السبعة في القراءات – ت: شوقي ضيف- القاهرة – دار المعارف- ط.2- 1980-ص: 207، وابن الجزري ج:2- ص: 340، والإتحاف للبنا الدمياطي ج: 2- ص: 480 .

[3]-سورة البقرة الآية 76.

فوبخ بعضهم بعضا بالحديث بما علموه من أمر النبي صلى الله عليه و سلم و عرفوه من وصفه ، فهذه الآية في معنى قراءة ابن كثير ، و لعله اعتبرها في قراءته ، و الاستفهام على قوله تقرير و توبيخ ... "[1]

و إذا كان الفارسي يلتمس للاستفهام وجها معتـــبرا من السياق القرآني في آية البقرة ، فإن مكي بن أبي طالب و غيرَه يرجعه إلى مقامه في آية آل عمران؛ إذ مد الهمزة على لفظ الاستفهام "ليؤكد الإنكار الذي قالوه : بأنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتوا؛ لأن علماء اليهود قالت لـــعامتهم : لا تؤمنوا إلا لـــمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ..." [2] و هذا ما أكدته كذلك قراءة كسر الهمزة على معنى النفي و التصميم.

إن علة ذلك في نظره "أن النفي الأول دلّ على إنكارهم في قولهم : و لا تؤمنوا.." فكان الاختيار عنده القراءة بغير مد " لأن الجماعة عليه ، و لأن المعنى في الإنكار يقوم بغير زيادة ألف، لأن (لا) تغنى عن الألف " [3]، و من ثم أمكن حمل قراءة الإخبار — كما قال الرازي على الاستفهام [4].

و يضيف الزمخشري و غيره إلى ذلك رؤية أخرى أملاها عليه لفظ الاستفهام في نسق الآية ، فاتخذه وليجة إلى القول بأن (أن يؤتى) متصل بـــمقول الرسول صلى الله عليه و سلم : ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ على معنى "أن ما بكم من الحسد و البغي- أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم و الكتاب— دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم ، و الدليل عليه قراءة ابن كثير : (أأن يؤتى أحد) بزيادة همزة الاستفهام

---

[1]- الحجة للقراءة السبعة ج :3- ص: 56 ، و ينظر : مشكل إعراب القرآن ج:1- ص: 163،و 164، و إعراب القراءات السبع ج:1 – ص: 114.

[2]- الكشف ج:1- ص: 347، و ينظر : المحرر الوجيز ج: 3- ص: 126، و إ رشاد العقل السليم ج:1- ص: 510، 502، و فتح القدير ج:1- ص: 351.

[3]- الكشف ج:1- ص : 348.

[4]- ينظر : التفسير الكبير ج: 8- ص: 106ـ 107.

للتقرير التوبيخ" [1] فيتوجه بذلك المعنى الحاصل من الاستفهام إلى تلك الطائفة التي زعمت ما زعمت حسدا وبغيا ، أو إليهم جميعا بعد ما كان في الوجه الأول متوجها من علماء اليهود إلى عامتهم .

1- الكشاف ج:1- ص: 374، و ينظر :الهمداني حسين بن أبي العز – الفريد في إعراب القرآن المجيد – ت : محمد حسن النمر وفؤاد علي مخيمر – قطر- دار الثقافة – ط.1- 1411هـ - ج:4-ص: 177 و178،و البحر المحيط ج: 2- ص: 494 و ما بعدهما ، و الدر المصون ج: 2- ص: 136-139 و تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب ج:3- ص : 37، و الفتوحات الإلهية ج:1- ص:287، و روح المعاني ج:3- ص:200، 201.

2 – يتضح التقارب في المعنى بين القراءتين في لفظة (أئنكم) في سورة الأنعام

أ . الآية :

يقول الله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [1]

ب . القراءات الواردة :

- قرأ الجمهور بهمزتين " أئنكم "كما في المصحف
- وقرىء بهمزة واحدة بلا نسبة [2].

ج. دلالة القراءات.

ذهب القرطبي إلى التفريق بين الوجهين ، فألمح الاستفهام عنده معنى التوبيخ و التقريع، و أما من قرأ (إنكم) على الخبر فعلى أنه حقق عليهم شركهم [3]، و لكن أبا حيان يرى أن قراءة (إنكم لتشهدون) بهمزة واحدة تحتمل أن تكون خبرا محضا ، و تحمل الاستفهام على تقدير حذف أداته ، و يبين ذلك قراءة الاستفهام ، و هذا الاستفهام معناه التقريع لهم و التوبيخ و الإنكار عليهم [4].

---

[1]- سورة الأنعام الآية : 19.

[2]- وهي قراءة شاذة ،ينظر:البحر المحيط ج: 4- ص: 91.

[3]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – ج: 6- ص: 399، و فتح القدير للشوكاني- ج: 2- ص:105

[4]- ينظر : البحر المحيط ج: 4- ص: 91، 92.

3- و من المواضع التي احتملت الوجهين كذلك (آمنتم) الذي قرئ بهمزة واحدة و بهمزتين على الإخبار و الاستفهام في مواضعه التالية من آي التنزيل :

أ. الآية :

يقول الله تعالى :﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [1]

وقوله تعالى :﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ ﴾ [2]

وقوله تعالى :﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ . . ﴾ [3]

ب. القراءات الواردة :

- قرأ حفص عن عاصم (آمنتم) بمد الألف بهمزة واحدة .
- وقرأها الباقون بهمزتين على الاستفهام و هم على أصولها المعهودة في تحقيق الهمزة و تسهيلها [4].

---

[1]- سورة الأعراف الآية : 123.

[2]- سورة طه الآية : 71.

[3]- سورة الشعراء الآية : 49.

[4]- السبعة ، ص : 29، 291، قال أبو حيان :" وقرأ قنبل بإبدال همزة الاستفهام واو لضم نون فرعون وتحقيق الهمزة بعدها ، أو تسهيلها أو إبدالها أو إسكانها أربعة أوجه "البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي- ج : 4- ص: 365.

ج. دلالة القراءات.

فرق فريق من الموجهين بين معنى الوجهين ، فرأى أبو علي أن "وجه الخبر فيه أنه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقريع لهم بإيمانهم و الإنكار له عليهم، و وجه الاستفهام أنه استفهام على وجه التقرير يوبخهم به و ينكره عليهم " [1].

و هو يعود إلى مثل هذا أيضا في قراءة آية طه بالإخبار ، فيرى أن له وجها حسنا "كأنه – أي فرعون- يُقَرِّعهم على تقدمهم بين يديه و على استبدادهم على ما كان منهم من الإيمان عن غير أمره و إذنه " و لكنه ذهب إلى أن " الاستفهام إلى هذا المعنى يؤول؛ لأنه تقريع و توبيخ منه لهم بإيمانهم " [2].

لذلك أرجع مكي بن أبي طالب و غيره القراءة بلفظ الإخبار إلى معنى الاستفهام محذوف الأداة "و إنما حذفت ألف الاستفهام من اللفظ استخفافا، و حسُن ذلك؛ لأن ما في الكلام من معنى التوبيخ و التقريع من فرعون للسحرة يدل على الاستفهام الذي معناه الإنكار منه لفعلهم الإيمان ... " [3]

فسياق الآي يدل على أن إيمان السحرة بدعوة موسى عليه السلام كان أمرا حاصلا قبل مخاطبة فرعون إياهم ، فهو إذا لا يفيدهم بالإخبار أمراً يجهلونه، أو أنه يستعلم بالاستفهام أمرا يجهله، و من ثَمَّ أدرك الموجهون الأُوَل أن كلا الأسلوبين قد تجاوز حدود معناه الأصلي إلى الدلالة على معان ثوان أملاها السياق بمعونة القرائن، و هم

---

[1]- الحجة للقراء السبعة ج: 4- ص: 70، 71، و ينظر : الحجة في القراءات السبع . ص : 161 و إعراب القراءات السبع ج:1-ص:201، و حجة القراءات. ص: 293، و البحر المحيط ج: 4- ص:365، و الدر المصون ج: 3- ص: 323.

[2]- الحجة للقراء السبعة ج: 5- ص:342، و ينظر الكشاف ج: 2- ص:141، و الجامع لأحكام القرآن ج: 7- ص: 260، و التفسير الكبير ج:14- ص:216 و تفسير النسفي ج:2-ص: 70، و إرشاد العقل السليم ج:2- ص:389، و فتح القدير ج:2- ص:234، ج: 3-ص:376، و روح المعاني ج: 16-ص: 231، والتفسير الكبير للرازي- ج:14- ص:216.

[3]- الكشف ج: 1-ص:473، و ينظر: تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب ج:4-ص:205، و روح المعاني ج: 9- ص: 27.

يقرون ذلك دون الدخول في مهمه الجدل أو تحكيم معايير غير فنية، و إنما كان عمدتهم في ذلك هو استقراء نسق الآي التي وجهوها مع ربطه بسياقه القرآني العام .

4- تتبدى هذه المفاهيم جليا في توجيه قراءتي (أئنك) بهمزتين أو بهمزة واحدة على الاستفهام و الإخبار في الآية التالية من سورة يوسف.

أ. الآية :

يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ . ﴾ [1]

ب. القراءات الواردة :

- قرأ الجمهور (أئنك) بهمزتين على الاستفهام و هم على أصولهم في التحقيق و التسهيل .
- وقرأ ابن كثير و أبو جعفر بهمزة واحدة .
- و قرأها أبي (أئنك أو أنت) [2].

ج. دلالة القراءات.

صرح مكي بأن حجة من قرأه على الخبر أنهم لما عرفوا يوسف، و تيقّنوا أنه هو، أتو بـــ (إن) التي لتأكيد ما بعدها ، و استغنوا عن الاستخبار؛ لأن شيء قد ثبت عندهم، فلا معنى للاستخبار عنه، و حجة من استفهم أنه أتى بلفظ الاستفهام الذي معناه الإلزام و الإثبات لم يستخبروا عن أمر جهلوه ، إنما أتوا بلفظ يحققون به ما صحّ عندهم من أنه هو يوسف ، كما قال فرعون للسحرة بعد أن صح عنده إيمانهم

---

[1]- سورة يوسف الآية : 89، 90 .

[2]-ينظر السبعة 351 و الإتحاف ج: 2-ص: 153، و المحتسب ج:1-ص:349، و الكشاف ج: 2- ص: 502، و البحر المحيط ج: 5- ص:342.

و عاينه(آمنتم به) على طريق التوبيخ لهم بما فعلوه...بلفظ الاستفهام الذي معناه الإلزام و الإثبات ، لم يستخبرهم عن ذلك ، لأنه أمر قد علمه وتيقنه من فعلهم " [1].

و كأن أحس بما أحس به غيره من أن اختلاف معنى الأسلوبين يزيد من احتمال تغاير معنى القراءتين ، و بخاصة إذا ذهبنا إلى القول باتحاد المخاطبين الذين صدر عنهم هذا القول، فحمل الإخبار على التقرير و التمس للاستفهام معنى ثانيا يؤول إلى معنى الإخبار، غير أن أبا شامة يذكر لنا رؤى أخرى ذهبت إلى أن الاستفهام في قراءة الجمهور يحتمل " أن يكون على الحقيقة ، و لم يكن بعد قد تحقق عندهم ، و تكون قراءة ابن كثير على حذف همزة الاستفهام، كما قيل ذلك في قوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[2] أي : أو تلك نعمة ؟ و له

نظائر ، و يحتمل أن يكون استفهاما على سبيل الاستغراب و الاستعظام، و إن كانوا قد عرفوه حق المعرفة، أي : إنك لهو ، و نحن و أنت يعامل بعضنا بعضا معاملة الغرباء، و لعل بعض الإخوة قالوه خبرا و بعضهم استفهاما فجاءت القراءتان كذلك " [3].

و ذلك يعني أن كل قراءة من القراءتين تصور موفقا لبعضهم ؛ إذ وردت حكايته بالإخبار عمن عرفوه يقينا ، كما وردت بالاستفهام عمن استغربوا أن يكون هو يوسف الذي يعرفون من أمره على ما كان منهم، و قد نقل لنا النسق القرآني

---

[1]- الكشف ج: 2-ص:14، و ينظر : إتحاف فضلاء البشر ج:2- ص:153.

[2]- سورة الشعراء ، الآية : 22.

[3]-أبو شامة الدمشقي- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع –ت: إبراهيم عطوة عوض- القاهرة- نشر مصطفى الحلبي- 1987- ص:536،والسمين الحلبي- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- ت:علي محمد عوض وآخرون-بيروت- دار الكتب العلمية –ط.1-1994- ج:4- ص:211،وينظر: الحجة للقراءة السبعة ج:4-ص:447، و الحجة في القراءات السبع- ص: 198 ،و إعراب القراءات السبع ج:1- ص: 536، و حجة القراءات ص: 363،و الكشاف ج:2-ص:502 و الجامع لأحكام القرآن ج: 9-ص:256 و البحر المحيط ج: 5- ص:342، ، و معترك الأقران ج: 3- ص:191، 192، و إرشاد العقل السليم ج: 3- ص: 184، و حاشية الشهاب ج: 5-ص: 204، و روح المعاني ج:13- ص: 48.

ذَيْنَ الموقفين بتغاير الحرفين في القراءة ، و ذلك ضرب من الإيجاز البلاغي الذي ينفرد به الذكر الحكيم .

و لكنا إذا عاودنا النظر في سياق قصته عليه السلام كرة أخرى أدركنا جدوى القول بإمكان حمل قراءة ابن كثير على الاستفهام محذوف الأداة على ما ارتأى غير واحد من العلماء ، و بذلك يوحي كلا الوجهين بمعنى التعجب و الاستغراب، و ربما يأيّد ذلك بما ذكره الزمخشري في قراءة أبي رضي الله عنه " على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ، و هذا كلام مُتعَجِّب مستغرب لما يسمع فهو يكرِّر الاستثبات " [1] و ذلك بالنظر إلى ما فعلوه معه من قبل ، و ما عاينوه بعدُ من المكانة التي مَنَّ الله بها عليه بصبره و تقواه .

1- الكشاف ج:2- ص:502، و ينظر : المحتسب ج: 1- ص: 349، و البحر المحيط ج: 5- ص:342 و إرشاد العقل السليم ج: 3- ص: 184.

5- كما شاع مثل ذلك النظر في توجيه قراءتي (أصطفى) في الآية الموالية

أ. الآية :

يقول الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [1]

ب. القراءات الواردة :

- قرأ الجمهور (أصطفى) بقطع الهمزة مفتوحة
- وقرأها حمزة و نافع في رواية إسماعيل و شيبة(اصطفى) بوصل الألف [2].

ج.دلالة القراءات :

ذهب الفارسي إلى أن قراءة الجمهور بالاستفهام هي الوجه على معنى التقريع لهم بذلك و التوبيخ ، رابطا ذلك – على عادته– بمتشابهه من آى التنزيل الذي تردد في قوله سبحانه ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ [3]،

و قوله : ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [4]

---

[1]- سورة الصافات الآية : 151- 154 .

[2]- السبعة ، ص : 549، و البحر المحيط ج: 7-ص: 377.

[3]- الزخرف ، الآية : 16.

[4]- الطور ، الآية : 39.

و قوله : ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [1]، "فكما أن هذه المواضع لـــها استفهام ، كذلك قـــوله : ﴿اصطفى البنات ﴾ و غيـــر الاستـــفهام ليس باتجاه الاستفهام " [2] ؛ إذ رأى أنه خبر على حذف القول أو البديلة من قولهم ﴿ ولد الله ﴾.

و رأى الزمخشري أن " هذه القراءة — و إن كان هذا محملها — فهي ضعيفة ، و الذي أضعفها : أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها ، و ذلك قوله ﴿و إنهم لكاذبون ﴾ ﴿ما لكم كيف تحكمون ﴾ ؟ فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين " [3].

أما أبو حيان فقد جعلها من كلام الكفار ؛ إذ " حكى الله تعالى شنيع قولهم، و هو أنهم ما كفاهم أن قالوا ﴿ولد الله ﴾ حتى جعلوا ذلك الولد بنات الله، و الله تعالى اختارهم على البنين " ثم فنَّد رأى الزمخشري فذهب إلى أنها " ليست دخيلة بين نسيبين بل لها مناسبة ظاهرة مع قولهم ﴿ولد الله﴾، و أما قوله : ﴿ و إنهم لكاذبون ﴾ فهو جملة اعتراض بيـــن مقالتي الكفر، جاءت للتشديد و التأكيد في كون مقالـــتهم تلك هي من إفكهم " [4].

---

[1]- النجم ، الآية : 21.

[2]- الحجة للقراء السبعة ج: 6-ص: 64، 65، و ينظر : حجة القراءات ص 612، و التفسير الكبير ج:26 -ص:168، وينظر: الهمداني حسين بن أبي العز — الفريد في إعراب القرآن — ت: محمد حسن النمر وفؤاد علي مخيمر-قطر-دار الثقافة-ط.1-1411هـ -ج:4-ص:177،و178.

[3]- الكشاف ج:4- ص :64، و يوازن بالبحر المحيط ج:7-ص:376، 377، و حاشية الشهاب ج:7- ص: 288، 289.

[4]- البحر المحيط ج: 7- ص: 276، 277، و ينظر : الدر المصون ج:5- ص:514، 515، و حاشية الشهاب ج: 7- ص: 288.

و لكن الفراء الذي حمل قراءة الجمهور على التوبيخ، يرى أن ذلك المعنى قائم على وجهي القراءة كليهما : " و قد تطرح ألف الاستفهام من التوبيخ ، و مثله قوله : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ ﴾ [1] يستفهم بها و لا يستفهم ، و معناهما جميعا واحد " [2].

و يبدو أن ذلك هو ما جعل العكبري يحمل القراءة بلفظ الإخبار على إرادة الاستفهام محذوف الأداة، مستدلا على ذلك من مساق قول ابن أبي ربيعة :

ثُمَّ قَالُوا : تُحِبُّهَا ؟ قُلْتُ بُهْرًا *** عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ [3]

و يحمل العلماء على هذا الوجه مواضع قرائية أخرى [4]، و قد صوغ لهم ذلك أن أوجه تغايرها انصب في أغلب أحواله على إثبات الهمزة أو حذفها، و الهمزة كما هو

1- سورة الأحقاف ، الآية : 20.

2- معاني القرآن ج:2- ص:394، و ينظر : معاني القرآن للنحاس ج: 6 – ص:64، و الجامع لأحكام القرآن ج: 15- ص:33، 134 و فتح القدير ج: 4- ص :313، 414، و روح المعاني ج: 23- ص: 150، و قد قرئت آية الأحقاف بالوجهين كذلك، و ينظر في توجيهها مثلا : معاني القرآن للفراء ج: 3-ص: 54، و معاني القراءات للأزهري ج: 2- ص: 382، و الحجة للفارسي- ج: 6- ص:188، 189، و حجة القراءات ص 665، و المحرر الوجيز ج: 15-ص:29، و البحر المحيط ج:8- ص:63، و الدر المصون ج:6ص-140، و حاشية الجمل 132، و فتح القدير ج: 5-ص:21، و روح المعاني ج: 26-ص: 23.

3- ينظر : التبيان في إعراب القرآن ج: 2- ص:1094.

4- منها مثلا: الآن في قوله تعالى ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ البقرة : 71.

و (أئن) في قوله تعالى ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾الأعراف : 113.

و (أبشرتموني) في قوله تعالى : ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ الحجر : 54.

و (اتخذناهم) في قوله تعالى : ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريا﴾ ص: 63.

و (أن) في قوله تعالى ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ القلم : 14.

و (ألهاكم) في قوله تعالى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ(1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(2)﴾ التكاثر : 1، 2.

معهود أمّ أدوات الاستفهام ؛ لذلك خصوها بأحكام انفردت بها عما سواها [1] كان أهمها جواز حذفها إذا دل على ذلك دليل من المقال أو المقام .

و كان دليل العلماء الذي استصحبوه و نصوا عليه- كما اتضح ههنا- هو نسق الآي في مقامها و سياقها القرآني العام ؛ و هم عندما قالوا بإمكان حمل بعض المواضع التي قرئت بلفظ الإخبار على الاستفهام ، كانوا يدركون – فيما أرى – ما لطرائق أداة الآي عند التلاوة من أثر في المعنى و اختلافه ، و ربما ذهب من اختار ذلك الوجه القرائي إلى التخفيف اعتمادا على أن طريقة أداء الآية عند تلاوتها بنغمة استفهامية لتشعرنا في كثير من المواضع بوجود أداة الاستفهام و معناه .

و هذا الذي أدركه القدماء و أشاروا إليه أحيانا [2] هو ما هو ما اصطلح المحدثون على تسميته باسم التنغيم الذي يقوم في الكلام المنطوق مقام علامات الترقيم في الكلام المكتوب [3].

---

[1]- ينظر في ذلك : كتاب سيبويه ج:1- ص:99، ج:4- ص:217، و شرح المفصل لابن يعيش ج:8- ص:151، و جواهر الأدب للإربلي ص 21، و ما بعدها ،الحسن بن عاصم المرادي في ضروف المعاني – ت . فخر الدين قباوة و محمد فاضل – بيروت منشورات دار الآفاق الجديدة – ط . 2 – 1983 . و الجني الداني ص 31 و ما بعدها ، ص 34-36، و مغني اللبيب بحاشية الأمير ج:1- ص:11 و ما بعدها .

[2]- كذلك الذي أشار إليه ابن جني في قوله " و قد حذفت الصفة و دلت الحال عليها ، و ذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل، و هو يريدون : ليل طويل ، و كأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ؛ و ذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح و التطريح و التفخيم و التعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك ، و أنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته ، و ذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه ، فتقول : كان و الله رجلا ! فتزيد في قوة اللفظ بـــ(الله) هذه الكلمة ، و تتمكن في تمطيط اللام و إطالة الصوت بها عليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك" الخصائص ج: 2- ص: 370، 371، و ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ج: 3-ص:785، و المثل السائر ج:2- ص: 346، 247، و المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص: 106، 107، الخانجي الطبعة الثانية 1985، و من وظائف الصوت اللغوي ص: 58 للدكتور أحمد كشك ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1983، و الأصول البلاغية في كتاب سيبويه ص 346.

[3]- ينظر في ذلك مثلا : دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ص: 47، الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة 1976 و اللغة العربية معناها و مبناها للدكتور تمام حسان 226 و ما بعدها ، هيئة الكتاب ، الطبعة الثانية 1976 و المدخل إلى علم اللغة ص: 106، 107، و في التحليل اللغوي : للدكتور خليل عمارة ص 148 و ما

و لقد كان لمسلك علمائنا الأقدمين ، حيث ألحوا دائما على تقدير المحذوف من الأدوات في مواضعه ، ما يبرره، إذ لم يكن لديهم نظام الترقيم كالذي نعرفه الآن، فضلا عن أن التراث قد وصلنا مكتوبا تتضح فيه العلاقات بالأدوات ، و ليس منطوقا تتضح فيه العلاقات بالنغمات[1] فاستعاضوا بتقدير المحذوف و المحافظة على ذكره عن ذلك ؛ ضمانا لأمن اللبس في المعنى ، و لم يكن مسلك علماء القراءات من ذلك ببعيد .

بعدها، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الأولى 1987، و نحو المعاني ، للدكتور أحمد عبد الستار الجواري ص: 77، 78، المجمع العلمي العراقي 1978، و من وظائف الصوت اللغوي ص: 110.

[1]- ينظر : اللغة العربية معناها و مبناها ص : 227، 228.

6- و يتصل بهذه الظاهرة ما اجتمع فيه استفهامان ، و تغايرت قراءاته تغايرا منتشرا حيث حل في مواضعه من أي التنزيل ، فيقرأ بعض القراء بهما جميعا و يكتفي آخرون بالأول عن الثاني أو العكس و من ذلك :

أ. الآية :

قال الله تعالى:﴿ ۞وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [2]

ب. القراءات الواردة :

- قرأ نافع والكسائي ويعقوب بالاستفهام بالأول والإخبار في الثاني .
- وقرأها ابن عامر وأبو جعفر بالإخبار في الأولى والاستفهام في الثانية.
- وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما.[3]

---

[1]- سورة الرعد ، الآية : 5.

[2]- سورة الواقعة، الآية : 47.

[3]- ينظر في إسناد هذه الأوجه : السبعة ص 285، 286، و النشر ج: 1-ص:372 و ما بعدها ، و إتحاف فضلاء البشر ج:2- ص:54، 160، 161، و إبراز المعاني ص 478، 546، و البحر المحيط ج:4- ص: 334، ،والحجة لابن خالويه 200، و341 و قد ترددت هذه الظاهرة كذلك في آيات : الأعراف ج:7- ص: 80، و الإسراء ج: 17-ص:49، 98، و المؤمنون ج: 23- ص:81، 82 و العنكبوت ج: 29- ص: 28، 29، و السجدة ج: 32- ص: 10، و الصافات ج: 37- ص:16،18، 53، و النازعات ج:79- ص: 10، 11.

ج.دلالات القراءات:

كان للعلماء رؤيتان ، تفرد بإحداهما أبو زرعة، ففرق بين أوجه قراءتها على الإخبار و الاستفهام ، ثم راح يلتمس لكل اختيار حجته ، فكانت حجة من قرأ الأول على الخبر " أن الاستفهام منهم على إحيائهم بعد الممات ، و لم يستفهموا في كونهم ترابا؛ لأنهم كانوا يعلمون أنهم يصيرون ترابا و ما كانوا ينكرون، و إنما أنكروا البعث و النشور، فيجب على هذا أن يكون موضع الاستفهام في الكلمة الثانية في قوله ﴿ **أئنا لفي خلق جديد** ﴾ لا الأولى ، و ذهب كذلك إلى أن حجة من استفهم في الأول " أن الاستفهام إذا دخل في أول الكلام أحاط بآخره.. و أخرى : لما كان أحد الاستفهامين علة للآخر كان المعنى في أحدهما ، و كان الآخر علة له يقع لوقوعه و يرتفع بارتفاعه ... و كذلك كونهم ترابا و موتهم علة لإحيائهم و رجوعهم خلقا جديدا، فلما كان ذلك كذلك جعل الاستفهام لما هو سبب للإحياء و هو الموت و التراب ". أما من قرأ بالاستفهامين معا فقد أعاده " في موضعه الذي هو فائدة السامعين في استفهامهم، و العرب إذا بدؤوا بحرف قبل الموضع الذي أرادوا إيقاعه فيه أعادوه في موضعه ... و قد قيل : إن الاستفهام الأول رد على كلام محذوف ، كأنهم قالوا لهم : (إنكم مبعوثون بعد الموت) ، فردوا الاستفهام ، و قالوا " إئذا كنا ترابا ؟ " [1].

و لكنها رؤية – على وجاهتها – قد شغلت نفسها بتصيد علل الاختيار و التفريق الوهمي بينها ، عن ملاحظة عنصر السياق الذي يشعرنا في كثير من الأحيان بوجود لفظ الاستفهام و مفهومه الذي دار- حسبما يشير إليه مقام

1- حجة القراءات ص 37- 372.

الخطاب- حول معاني الإنكار و الاستبعاد و السخرية ممن يعتقد البعث و النشور بعد الموت و الفناء .[1]

و هذا ما لحظته الرؤية الأخرى التي ارتآها معظم علماء القراءات و أجملها مكي حين ذهب إلى أن حجة "من استفهم في الأول و الثاني أنه أتى بالكلام على أصله في التقرير و الإنكار ، أو التوبيخ بلفظ الاستفهام ، ففيه معنى المبالغة و التوكيد، فأكد بالاستفهام هذه المعاني ، و زاده توكيدا بإعادة لفظ الاستفهام في الثاني ، فأجراهما مجرى واحدا ، و حجة من أخبر في أحدهما و استفهم في الآخر، أنه استغنى بلفظ الاستفهام في أحدهما عن الآخر؛ إذ دلالة الأول على الثاني كدلالة الثاني على الأول، و أيضا دخل عليها حرف الاستفهام ، فاستغنى عن الاستفهام في الثاني بالأول" [2].

و يؤيده كذلك ما ذهب إليه ابن جني في توجيه قراءة موضعي الواقعة بالإخبار كليهما ؛ إذ جعل "مخرج هذا منهم على الـــهُزْءِ ، و هذا كما تقول لمن تهزأ به : إِذَا

1- ينظر : أحمد سعد محمد – التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – القاهرة ، مكتبة الآداب – ط.1- 1418 هـ- 1998 م – ص: 220.

2- الكشف ج: 2- ص:21، و ينظر كذلك : وابن جزي الكلبي – كتاب التسهيل لعلوم التنزيل- بيروت- دار الكتاب العربي- ط.4- 1973م- ج:2-ص: 130،و131 ،والنيسابوري الحسن بن محمد القمي – غرائب القرآن ورغائب الفرقان- مطبوع بهامش جامع البيان للطبري- ج:20-ص:14، والخفاجي الشهاب – حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي – بيروت- دار صادر-د.ط- د.ت- ج:4-ص:186،وج:7-ص:56،و 265،وج:8-ص:145، 314، وسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل – الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية – القاهرة-دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي)- د.ط- د.ت- ج:2-ص:491 ،و معاني القرآن و إعرابه 168/4، و إعراب القرآن للنحاس ج: 2- ص: 137، 138، ج: 3- ص:219، 220، و معاني القراءات للأزهري ج:2- ص:258، 259، و الحجة للقراء السبعة ص:4- ص:45 و الحجة في القراءات السبع ص 158، و الكشف ج:1- ص:468، و المحرر الوجيز ج:1- ص: 12، ج:15- ص:375، و الجامع لأحكام القرآن ج:7- ص: 245، 246، ، و البحر المحيط ج:4- ص:334، ج:5-ص:365، ج:7-ص:355، و الدر المصون ج: 4-ص:227، 228، و إرشاد العقل السليم ج: 3-ص:200، ج:4-ص:389، ج:5-ص:465، 466،، 491، و فتح القدير ج:2- ص:222، ج: 5-71، وروح المعاني ج:20- ص:153، ج:21- ص: 125.

نَظَرْتَ إِلَيَّ مِتُّ مِنْكَ فَرَقاً ، و إذا سألتك جممت لي بحرا، أي : الأمر بخلاف ذلك، و إنما أقوله هازئا ، و يدل على هذا شاهد الحال حينئذ، و لو لا شهود الحال لكان حقيقة لا عبثا ، فكأنه قال : إذا متنا و كنا ترابا بعثنا ، ودلّ قوله : ﴿أئنا لمبعوثون﴾ على بعثنا" .[1]

و ما شاهد الحال الذي عناه ابن جني ههنا إلا سياق الآية و مقامها الذي يشي بمعنى الإنكار و الهزء و السخرية ، و تلك معان لا شك أن القراء – علاوة على اتباعهم الأثر – قد أدركوها إدراكا في اختياراتهم ، فاختار بعضهم القراءة بلفظ الاستفهام لاعتقاده بأنه الأنسب في تصوير هذه المعاني ، و اختار آخرون لفظ الإخبار تخفيفا و اتكالا على أن قرائن الحال و طريقة أداء الآية عند تلاوتها تشعرنا بهذه المعاني و تنقلها إلينا كاملة غير منقوصة ، و طرائق الأداء هذه عُلِمَ بالتواتر أنّها لا تنتقل من قارئ إلى آخر إلا بالمشافهة على يد مُوَقِّف يتحمل القراءة و يجيد أداءها.

---

[1]- المحتسب ج: 2- 309.

7- ويشير العلماء إلى أن هناك مواضع أخرى تتجاوز حدود ما احتملته طرائق قراءتها من تقارب أو اتحاد بين أسلوبي الإخبار و الاستفهام، إلى الإفصاح عن تغايرهما ؛ حتى تكتمل المعاني و تستوفي مقتضيات الخطاب ، من ذلك ما فطن إليه ابن جني في توجيه بعض قراءات (شهادة الله) من سورة المائدة

أ. الآية :

قال تعالى : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ [1]

ب. القراءات الواردة :

- قرأ الشعبي (شهادةْ ألله) بجزم شهادة مع الوقف ، وقصر الله .[2]
- وقرأ الباقون (شهادةَ الله) بفتح التاء والإضافة .

دلالات القراءات :

أدرك ابن جني ما لتغاير القراءات من أثر في إبراز القسم و الاهتمام ببلاغته في السياق فقال: " و أما سكون هاء (شهاده) فللوقف عليها ثم استؤنف القسم ، و هو وجه حسن ؛ و ذلك لـيُستأنف القسم في أول الكلام، فيكون أوقر له و أشدّ هيبة من أن يدرج في عُرض القول، و ذلك أن القسم ضرب من الخبر يُذْكَر ليؤكد به خبر آخر، فلمّا كان موضع توكيد مُكِّن من صدر الكلام ، و أعطى صورة الإعلاء و الإعظام... و يؤكد عندك شدة الاهتمام بهذا القسم لما فيه - مجيئه و حرف الاستفهام قبله ، فكأنه – و الله أعلم- قال : أُنْقْسم بالله إنَّا لمن الآثمين، ففي

1- سورة المائدة ، الآية : 106.

2- المحتسب ج:1- ص:329،330.

هذا تهيب منهم للموضع ، و تكعكع عن القسم عليه باستحقاق الظلم عنه ، كأنه يريد القسم بالله عليه كما أقسم في الأخرى بلا استفهام ، ثم إنه هاب ذلك ، فأخذ يشاور في ذلك كالقائل : أَوُقْدِم على هذه اليمين يا فلان أم أتوقف عنها إعظاما لها و لارتكاب ما أُقسم عليه بها "[1].

[1]- المحتسب ج: 1- ص:330، و ينظر : المحرر الوجيز ج:5-ص:222، 223، و الفريد ج:2-ص:98، و البحر المحيط ج:4- ص:44.

8- تعددت تفسيرات العلماء التي تمخضت عن أسلوبي قراءة كلمة (السحر) بالإخبار و الاستفهام تبعا لاختلاف نظرهم إلى السياق.

أ. الآية :

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [1]

ب. القراءات الواردة :

- قرأها جمهور القراء بهمزة وصل على الإخبار.
- وقرأها أبو عمرو و أبو جعفر بهمزة قطع ممدودة على الاستفهام وافقهما اليزيدي، و الشنبوذي [2] .

دلالات القراءات :

اختار الطبري وجه الإخبار " لأن موسى صلوات الله و سلامه عليه لم يكن شاكّا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه أيّ شيء هو ؟ ... و لكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحق الذي آتاه، و مبطل كيدهم بجدّه، و هذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه و سلم من الأخرى" [3].

---

[1]- سورة يونس ، الآية 81.

[2]- ينظر: السبعة ص 328،و البحر ج:5-ص:182، 183، و إتحاف فضلاء البشر ج:2-ص:118،جامع البيان - ج:11- ص: 102.

[3]- جامع البيان- ج : 11- ص:102، 103.

يلتمس معظمهم لكل قراءة وجها بلاغيا مناسبا لسياقهم ، فيرون أن قراءة الإخبار تتضمن- كما هو ظاهر من كلام الطبري- معنى التقرير ، و التعريض بكون ما جاء به السحرة هو السحر لا ما حكموا به على آيات موسى عليه السلام من قبل. أما قراءة الاستفهام فقد لحظوا أنها أحدثت تغيرا في نسق جملتها و طريقة أدائه ؛ إذا تولد استفهام آخر يجوز لنا الوقف عليه وقفا حسنا [1] في قوله (ما جئتم به ؟) بـــمعنى : أي شيء جئتم به ؟ آلسحر هو ؟

و لا شك أنهم تمثلوا هذا الوقف ، و أحسوا بما ينطوي عليه من تغيّر في تنغيم الصوت بالاستفهام عند التلاوة ، و من ثمّ أوحت لهم تلك القراءة بمعان متعددة تدور حول الإنكار و التوبيخ و التقرير و التصغير و التحقير من شأن ما جاء به السحرة من السحر و التخييل [2] و هي معان أحسب أنها ههنا تدرك بالأُذُن و تَمثُّل المقام ، و ليس للكَتْبِ في وصفها من سبيل .

و يستوقف ابنَ المنيَّرَ هذا التغايرُ بين وجهي القراءة مع كون المحكي عنه واحد ، فيعلل له تعليلا مسهبا رابطا بينه و بين سياقه في السورة نفسها ، و لا سيما قراءة الاستفهام التي استشكلها الطبري من قبل ، فقال : " و أما القراءة الثانية ففيها و الله أعلم – إرشاد إلى قول موسى عليه السلام

---

[1]- ينظر:الأشموني أحمد بن عبد الكريم - منار الهدى في بيان الوقف و الابتداء – القاهرة- مطبوعة مصطفى الحلبي – ط.2- 1973- ص :179.

[2]- ينظر : معاني القرآن للنحاس ج:3-ص:308، و إعراب القراءات السبع ج:1-ص:272، و الحجة في القراءات السبع ص 183 ،و الحجة للقراءة السبعة ج: 4-ص: 290، و حجة القراءات ص 335، و الكشف ج: 1-ص:521، 522، و مشكل إعراب القرآن ج:1-ص:351، 352، و الكشاف ج: 2-ص:362، 363، و المحرر الوجيز ج:8-ص:75، 76، و التفسير الكبير ج: 17-ص:150،149، و الفريد ج: 2-ص:583، 584، و إبراز المعاني ص 509، و الجامع لأحكام القرآن ج:8-ص:268، و غرائب القرآن ج:11-ص: 107، و البحر المحيط ج: 5-ص: 182، 183، و الدر المصون ج:4-ص:58-61 ، و حاشية الشهاب ج: 5- ص: 52، و روح المعاني ج:11- ص: 166، 167.

﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ [1] حكاية لقولهم ، و يكون (أسحر هذا) هو الذي قالوه ، و لا يناقض ذلك حكاية الله عنهم أنهم قالوا ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [2] و ذلك إما لأنهم قالوا الأمرين جميعا : بدءوا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق و الاستهزاء بكونه حقا ، و الاستهزاء بالحق إنكار له ، بل قد يكون الاستفهام في بعض المواطن أبت من الإخبار، ألا ترى أنهم يقولون في قوله: أأنت أمْ أمٌّ سالم ؟ أبلغ في البيت من قوله مخبرا : أنت أم سالم [3]، ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة ببتّ الإنكار و دعوى أنه سحر فقالوا : (إن هذا لسحر مبين) فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثاني و وبّخهم موسى على قولهم الأول ، و معنى العبارتين و قولهما واحد ، و إما أن لا يكونا قالوا سوى(أسحر هذا) على سبيل الإنكار حسبما تقدم ، فحكاه الله عنهم بمآله ، لأنّه يعلم أنّ مرادهم من الاستفهام الإنكار وبتّ القول أنّه سحر وحكى موسى عليه السلام قولهم بلفظه، و لم يؤده بعبارة أخرى ، و حكاية القصص المتلوة في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا محمل لها سوى أنها معان منقولة إلى اللغة العربية ، فيترجم عنها بالألفاظ المترادفة المتساوية المعاني ، و حاصل هذا البحث : أن قول موسى عليه السلام (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) ؟ إنما حكى فيه قولهم ، و يرشد إلى ذلك أنه كافأهم عندما أتوا بالسحر بمثل مقالتهم مستفهما ، فقال : ما جئتم به آلسحر ؟ على قراءة الاستفهام قرضا بوفاء على السواء ، و الذي يحقق لك أن الاستفهام والإخبار في مثل هذا المعنى مؤداها واحد : أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام (ما جئتم به السحر) على الوجهين : الخبر و الاستفهام ، على ما اقتضته القراءتان ..." [4] فراعت كل قراءة من القراءتين جانبا من السياق قبلها فنقلت لفظه أو ترجمت عن معناه .

---

[1]-سورة يونس الآية : 77.

[2]- سورة يونس الآية : 76.

[3]- ينظر في ذلك : الخصائص 458، 459 و الإنصاف 481/2، و جواهر الأدب 261.

[4]- حاشية الانتصاف ج: 2-ص:362، 363.

أظن ظنا أن تحليلا مثل هذا يصدق على كثير من المواضع التي حكاها الذكر الحكيم على ألسنة العجم و تغايرت فيها أوجه القراءة ، الأمر الذي يجعلنا نفكر مليا في مسلك بعض الموجهين الذين اعتادوا تخطئة بعض القراءات أو المفاضلة بينها باختيار بعضها على بعض دون سند أو دليل سوى تحكيم ذوقهم أو الانتصار لمذهبهم ، إنّ مجرد قبول احتمال من هذا النوع ربما يهدينا بالمراس و إخلاص النية في المستقبل إلى توجيهات أخر للقراءات غير تلك التي نتغياها ههنا و نطرب لها أحيانا.[1]

---

[1] - ينظر: أحمد سعد محمد- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية -ص:225.

9- و من تغاير أسلوب الخبر والاستفهام في القراءات موضع (أعجمي) من سورة فصّلت.

أ. الآية :

يقول الله تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [1]

ب. القراءات الواردة :

- قرأ الجمهور(أأعجمي) بالاستفهام .
- و قرأها الحسن ، و أبو الأسود ، و الجحدري ، و سلام ،و الضحاك ،وهشام عن ابن عامر(أعجمي) بهمزة واحدة على الإخبار [2].

دلالات القراءات :

من قرأ بهمزة واحدة " فإنه جعل الكلام كله خبرا، حكاية عن قول الكفار أنهم قالوا : لولا فصلت آيات القرآن بعضه أعجمي و بعضه عربي، فيعرف العربي ما فيه من العربي و يعرف الأعجمي ما فيه من العجمي، و معنى القراءة بالاستفهام أنه على الإنكار منهم لذلك لأنه قال :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ منكرين أقرآن أعجمي و نبي عربي كيف يكون هذا ؟ فأخبر عمّا لم يكن لو كان كيف يكون، فبيّن أنه لو أنزل القرآن بلسان العجم لقالت قريش أقرآن أعجمي و نبي عربي إنكار منهم لذلك " [3].

---

[1]- سورة فصلت ، الآية : 44.

[2]- ينظر المحتسب ج: 2- ص:347، و البحر المحيط ج: 7- ص : 502.

[3]- الكشف ج: 2-ص:248، 249، و ينظر : حجة القراءات ص 637، و المحتسب ج: 2-ص:247، 248، و الحجة في القراءات السبع 317، 7، و الكشاف ج: 4-ص : 203، و الجامع لأحكام القرآن

و هذا لأن قريشا قالت – حسبما تردد في أسباب نزول الآية الكريمة – لولا أنزل هذا القرآن أعجميا و عربيا [1]، فتكون قراءة الإخبار قد قرّرت هذا المقترح أو أشارت إليه، و بيّنت قراءة الاستفهام تناقضهم فيه على وجه الإنكار و التعجب ؛ إذ كيف يستقيم لهم و هم عرب الألسن أن يقولوا هذه المقالة التي لا يتشادق بها في وجه الذكر المبين إلا متعنت أو معاند . يصور لنا نسق الآية إذاً كلَّ هذا مع الإيجاز في التعبير عنه على ما اقتضته القراءتان بتغاير الحرفين في التلاوة ليس غير ذلك .

ج: 15- ص:368، و369، و التفسير الكبير ج:27- ض:134، و حاشية الشهاب ج: 7-ص:402، و روح المعاني ج:24- ص:130.

[1]- ينظر : أسباب النزول للسيوطي ص :172، و الجامع لأحكام القرآن ج:15- ص: 369.

-10

أ. الآية :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1].

ب. القراءات الواردة :

- قرأها الجمهور بكسر ميم (مِن فرعونَ)
- و قرأ ابن عباس (مَن فرعونُ) بفتح ميم (من)ورفع نون (فرعون) [2].

ج.دلالات القراءات :

إنّ قراءة العامّة " بدل من العذاب المهين ، كأنه في نفسه كان عذابا مهينا ؛ لإفراطه في تعذيبهم و إهانتهم " أما من قرأ (مَن فرعونُ) فقد أراد معنى هل تعرفونه من هو في عتوه و شيطنته " [3] و هذا تحليل – كما أشار الشهاب و غيره [4] يحتمل معنى التعظيم و التهويل و هو مناسب لامتنان الله عليهم كما يحتمل معنى التحقير ، مثلما يقال لمن افتخر بحسبه و نسبه من أنت ؟ تحقيرا له و تصغيرا من شأنه، و كان

---

[1]- سورة الدخان ، الآية 30، 31.

[2]- ينظر : البحر المحيط ج: 8-ص: 37.

[3]- الكشاف ج:4- ص:278.

[4]- ينظر : حاشية الشهاب ج: 8- ص: 9، و تفسير النفسي ج: 4-ص:130، و غرائب القرآن ج: 25- ص:85، و البحر المحيط ج:8-ص:37، و الدر المصون ج:6-ص:116، و إرشاد العقل السليم ج:5-ص: 105، و روح المعاني ج:25-ج:125، كما ينظر : بغية الإيضاح ج:2-ص:51،50 113، و شروح التلخيص ج:2-ص:304 و ما بعدها ، و الإتقان ج:2-ص:103، شرح عقود الجمان ص 54، و معترك الأقران ج:1-ص: 438.

هذا الموضع من الأمثلة النادرة الواردة والتي أشار العلماء إلى تغايرها القرائي و أثره في اختلاف المعاني .

الفصل الثاني :

اختلاف القراءات

بين أسلوبي الخبر والأمر

ودلالته

الفصل الثاني : اختلاف القراءات بين أسلوبي الخبر والأمر ودلالته

يتوارد أسلوب الأمر الذي يقاسم الإخبار في القراءة بمعظم صيغه اللغوية المعهودة ، أما التوجيه اللغوي لأوجه التغاير بين الأسلوبين ، فيكاد ينحصر في مظهرين: أحدهما : ما احتمل سياقه و مقامه تغاير الوجهين، فيحمل كل أسلوب على ما يناسبه من المعنى، و الآخر : ما حمل وجه الإخبار فيه على معنى الأمر بأن اتخذت القراءة بلفظ الأمر- تحقيقا أو تقديرا — وليجة للتدليل عليه.

1- يظهر ذلك مما رده بعض موجهي قراءتي رفع (الحمد) و نصبه .

أ. الآية :

قال الله تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [1].

ب. القراءات الواردة :

- قراءة العامة بالرفع .(الحمدُ)
- و قرأها هارون العتكي و روبة و سفيان بن عيينة بالنصب.[2](الحمدَ)

ج. دلالة القراءات :

ذهب السمين إلى أن القراءة بنصب الدال فيها وجهان من الإعراب و المعنى :

" أظهرهما أنه منصوب على المصدرية ، ثم حذف العامل و ناب المصدر منابه كقولهم في الإخبار : حمدا و شكرا لا كفرا ، فهو مصدر نائب عن جملة خبرية ، و قال الطبري: إذ في ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه ، فكأنه قال : قولوا الحمد

---

[1]- سورة الفاتحة ، الآية: 1، 2.

[2]- ينظر البحر المحيط ج: 1-ص: 18.

لله... فعلى هذه العبارة يكون من المصادر النائبة عن الطلب لا الخبر ، و هو محتمل للوجهين، و لكن كونه خبريا أولى من كونه طلبيا ... " [1].

و قد بين الرازي علة ذلك فيما اتفق على قراءته في أول سورة الأنعام حين قال: " و إنما جاء على صيغة الخبر لفوائد : إحداها أن قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يفيد تعليم اللفظ و المعنى ، و لو قال : احمدوا ، لم يحصل مجموع هاتين الفائدتين ، و ثانيها: أنه يفيد أنه تعالى مستحق الحمد سواء حمده حامد أو لم يحمده ، و ثالثها: أن المقصود منه ذكر الحجة ، فذكره بصيغة الخبر أولى " [2].

و لكن الكرخي الذي استفاد من طرح البلاغيين يرى- فيما نقل عنه – احتمال قراءة العامة للأسلوبين على سبيل استعمال اللفظ في حقيقته و مجازه " و توجيه ذلك أن قائل : الحمد لله، لا يقصد به الإخبار عن حمد غيره، و لا الإعلام به اللذين هما فائدة الخبر أو لازم فائدته كما تقرر ذلك في فن المعاني ، إنما يقصد به إيجاد وصفه و صدور الحمد منه له تعالى؛ إذ الثواب إنما هو على ذلك لا على مجرد الإخبار " [3].

و ذلك يعني بوجه من الوجوه أن لفظ الإخبار الذي وردت به الآية الكريمة قد انصرف عن حقيقته في الإفادة أو لازمها إلى معنى الأمر بالثناء عليه سبحانه بهذه الصيغة نفسها دون سواها ، و أحسب أن قول الطبري : " إن في ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه " ينطوي على قدر كبير من تلك الرؤية دون الولوج في فذلكتها المنطقية التي أولع بها المتأخرون .

---

[1]- الدر المصون ج:1-ص: 65، و ينظر : جامع البيان ج:1-ص:60، 61، و معاني القرآن و إعرابه ج:1-ص:45، و البحر المحيط ج: 1-ص:18، 19، ينظر : كتاب سيبويه ج:1-ص:328- 331.

[2]- التفسير الكبير ج: 12- ص:154.

[3]- ينظر:سليمان بن عمر العجيلي - الفتوحات الإلهية ج:2 – ص: 3، و ج: 3-ص:2، و ج: 4- ص: 618.

2- كما يتضح هذا المظهر في موضعي (تؤمنون و تجاهدون).

أ.الآية :

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ [1].

ب.القراءات الواردة :

- قرأ ابن مسعود(تؤمنون و تجاهدون) بصيغة الأمر (آمنوا وجاهدوا).[2]
- وقرأ زيد بن علي (تؤمنوا وتجاهدوا) بحذف نون الرفع على إضمار لام الأمر.[3]
- وقرأ الجمهور (تؤمنون و تجاهدون) على رسم المصحف.

ج. دلالة القراءات :

فقد نسب بعضهم [4] القول بأنهما على قراءة الجمهور " خبر بمعنى الأمر" إلى المبرد و عزاه آخرون [5] إلى الزجاج ، كما ذهب إليه الزمخشري مبينا وجهه البلاغي حين قال :

---

[1]- سورة الصف ، الآية: 10، 11.

[2]ينظر:ابن خالويه – مختصر القراءات الشاذة–ص: 156.

[3]ينظر: الألوسي – تفسير الألوسي – ج:28–ص:89.

[4]- ينظر : المحرر الوجيز ج: 15–ص:509 و البحر المحيط ج: 8- ص:263، و روح المعاني ج:28–ص: 89.

[5]- ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ج: 7–ص: 48.

" و هو خبر في معنى الأمر ، و لهذا أجيب بقوله ﴿ يغفر لكم ﴾ و تدل عليه قراءة ابن مسعود : آمنوا بالله و رسوله و جاهدوا ، فإن قلت : لم جئ به على لفظ الخبر ؟ قلت : للإيذان بوجوب الامتثال ، و كأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين ، و نظيره قول الداعي : غفر الله لك و يغفر الله لك : جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت

و وجدت " [1].

و لم يكن صاحب الكشاف يصدر في ذلك عن فراغ ، و لكنه أفاده من سابقيه الذين أدركوا أن للتعبير بلفظ الإخبار عن معنى الأمر أو النهي أو عكسهما ، مزيَّته البلاغية التي تختلف أو تتغاير في كل موضع مواضعه في كلام العرب و الذكر الحكيم، دليل ذلك ما صرح به الزجاج في قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾[2] حين قال :" هذا لفظ أمر في معنى الخبر ، و تأويله أن الله عز و جل جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها و يَمدُّه فيها... إلا أن لفظ الأمر يؤكِّد معنى الخبر ، كأن لفظ الأمر يريد به المتكلم نفسه إلزاما ، كأن يقول: أفعل ذلك و آمر نفسي به، فإذا قال قائل :من زارني فلأكرمه فهو ألزم من قوله أكرمه ، كأنه قال : من زارني فأنا آمر نفسي بإكرامه و ألزمها ذلك " [3].

1- الكشاف ج: 4- ص: 526، 527، الجامع لأحكام القرآن ج: 18-ص:87، و البحر المحيط ج: 8- ص: 263، و الدر المصون ج:6-ص:312، و تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب ج: 8-ص:193، و البرهان للزركشي ج: 2-ص:289، 290، و روح المعاني ج:28-ص:89، كما ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ج: 2-ص: 436، و الإشارة إلى الإيجاز ص:27، و البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص 374.

2- سورة مريم ، الآية : 75.

3- معاني القرآن و إعرابه ج: 3-ص:343، و ينظر : معاني القرآن للنحاس ج:4-ص:353، و المحرر الوجيز ج:11-ص:52، و الجامع لأحكام القرآن ج:11-ص: 144، و كرر الزمخشري فحوى ذلك في آية مريم نفسها ، ينظر : الكشاف ج: 3- ص: 37

و من يـــمعن النظر في مضمون ما ذكره الزجاج و الزمخشري يدرك أن محصلته تكاد تكون متقاربة على الرغم من أنهما تعليلان لعدولين مختلفين يُفترَض – أسلوبيا- أن يختلف مدلولها البلاغي ؛ مما يجعل اعتبارهما بهذا الوجه مفضيا إلى التناقض أو التقريرية على أقل تقدير ، و يبدو أن الزمخشري قد أحس بذلك ، فحمل الآية على أصلها من الأمر الذي يشير إلى "معنى الدعاء بأن يـــمهله الله و ينفس في مدة حياته " [1] لأن القول بالعدول في هذه الأساليب لا يتأتى إلا إذا دل الكلام عليه [2].

كما أظن أن هذا التداخل هو الذي دعا بعض المتأخرين [3] إلى الاختلاف حول أيهما أبلغ في الكلام ؟ أيكون في التعبير بلفظ الإخبار عن الأمر و النهي ؟ أم في عكسه ؟ و اللافت أنهم يكررون ما تقرر آنفا ، و يرون أنه هو الوجه في كل موضع أوثر فيه التعبير بأسلوب عن آخر ، لا لشيء سوى أنها صدرت عن بلاغي كالزمخشري ! لذلك أرى أن هذه العدول – إن كان ثمة عدول في الواقع – إنما هو نوع من الافتنان في الكلام ، ينبغي أن تُستْقَى مدلولاته البلاغية من خلال استقراء مقاماته و سياقاته، و ليس بمجرد الركون إلى مثل هذه التقريرات التي إن أصابت غرضها في موضع فلن توافقه في الآخر.[4]

---

[1]- الكشاف ج: 3-ص:37، و ينظر : الجامع لأحكام القرآن ج:11-ص:144، و البحر المحيط ج: 6- ص: 212، و تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب ج: 6-ص:177، 178.

[2]- ينظر : الكشاف ج:2-ص: 279.

[3]- ينظر في ذلك : البرهان في علوم القرآن ج:2-ص:290، 291، ج: 3-ص:351، 352، و معترك الأقران ج:1- ص: 260، 263، ج:2-ص: 67، و الإشارة إلى الإيجاز ص 27، 28.

[4]-يزداد هذا المعنى وهو تغاير طرائق التعبير في القراءات بتعاقب أسلوبي الإخبار والأمر في الأمثلة اللاحقة .

3- ومن تغاير طرائق التعبير في القراءات بتعاقب أسلوبي الإخبار و الأمر ، فتتغاير بذلك معانيها و مدلولاتها البلاغية ما ذهب إليه العلماء في موضعي (ليقولوا و ليتمتعوا) .

أ. الآية :

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [1]

وقوله تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [2]

ب. القراءات الواردة :

- قراءة الجمهور بكسر اللام في الموضعين .
- ووردت القراءة بإسكان اللام بلا نسبة في الأنعام و بها قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائي في العنكبوت ، و اختلفت الرواية فيه عن أب عمرو ونافع .
- و قرأها ابن مسعود (فتمتعوا – تعلمون) [3].

ج. دلالة القراءات :

فقد دعاهم الطرح اللغوي و سياق الموضعين إلى القول بأن للاّم المكسورة في قراءة العامة مدلولين : فإما أن ينصرف معناها إلى الصيرورة أو العاقبة على الإخبار من الله تعالى بما آل إليه حالهم بعد تصريف الآيات و الإنعام عليهم. أن قالوا تلك

1- سورة الأنعام ، الآية : 105.

2- سورة العنكبوت ، الآية : 66.

3- ينظر : السبعة ص 502، و البحر المحيط ج: 4-ص: 7، ج: 198- ص: 159.

الكلمة ، ثم جحدوا آلاء ربهم استمتاعا بالعاجلة ، و إما أن تكون لام الأمر على أصلها بالكسر [1].

قال النحاس في آية الأنعام "بإسكان اللام على الأمر و فيه معنى التهديد ، أي : فيقولوا ما شاءوا فإن الحق بيِّـــن .كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [2] ، فأما من كسر اللام فهي عنده لام (كي) قال أبو إسحاق الزجاج ، و أهل اللغة يسمونها لام الصيرورة " [3]

كما ذهب الفارسي إلى مثل هذا في آية العنكبوت ، فكان المعنى بالكسر في اللام أنهم"يشركون ليكفروا ، أي : لا عائدة لهم في الإشراك إلا الكفر فليس بردٍّ عليهم الشرك نفعا إلا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة ، و يجزم اللام : أراد الأمر على معنى التهديد و الوعيد كقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم ﴾ [4]، وقوله ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ [5] و نحو ذلك من الأوامر التي في معناها ... " [6].

1- ينظر: معاني الحروف للرماني ص 55، و ما بعدها ،و مغنى اللبيب بحاشية الأمير ج:1- ص:185، 186

2- سورة التوبة ، الآية : 82.

3- معاني القرآن ج:2-ص:469، 470، و ينظر : معاني القرآن و إعرابه ج:2-ص:280، و المحرر الوجيز ج: 6-ص:124، 125، و الجامع لأحكام القرآن ج:7-ص:59، و البحر المحيط ج:4- ص:197، 198.

4- سورة الإسراء ، الآية : 64.

5- سورة فصلت ، الآية : 40.

6-الحجة للقراء السبعة ج:5-ص:441، و ينظر : معاني القرآن للفراء 319/2، و معاني القرآن للنحاس ج:5-ص:337 و إعراب القرآن له ج: 3-ص: 273، و معاني القراءات للأزهري ج:2-ص:261، و الحجة في القراءات السبع ص 282، و حجة القراءات ص 555، و الكشاف ج:3-ص:464، و المحرر الوجيز ج:12-ص:238، 239، و الجامع لأحكام القرآن ج:13-ص:336، و الفريد ج:3-ص:233، و تفسير النسفي ج:3-ص:264، و البحر المحيط ج:7-ص:159، و مغنى اللبيب ج:1-ص:186، و حاشية الشهاب ج:7-ص:110، و الفتوحات الإلهية ج: 3-ص:383.

و يعضد ذلك المعنى القراءةُ بصريح الأمر ، و المواجهة بالخطاب في (فسوف تعلمون) الذي طالما يتردد في الذكر الحكيم متضمنا معنى التخويف و التهديد و الوعيد .

4- و كان أن تغايرت القراءة في بنية بعض الأفعال ، فتغاير بذلك أسلوب التعبير بها بين الإخبار و الأمر،و قد تردد ذلك في مواضع متعددة منها مثلا(فاسبقوا و انطلقوا).

أ.الآية :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ [1]

وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ [2]

﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [3]

ب.القراءات الواردة :

- قرأها الجمهور (فاستبقو) بفتح الباء فعلا ماضيا ، و قرأها عيسى بكسرها على الأمر [4].
- قرأها الجمهور(فنقبوا) بفتح القاف فعلا ماضيا ، و قرأها ابن عباس و أبو العالية و غيرهما بكسرها مشددة [5].

---

[1]- سورة يس ، الآية : 66.

[2]- سورة ق ، الآية : 36.

[3]- سورة المرسلات ، الآية : 29، 30.

[4]- ينظر : البحر المحيط ج:7-ص:344.

[5]- ينظر : المحتسب ج:2 - ص:285.

- قرأ الجمهور (انطلقو)بكسر اللام على الأمر ، وقرأها رويس عن يعقوب بفتحها ماضيا [1].

ج. دلالة القراءات :

قد ذهب أبو حيان إلى اختلاف معنى الأسلوبين في آية يس ، فجاءت قراءة الجمهور بالإخبار على سبيل الفرض و التقدير ، أما القراءة الأخرى بالأمر فهي " على إضمار القول ، أي : فيقال لهم: استبِقوا الصراط على سبيل التعجيز ؛ إذ لا يمكنهم الاستباق مع طمس الأعين فأنى يبصرون ، أي فكيف يبصر من طُمِس على عينيه ..." [2]

و هكذا الحال في آية (ق) التي جاءت قراءة العامة فيها تخبرهم عن قرون قبلهم كانوا أشد منهم نقبا في البلاد ، و وردت الأخرى خطابا للحاضرين ، ثم لمن بعدهم على الأمر للتهديد و الوعيد أي :"ادخلوا و غوروا في الأرض فإنكم لا تجدون لكم محيصا " [3].

أما آية المرسلات ، التي اختلفت قراءة فعلها الآخر ، فجاءت على قراءة الجمهور تكرارا للأمر الأول أو بيانا له، كما جاءت على لفظ الماضي "إخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه ؛ لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعا منه " [4] و في

1- ينظر البحر المحيط ج:8-ص:406 ، والإتحاف 430 ، والنشر ج:2-ص:397، وغيرها.

2- البحر المحيط ج: 7-ص: 344.

3- ينظر في ذلك : معاني القرآن للفراء ج:3-ص:79، 80، و إعراب القرآن للنحاس ج: 4-ص:231، و معاني القراءات للأزهري ج: 3-ص:28، و المحتسب ج: 2-ص:285، و الكشاف ج:4-ص:391، الوجيز ج:5- ص:87، 188، و الجامع لأحكام القرآن ج:17-ص:22، و الفريد ج: 4-ص:356، 357، و البحر المحيط ج:8-ص:129، و حاشية الشهاب ج:8-ص: 93، و فتح القدير ج:5-ص:80، و القراءات الشاذة و توجيها من لغة العرب للشيخ عبد الفتاح القاضي ص 84.

4- الكشاف ج:4- ص:68، و ينظر : البحر المحيط ج: 8-ص:406، و إرشاد العقل السليم ج:5- ص:445، و حاشية الشهاب ج: 8-ص: 298.

ذلك إشارة إلى تحقق الفعل توّا بعد الأمر به؛ إذ ليس لهؤلاء خيرة من أمرهم ، و لكنهم مضطرون طوعا أو كرها .

و يهدينا تتبع هذه الظاهرة إلى أن ثمة مواضع قرائية أخرى قلّما يتمخّض عن تغايرها تلك الأوجه البلاغية التي فطن إليها علماء القراءات وموجهوها منذ مرحلة باكرة، و خرج إليها هذا الأسلوب أو ذاك ، بل تتغاير قراءتها أو لنقل تتكامل بتعاقب الأسلوبين عليها؛ لتصور لنا الجوانب التعبيرية التي تم بها الحدث أو أُلقي بها الكلام ، و ذلك بالإشارة إلى ترتيبها بحسب ورودها في الواقع ، كأن يُعَدَّ أحد الوجهين سابقا على الآخر في القراءة أو مُترتبا عليه، أو باعتماد الوجهين معا للدلالة على استقصاء مقتضيات الخطاب و مقاماته مع الاقتصاد في التعبير عنها ، و هذه سمة أسلوبية غالبة يستطيع المرء أمن يلتمّسها بيُسر في غير قليل من قراءات الذكر الحكيم.

5- ومن مواضع التغاير بين أسلوبي الإخبار و الأمر ما جاء في سورة البقرة في لفظة (و اتخذوا).

أ. الآية :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [1].

ب. القراءات الواردة :

- قرأها نافع و ابن عامر بفتح الخاء على الإخبار .
- و قرأها الباقون بكسرها على الأمر [2].

ج. دلالة القراءات :

يلتمس مكي أبي طالب و غيره لكل قراءة وجها من النقل و السياق- إذ رأى أن القراءة بفتح الخاء قد وردت " على الخبر عَمَّن كان قبلنا من المؤمنين، أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى ، فهو مردود على ما قبله من الخبر و ما بعده ، و التقدير و اذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمنا ، و اذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مُصلًّى ، و اذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم ، فكله خبر فيه معنى التنبيه و التذكير لما كان ، فحمل على ما قبله و ما بعده ليَتَّفِقَ الكلام و يتطابق ...و بكسر الخاء على

---

[1]- سورة البقرة ، الآية : 125.

[2]- ينظر : السبعة ص 170، و النشر - ج:2 – ص:222، و إتحاف فضلاء البشر - ج:1 – ص:417.

الأمر بأن يُتَّخذ من مقام إبراهيم مُصلًّى ، و بذلك أتت الروايات عن النبي عليه السلام ..." [1].

يرى الشاطبي في منظومته أن " و اتَخَذوا بالفتح عَمَّ و أوغَلاَ" و يشرح ذلك أبو شامة بقوله :" و إنما جعل الفتح أعَمَّ ؛ لأن الضمير يرجع إلى عموم الناس ، فيكون الفعل مُوَجَّها إلى الأمم قبلنا نصا ، و إلينا بطريق الاتباع لـــهم ؛ لأن شرع ما قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ ، و أما قراءة الكسر فتختص بالمأمورين، و يجوز أن يكون التقدير ، و قلنا لهم : اتَّخِذُوا ، فيتحد العموم في القراءتين و هذا الوجه أولى " [2] ، و ذلك في محاولة منه للتوفيق بين مدلول القراءتين .

و لكن ابن خالويه يذهب مذهبا في إجابته عن سؤال عَنَّ له : كيف جاء القرآن بالشيء و ضده ؟ فقال " إن الله تعالى أمرهم بذلك مبتدئا ، ففعلوا ما أُمِرُوا به فأثنى بذلك عليهم و أخبر به ، و أنزله في الـــعُرضة الثانية " [3]، فتكون القراءة بالإخبار عن وقوع الفعل قد تنـــزَّلت بعد قراءة الأمر به و ترتبت عليها ، فجمع نسق الآية هذين المعنيين بقراءتيه ، مما يؤيد ما ذكرناه آنفا .

---

[1]- الكشف- ج:1 – ص:263، 264، و ينظر : جامع البيان - ج:1 – ص: 534، 535(ط الحلبي) ، و معاني القرآن و إعرابه - ج:1 – ص:207،206، و الحجة للقراء السبعة - ج:2- ص:220، 221، و حجة القراءات ص 12، 13، و المحرر الوجيز – ج:1-ص:352، 353، و الفريد – ج:1-ص:369، 370، و البحر المحيط – ج:1-ص:380، و حاشية الشهاب – ج:2-ص:319، هذا و قد جاء في الحديث أن النبي عليه السلام أخذ بيد عمر رضي الله عنه ، فلما أتيا المقام قال عمر : هذا مقام أبينا إبراهيم؟ فقال النبي : نعم ، فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله جل ذكره الآية ، ولهذه الرواية طرق كثيرة منها :ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر وفي رواية عن عمر ، وأخرج البخاري وغيره عن عمر قال : " وافقت ربي في ثلاث . قلت : يا رسول الله لو أخذت من مقام إبراهيم مُصلًّى ، فنزلت ؛﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى﴾ ينظر: السيوطي عبد الرحمن جلال الدين- لباب النقول في أسباب النزول –تونس- الدار التونسية للنشر – ط.3-1404هـ-1984م-ص:25.

[2]- إبراز المعاني- ص: 345، و ينظر : فتح الباري 18/8،و لبيب السعيد - دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر- القاهرة - دار المعارف- ط.1- 1987- ص: 38،و 39.

[3]- الحجة في القراءات السبع ص 87.

6- كذلك تتبدى هذه الفائدة من خلال توجيه بعضهم للفظة(قال) بالإخبار و الأمر .

أ.الآية :

قال الله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1].

ب. القراءات الواردة :

- قرأها حفص و حمزة و الكسائي و كذا خلف (قال) بفتح القاف و ألف بعدها ووافقهم الأعمش .
- و قرأها الباقون بضم القاف بلا ألف(قل) [2].

ج. دلالة القراءات :

قد احتج أبو زرعة لكل وجه بما يناسبه ، فرأى أن من قرأ الفعل على المضي أراد به " الخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال للكفار مجيبا عن قيلهم قبلها : ﴿ هل هذا إلاّ بشر مثلكم . . . ﴾ و نزول هذه الآية بعد أن تقدم هذا القول من النبي صلى الله عليه و سلم " وحجة القراءة بالأمر أن الله أمره أن يقول للكفار مُجيباً لهم عن قولهم : ﴿ هل هذ إلاّ بشر مثلكم ﴾، قل : ربي يعلم قولكم و قول كلِّ قائل قولا في السموات و الأرض و هو السميع لجميع ذلك و العليم بخلقه " [3]

---

[1]- سورة الأنبياء ، الآية : 4 .

[2]- ينظر : السبعة-ص: 428 ، والنشر- - ج:2-ص:323، والإتحاف - ج:2-ص:261.

[3]- حجة القراءات ص 465، 466، و ينظر : الكشف - ج:2-ص:110، و البحر المحيط- ج:6-ص: 297.

و لما كان ما يصدر عنه صلى الله عليه و سلم هو من قبيل الوحي الإلهي لا جرم أن ينقل القرطبي قول بعضهم " إن القراءة الأولى أولى – يعني القراءة بالأمر- لأنهم أسروا هذا القول فأظهر الله عز و جل عليه نبيه صلى الله عليه و سلم و أمره أن يقول لهم هذا " [1].

إن هذا المذهب الذي اعتاده بعض الموجهين ليوهم أحيانا بالمفاضلة بين القراءات، و هو مسلك لا يُرتضَى حتى لو وافق ذلك النظرة البلاغية العجلى إلى السياق ، فلا شك أن في هذا التغاير فائدة ما قد تَدِقّ حتى تخفى عن الخاصة فضلا عن العامة ، و لاسيما أن القراءتين متواترتان، و هما – كما فطن النحاس (ت 338هـ) – " بمنزلة الآيتين ، و فيهما من الفائدة أن النبي صلى الله عليه و سلم أُمِرَ، و أنه قال كما أُمِرَ" [2] فنقل لنا النسق القرآني بقراءتيه الصورة كاملة : إعلاما من الله السميع العليم بنجوى هؤلاء الكفار ، و تبليغا من الرسول إليهم لتبكيتهم و إقامة الحجة عليهم .

1- الجامع لأحكام القرآن – ج:11-ص:270.

2- المصدر نفسه – ج:11-ص:270.

7- و مما اتضحت فيه هذه الفائدة وضوحا موضع (ربنا باعد)

أ. الآية :

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [1]

ب. القراءات الواردة :

- قرأها السبعة القراء بالنداء و الطلب (ربّنا باعد).
- و قرأها يعقوب و جماعة (ربُّنا باعَد) برفع الباء و فتح العين [2].

ج. دلالة القراءات :

يُحدثنا سياق الآيتين – ضمن مجموع الآيات- عن موقف أهل سبأ الذين بدّلوا نعم ربهم عليهم كفرا و بطرا، حتى إذا ما تحققت سنة الله فيهم أخذوا في التبرّم و الشكوى، و قد نقل لنا نسق الآية طرفا من ذلك بوجهين من وجوه القراءة ، اختار الجمهور أحدهما بالنداء و الطلب على سبيل الدعاء دليلا على أنهم " بطروا النعمة و بَشِمُوا من طيب العيش و ملّوا العافية ؛ فطلبوا الكد و التعب .... و تمنوا

1- سورة سبأ، الآيتان : 18، و 19.

2- ينظر : السبعة ص 529، النشر –ج:2- ص:350، و إتحاف فضلاء البشر– ج:2-ص:385، 386، و البحر المحيط – ج:7- ص:272، 273.

أن يجعل الله بينهم و بين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها و يتزودوا الأزواد ، فجعل الله لهم الإجابة "[1].

و اختار غيرهم الوجه الآخر على الإخبار ، إما دليلا على إفراطهم في التنعم " و هو استبعاد مسايرهم على قصرها و دنوها لفرط تنعمهم و ترفهم ، كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم و يتحازنون عليه "[2] و إما تصويرا لحالهم من شكوى بعضهم إلى بعض مما حل بهم من بعد الأسفار[3] حينما أجاب الله طلبهم .

يقول ابن قتيبة : " المعنيان و إن اختلفا صحيحان ؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يفرقهم في البلاد فقالوا: (ربَّنا باعد..) فلما فرقهم الله في البلاد و باعد بين أسفارهم، قالوا : (ربُّنا باعَد بين أسفارنا) و أجابنا إلى ما سألنا فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنين في غرضين "[4] .

و بذلك يستوعب النسق القرآني الطرائق التعبيرية التي تم بها الخطاب مُستقصيا مقتضياته ، مقتصدا في التعبير عنها بأبلغ ما يكون الاقتصاد ؛ إذ قامت كل قراءة بتغاير بسيط في حركة البناء أو الإعراب مقام آية كاملة في الإعراب عن مضمونها ، و قد أدرك الموجهون أن في هذا دليلا آخر يضاف إلى دلائل إعجازه ، و ما فتئوا يتداركونه حيثما يعنّلهم في مواضعه من آي الذكر الحكيم .

---

[1]- الكشاف– ج:3-ص:573.

[2]- الكشاف – ج:3-ص:577، 578، و ينظر : جامع البيان – ج:22-ص:58، 59، و معاني القرآن للنحاس – ج:5-ص:411، 412، و غرائب القرآن – ج:22-ص:52.

[3]- ينظر : البحر المحيط – ج:7-ص:273، و معاني القرآن و إعرابه – ج:4-ص:250، 251، و المحرر الوجيز – ج:13-ص:131، 132، و التفسير الكبير – ج:25-ص:253، 254، و كتاب التسهيل لعلوم التنزيل – ج:3-ص:149، و الدر المصون – ج:5-ص:441، و إرشاد العقل السليم – ج:4-ص:453، و حاشية الشهاب – ج:7-ص:199، و روح المعاني – ج:22-ص:/130، 131، و إتحاف فضلاء البشر – ج:21-ص:385، 386.

[4]- تأويل مشكل القرآن ص 41، و ينظر : إعراب القراءات السبع و عللها – ج:2-ص:218، 219، و إعراب القرآن للنحاس – ج:3-ص:341، 342، و الجامع لأحكام القرآن – ج:14-ص:291، و فتح القدير – ج:4-ص:422.

الفصل الثالث :

اختلاف القراءات

بين أسلوبي الخبر والنهي

ودلالته

الفصل الثالث : اختلاف القراءات بين أسلوبي الخبر والنهي ودلالته

ليس لأسلوب النهي في العربية إلا صيغة واحدة هي المضارع المسبوق بلا نهاية، لذلك اقتصر توارد أسلوب الإخبار الذي يقاسمه أحيانا في القراءة على صورته المنفية، إذ كان ذلك في معظمه عن طريق التغاير الإعرابي في حركة الفعل بعد لا بَيْن الرفع الجزم، فترتب عليه تغاير أسلوب القراءة على ما ارتآه الموجهون بين الإخبار الذي يمثله الرفع، و النهي الذي يدل عليه غيره .

1- و قد تمخض عن بحث هذه الظاهرة القرائية مسلكان في التوجيه، أحدهما: ما حمل وجه الإخبار فيه على معنى النهي – كذلك الذي فعلوه في الأمر آنفا – بأن اتخذت القراءة بلفظ النهي دليلا عليه، و يتردد مسلكهم هذا في مواضع متعددة، نذكر منها مثلا موضع (لا تعبدون)

أ. الآية :

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [1]

ب. القراءات الواردة :

- قرأ الجمهور (لا تعبدون) بإثبات النون .
- وقرأ أبي و ابن مسعود(لا تعبدوا) بحذف النون على النهي[2] .

---

[1]- سورة البقرة ، الآية : 83.

[2]- ينظر: البحر المحيط 282/1.

ج. دلالة القراءات :

قدر العلماء عدة تقديرات من الإعراب و المعنى على قراءة الجمهور ، اقتصر الزمخشري على ما ناسب المتجه ههنا ، فذهب إلى أنه " إخبار في معنى النهي ، كما تقول : تذهب إلى فلان تقول له كذا ، تريد الأمر ، و هو أبلغ من صريح الأمر و النهي؛ لأنه كأنه سورع إلى الامتثال و الانتهاء ، فهو يُخبِر عنه ، و تنصره قراءة عبد الله بن مسعود و أبيّ (لا تعبدوا) و لابد من إرادة القول، و يدل عليه أيضا قوله (و قولوا) ... " [1] فعطف عليه بالأمر .

و اعتقد أن الذي جعلهم يخلدون إلى ذلك التقدير في هذا الموضع و غيره أخذهم بمبدأ التناسب اللفظي أو المعنوي بين المتعاطفات ، و هو مبدأ لغوي في الأساس قال به جمهور النحاة ، و توسل به البلاغيون في بحثهم للفصل و الوصل[2] ، لأنه "لو لم يكن في معنى النهي لما حسن عطف الأمر عليه ، لما بين الأمر و الخبر المحض من التنافر، و لا كذلك الأمر و النهي لالتقائهما في معنى الطلب " [3].

و يتناقل موجهو القراءات هذا المذهب ، كما يتناقل معظمهم تعليله البلاغي المأثور عن الزمخشري في غير موضع تغايرت قراءته بين رفع الفعل و جزمه بعد (لا) [4] بما يوحى بأن ثمة علاقة تلازمية بين التعبير بلفظ الإخبار المنفي ، و دلالته على

---

[1]- الكشاف – ج:1-ص:159، و ينظر: إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج – ج:2-ص:363، 964، و الحجة للقراء السبعة – ج:2-ص:124- 126، و المحرر الوجيز – ج:1-ص:277، و التفسير الكبير – ج:3-ص:176، و الفريد في إعراب القرآن المجيد– ج:1-ص:324، و تفسير النسفي – ج:1-ص:59، و البحر المحيط– ج:1-ص:283، و البرهان للزركشي 176/3، و معترك الأقران – ج:1-ص: 259، و إرشاد العقل السليم – ج:1-ص:204، و تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب 193/2، 184، و الفتوحات الإلهية – ج:1-ص:71.

[2]- ينظر مثلا : بغية الإيضاح – ج:2-ص:85، و شروح التلخيص – ج:3-ص:72 و ما بعدها .

[3]- حاشية الانتصاف – ج:1-ص:159.

[4]- من ذلك مثلا قوله تعالى : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ (البقرة : 233) ؛ ينظر في توجيهه : إعراب القرآن للنحاس – ج:1-ص:317، و معاني القرآن له – ج:1-ص:235، و الحجة للفارسي – ج:2-ص:

النهي، و ربما ساعدهم على ذلك ههنا أن تلك المواضع جاءت معظمها في أمور تشريعية يفترض فيها الإلزام ، و كان لإيثار لفظ الإخبار فيها أحيانا دلالة عل الاهتمام بالمنهي عنه و كأنه أمر خليق بعدم حدوثه ، و هذه دلالة – على الرغم من وجاهتها – لا يصار إليها إلا إذا دل السياق عليها، و من أجل ذلك قال ابن جني باحتمال جريان الأسلوب على أصله كما في قراءة : (فلا يسرف) بالرفع" [1] في الآية الموالية.

333- 334، و المحتسب – ج:1-ص:149، و الفريد – ج:1-ص:472، 590/2، و تفسير النسفي – ج:1-ص:118، و البحر المحيط – ج:2-ص:216، و البرهان للزركشي – ج:3-ص:347، و حاشية الشهاب – ج:2-ص:319.

- و قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ (البقرة : 282) ، ينظر : معني القرآن للنحاس – ج:1-ص:322- 324، و المحرر الوجيز – ج:2-ص:373ن و الفريد – ج:1-ص:529و البحر المحيط – ج:2-ص:354، و إرشاد العقل السليم – ج:1-ص:419، و روح المعاني – ج:3 -ص:61.
- و قوله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ (آل عمران : 28) و ينظر البحر المحيط – ج:2-ص:422.
- و قوله تعالى : ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف : 26) و ينظر: الحجة للفارسي –ج:5-ص:141، 142، و إبراز المعاني ص 568، و البحر – ج:6-ص:117، و حاشية الشهاب– ج:6-ص:94

[1] ينظر : ابن جني – المحتسب – ج:2-ص:20.

2- أ.الآية :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [1]

ب.القراءات الواردة :

- قرأ أبو مسلم (لا يُسْرِفُ) بالرفع[2].
- وقرأ الجمهور (لا يُسْرِفْ)

ج. دلالة القراءات :

إذا رأى ابن جني أن " رفع هذا على لفظ الخبر بمعنى الأمر ،كقولهم: يرحم الله زيدا ، فهذا لفظ الخبر و معناه الدعاء ، أي : ليرحمه الله ، و مثله قوله : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾[3]، و إن شئت كان معناه دون الأمر،

أي ينبغي ألا يسرف و ينبغي أن يتربصن و عليه قوله :

عَلَى الحَكَمِ المَأْتِيِّ يَوْماً إِذَا قَضَى *** قَضِيَّتَهُ أَلاَّ يَجُورَ وَيَقْصِدُ

فرفعه على الاستئناف ، و معناه ينبغي أن يقصد " [4].

---

[1]- سورة الإسراء ، الآية : 33.

[2]- ينظر: المحتسب – ج:2-ص:20.

[3]- سورة البقرة ، الآية : 228.

[4]- المحتسب – ج:2-ص:20، 21، و ينظر : الكشاف – ج:2-ص:664، و البحر المحيط – ج:6-ص: 34، و روح المعاني – ج:15-ص:70.

و هذا ما ذهب إليه الزمخشري كذلك في قراءتي (لا ينكح) بالرفع و الجزم من قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [1]

● قرأها الجمهور بالرفع ، و رويت بالجزم على النهي عن عمرو بن عبيد[2].

قال الزمخشري :"إن القراءة بالجزم جاءت على سبيل النهي ، والمرفوع فيه أيضل معنى النهي ، ولكن أبلغ وآكد ، كما أن : رحمك الله ، ويرحمك الله أبلغ من ليرحمْك، ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى : أن عادتهم جارية على ذلك ، وعلى المؤمن أن لا يُدْخل نفسه تحت هذه العبارة ويتصوَّن عنها ."[3]

و إذا كان جمهور الموجهين لا يرون مشاحة في خروج لفظ الإخبار إلى معنى الأمر و النهي ، بل استحال عندهم إلى حجة مناسبة يُهرعون إليها كلما تغيرت أوجه القراءة بها، فإن ابن العربي ينازعهم في مذهبهم هذا حينما وقف عند مدلول النفي في قوله تعالى :

﴿ . . فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج ﴾ [4]

● قرأ أبو جعفر و عاصم في رواية المفضل ثلاثتها بالرفع وافقهما الحسن .

● و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و كذا يعقوب برفع الأولين و تنوينهما وافقهم ابن محيصن و اليزيدي .،

● وقرأها الباقون | بفتحها من غير تنوين [5].

فقال إنّه "أراد نفيه مشروعا لا موجودا ؛ فإنَّا نجد الرفثَ فيه و نشاهده ، و خبرُ الله

---

[1]- سورة النور ، الآية : 3.

[2]- ينظر : البحر المحيط- ج:6 – ص:431.

[3] – الكشاف- ج3 – ص:213، وينظر: التفسير الكبير – ج:23 – ص:152،150، وغرائب القرآن – ج:18 – ص:46،و47، والبحر المحيط- ج:6 – ص:431، وحاشية الشهاب – ج:6 – ص: 356.

[4]- سورة البقرة ، الآية : 297.

[5]- ينظر : السبعة ص 180، و النشر- ج:2 – ص:211، و البحر المحيط- ج2 – ص:89، و إتحاف فضلاء البشر – ج:1 – ص:389.

تعالى لا يجوز أن يقع بخلاف مخ[illegible] لا إلى وجوده محسوسا كقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [1] معناه شرعا لا حسا ، فإنا نجد المطلقات لا يتربصن ، فعاد النفي إلى الحكم الشرعي لا إلى الوجود الحسي ... و هذه الدقيقة هي التي فاتت العلماء فقالوا إن الخبر قد يكون بمعنى النهي ، و ما وجد ذلك قطّ ، و لا يصح أن يوجد ؛ لأنهما يختلفان حقيقة و يتضادان وصفا ..." [2].

و لكن ما ذهب إليه ابن العربي يصلح أن يكون حجة عليه ؛ لأن حمل مثل هذا على الإخبار المحض من الله تعالى – كما قال- لا يجوز أن يقع بخلاف مخبره، فلم يبق إلا حمله على معنى النهي الذي يلزم امتثاله شرعا، و لا يُستبعد عدم امتثاله وجودا؛ إذ كانت هذه أمور تعود إلى طبيعة المتلقين و درجة إيمانهم ، و كم من منهيات نهانا الله عنها شرعا و لا يتمثلها بعضنا وجودا ، غاية ما هناك أن إبراز المنهى عنه في معرض الإخبار كان للدلالة على أنه حقيق بألا يُقْتَرَف في هذا المقام .

و قد أشار بعض الموجهين إلى ما التمسه من التغاير الإعرابي بين القراءتين؛ إذ جعلوه فارقا بين المعنيين ، فذهبوا إلى أن رفع (رفث و لا فسوق) فيه دلالة على معنى النهي، و أن فتح (لا جدال) فيه دلالة عل الإخبار بانتفاء الجدال في الحج.

لكن رُجِّحَ مذهب أبي حيان حيث رأى أن " الرفع و البناء لا يقتضيان شيئا من ذلك، بل لا فرق بين الرفع و البناء في أن ما كان فيه كان منفيا و أما أن الرفع يقتضي النهي و البناء يقتضي الخبر فلا ... و الذي نختاره أنها جملة صورتها صورة الخبر و المعنى على النهي ... و إنما أتى في النهي بصورة النفي إيذانا بأن المَنْهِيَ عنه

---

[1]- سورة البقرة ، الآية : 228.

[2]- أحكام القرآن – ج:1-ص:134، 135، و ينظر كذلك : التبيان للعكبري – ج:1-ص:180، و الفريد للهمداني – ج:1-ص:470،والبحر المحيط- ج:2-ص:185،91، والإتقان- ج:2-ص:98، ومعترك الأقران- ج:1-ص:422،و423.

مستبعد الوقوع في الحج حتى كأنه مما لا يوجد و مما لا يصح الإخبار عنه بأنه لا يوجد "[1].

---

[1]- البحر المحيط – ج:2-ص:89،و91، و ينظر : التفسير الكبير – ج:5-ص:176، 177، و الدر المصون – ج:1-ص:491، 492، و الفتوحات الإلهية – ج:1-ص:158، 159، و فتح القدير – ج:1-ص: 201، و روح المعاني – ج:2-ص:86، و يوازن بالكشاف – ج:1-ص:243، 244، و تفسير النسفي – ج:1-ص:101، و البرهان للزركشي – ج:2-ص:291، – ج:3-ص:347، 348، و معترك الأقران – ج:1-ص:259، و الإتقان – ج:2-ص:53.

3- إنّ المسلك الآخر في توجيه هذه الظاهرة يوحي بأن ثمة فارقا في المفهوم البلاغي الذي يترتب على كل وجه من وجهي القراءة ، يشير إلى ذلك ما لوحظ في قراءتي (لا يخاف) برفع الفاء و جزمها في الآيتين التاليتين.

أ. الآية :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [1]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [2]

ب. القراءات الواردة :

- قرأهما الجمهور بالرفع .
- وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد موضع طه-الآية الأولى- بالجزم (فلا يخف).
- و قرأ ابن وثاب و الأعمش موضع الجن- الآية الثانية- بالجزم [3].

ج. دلالة القراءات :

التمس الزمخشري لقراءة الرفع التي اختارها الجمهور فائدتها البلاغية حيث قال : "فإن قلت : أي فائدة في رفع الفعل و تقدير مبتدأ حتى يقع خبرا له و وجوب إدخال الفاء و كان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال : لا يخف ؟ قلت : الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل : فهو لا يخاف ، فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة ،

---

[1]- سورة طه ، الآية : 112.

[2]- سورة الجن : 13.

[3]- ينظر البحر المحيط – ج:6-ص:281، ج:8-ص:350، والألوسي – ج:16-ص:266.

و أنه هو المختص بذلك دون غيره "[1]. و السبب في ذلك ربما يرجع إلى أن الجملة حينئذ تصبح إسمية والإسمية - حسبما اعتقدوه - أدل على التحقيق و الثبوت من الفعلية .

بيد أن الطيبي يلتمس لكل قراءة وجها من الأبلغية في التعبير عن المعنى في آية طه فيرى أن " قراءة الجمهور توافق قوله تعالى : ﴿ **وقد خاب** ﴾[2] من حيث الإخبار ، و أبلغ من القراءة الأخرى من حيث الاستمرار ، و الأخرى أبلغ من حيث إنها لا تقبل التردُّد في الإخبار "[3].

---

[1]- الكشاف- ج:4-ص:627، 628، و الفريد - ج:3-ص:469، و ينظر : الدر المصون - ج:6-ص: 394، و حاشية الشهاب- ج:8-ص:258، و روح المعاني - ج:29-ص:111.

[2]- سورة طه ، الآية : 111.

[3]- عن روح المعاني - ج:16-ص:266.

4- كما لوحظ ذلك التغاير – المعنوي في قراءتي (و لا تسأل) برفع اللام و جزمها.

أ.الآية :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [1]

ب.القراءات الواردة :

- قرأها الجمهور (تُسألُ) مضمومة التاء مرفوعة اللام .
- و قرأها نافع و يعقوب (تَسألْ) بفتح التاء و جزم اللام [2].

ج. دلالة القراءات :

قدر العلماء لوجه الرفع تقديرين من الإعراب يَبِينُ بهما وجه المعنى ، فهو إما حالا فيكون مثل ما عطف عليه ، و إما مستأنفا فيكون منقطعا مما قبله، و اتخذوا ما تردد من مرويات في مناسبة نزول الآية [3] مثابة قرائن الأحوال في توجيه القراءة الأخرى .

قال الفارسي : " و يؤكد وجهي الرفع قوله تعالى :

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [4]

---

[1]- سورة البقرة ، الآية : 119.

[2]- ينظر : السبعة 169، و النشر – ج:2-ص:221، و إتحاف فضلاء البشر – ج:1-ص:414.

[3]- ينظر : أسباب النزول للنيسابوري ص 26، 27، و للسيوطي ص 17، و تفسير ابن كثير – ج:1-ص: 162.

[4]- سورة البقرة ، الآية : 272.

و قوله : ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [1] و مما يجعل للفظ الخبر مزية على النهي أن الكلام الذي قبله و بعده خبر ، فإذا كان أشكل بما قبله و ما بعده كان أولى ، و وجه قراءة نافع بالجزم ما روي من أن النبي صلى الله عليه و سلم سأل : أي أبويه أحدثُ موتا و أراد أن يستغفر له فأنزل الله (الآية) ، و هذا إذا ثبت معنى صحيح، و يُذكر أن في إسناد الحديث شيئا ... و قد جوز أبو الحسن في قراءة من جزم أن يكون على تعظيم الأمر، كما يقول : لا تسلني عن كذا ، إذا أردت تعظيم الأمر فيه ، فالمعنى أنهم في أمر عظيم و إن كان اللفظ لفظ الأمر " [2].

فلقد أدرك الفارسي و غيره أن مراعاة المشاكلة اللفظية بين أنساق التعبير في الآية الكريمة كان وجها بلاغيا لقراءتها بالإخبار ، و أن هذه العلة ما لبث أن تغايرت في قراءتها بالنهي، فحمل تارة على حقيقته باعتبار ما تردد في مناسبة نزولها، ثم حمل أخرى على معناه المجازي و ذلك بخروجه إلى معنى تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب، و اغتنم الزمخشري هذا المدلول ثم يُبينُ عن وجهه في "أن المستخبر يجزع أن يجرى عل لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله و لا تكلفه ما يضجره، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع و إضجاره فلا تسأل " [3].

و على الرغم من أن أسباب النزول تقوم في الغالب مقام قرائن الأحوال في تفسير القرآن و توجيه قراءاته، فإن اعتدادهم بالسياق القرآني للآيات ههنا جعلهم يردون تلك المروية التي ذكر الفارسي طرفا منها ، و كان تعليل أبي حيان لذلك " أن

---

[1]- سورة المائدة ، الآية : 99.

[2]- الحجة للقراء السبعة – ج:2ص:216، 217، و ينظر : معاني القرآن و إعرابه – ج:1-ص:200، و الحجة في القراءات السبع ص 87، و حجة القراءات ص 111، 112، و الكشف المكي – ج:1-ص:262 ، و البيان في غريب إعراب القرآن – ج:1-ص:121/120.

[3]- الكشاف – ج:1-ص:182، و ينظر: التفسير الكبير – ج:1-ص:33، و الفريد – ج:1-ص:365، و إبراز المعاني ص 342،و كتاب التسهيل – ج:1-ص:59، و البحر المحيط – ج:1-ص:367، 368، و تفسير ابن كثير – ج:1-ص:162، و تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب – ج:2-ص:231، و إرشاد العقل السليم – ج:1-ص:247، و إتحاف فضلاء البشر – ج:1-ص:414، و فتح القدير 135/1، و روح المعاني – ج:1-ص:379، 380.

سياق الكلام يدل على أن ذلك عائد على اليهود و النصارى و مشركي العرب الذين جحدوا نبوّته و كفروا عِنادا و أصرّوا على كفرهم ، و كذلك جاء بعده ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ﴾ إلا إن كان ذلك على سبيل الانقطاع من الكلام الأول ، و يكون من تلوين الخطاب و هو بعيد " [1].

و لعلهم بهذه الظاهرة يقفون غير بعيد من متجه البلاغة الحديثة الذي جعل (السياق) أو (تحكيم النص) آية من آياته ، بل زعم بعض باحثيها قلة اكتراث تراثنا البلاغي بها [2] و مرد ذلك الزعم يعود إلى أنهم قصروا النظر على كتب البلاغة و بخاصة المتأخرة التي كان أكبر همها التقعيد و التجزئة بسلخ الشواهد عن سياقها، فأدى هذا إلى الغفلة أو التغافل عن قضية مهمة ينبغي وضعها في الحسبان دوما ، و هي أن تلك البلاغة العربية التي نصِمُها أحيانا بالجمود كانت خلاصة بيئات علمية مُتآخذة اتخذت من دراسة اللغة و أساليبها وسيلة لها، و فطنت من بين ما فطنت إلى هذه الظاهرة السياقية التي طالما رأيناها عند الموجهين – مع تناثرها – عنصرا مهما من عناصر توجيه القراءات ، و إظهار ما فيها من أوجه بلاغية .

---

[1]- البحر المحيط 368/1، و ينظر : جامع البيان 516/1 و ما بعدها، و إرشاد العقل السليم – ج:1-ص: 247.

[2]-ينظر : صلاح فضل - بلاغة الخطاب و علم النص- الكويت –سلسلة عالم المعرفة –أغسطس –1992- ص:264.

الباب الثاني

الأداء في الدراسات الصوتية

مع تطبيقات في القرآن وقراءاته.

تمهيـــــد : مفهوم الأداء

الفصل الأول : النبر والتنغيم في الدراسات الصوتية

الفصل الثاني : التنغيم والأداء في القرآن وقراءاته.

الفصل الثالث : النبر والأداء في القرآن وقراءاته.

الفصل الرابع :التنغيم و النبر في القراءات القرآنية

تمهيد: مفهوم الأداء

إن الاهتمام بالأداء والنطق من أهم الجوانب التي أكد عليها علم اللسانيات ، فدراسة الأصوات ، ومعرفة أقسامها ، وصفاتها ، وما يعرض لها من تأثير ، هي البداية الأولى لمعرفة أي لغة من لغات البشر وإتقانها ، والأساس الذي تنطلق منه أي دراسة لغوية .

والأداء الصحيح للغة ، ونطقها له أسس ومعايير ، دوّنها العلماء ، ينبغي أن تلقن وتعرف ، فالانحراف عن النطق المتعارف عليه عند أصحاب اللغة ، يؤدي غالباً إلى اختلاف المعاني وتباين المقاصد . ناهيك عن عدم وضوح المعنى . فمعرفة طرق الأداء والنطق الصحيح ، لا يقل في أهميته عن معرفة علم النحو . وللسانيات قدم راسخة في دراسة أساليب الأداء في اللغات ، كان من ثمراتها استحداث واستنباط مصطلحات علمية في مجال دراسة الأصوات كالمماثلة ، والنبر ، والتزمين والتنغيم إلى غير ذلك. والأصل في اللغة أن تكون منطوقة ، " يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1].

إذ " أخذت لغة الكلام تحلّ محلّ لغة الكتابة ، وعلى الفرد منّا لأن يعرف كيف يتكلّم ، بل كيف يجيد الكلام حتى يصل إلى جمهوره ، ويحقّق الأثر الذي يسعى إليه ... إنّ حسن الأداء أي فنّ إجادة النطققد تحتلّ مكان الصدارة في التعليم الحديث ولا شكّ أنّه سيستأهل عناية أكبر في المستقبل . والصوتيات هي القاعدة الضرورية لهذا النوع من التعليم "[2]

---

[1]- ابن جني – الخصائص – ج:1-ص:33.

[2]- مالمبرج برتيل – اصوتيات – ترجمة : محمد حلمي هليل – القاهرة – عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- د.ط – 1994م- ص: 193.و- هريدي أحمد عبد المجيد – الألعاب الكلامية اللسانية دراسة صوتية تركيبية – القاهرة- الشركة الدولية للطباعة ونشر مكتبة الخانجي – ط.1 – 1420هـ - 1999م- ص:200.

والكتابة ما هي إلا صدى ومحاولة لنقل وتصوير المنطوق ؛ لذا ابتكرت اللغات من الوسائل ما يجعل المكتوب مقارباً للمنطوق. استعانت أحياناً بوضع علامات ورموز تعين على توضيـــح المراد وبيـــان لمطلوب[1].

أولا : مفهوم الأداء :

أ. مفهوم الأداء لغة:

جاء في لسان العرب: أدّى دينه تأدية أي قضاه والاسم القضاء .

ويقال :تأديت إلى فلان من حقّه إذا أذيته وقضيته .

ويقال : أدّى فلان ما عليه أداء وتأدية ، وتأدّى إليه الخبر أي انتهى.

وجاء في القرآن قوله تعالى : ﴿أن أدّوا إليّ عباد الله إنّي لكـــم رسول أمين ﴾[2]

وهو من قول نبي الله موسى عليه السلام لذوي فرعون ومعناه سلّموا إليّ بني إسرائيل ، وقيل نصب عبادَ الله لأنّه منادى مضاف ، ومعناه :أدّوا إليّ ما أمركم الله به يا عباد الله فإنّي نذير لكم .

---

[1]- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق –التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد – لبنان – بيروت–دار التنوير للطباعة والنشر– ط.1 – 1993م–ص: 164.

[2]- سورة الدخان الآية 18

قال أبو منصور : فيه وجه آخر وهو أن يكون " أدّوا إليّ " بمعنى استمعوا إليّ ، كأنّه يقول :أدّوا إليّ سمعكم أبلّغكم رسالة ربّكم ،قال: ويدلّ على هذا المعنى من كلام العرب قول ابن المثلّم الهذلي :

سَبَعْتَ رِجَالاً فَأَهْلَكْتَهُمْ *** فَأَدِّ إِلَى بَعْضِهِمْ وَاقْرِضِ

أراد بقوله أدِّ إلى بعضهم أي استمع إلى بعض من سبعت لتسمع منه كأنّه قال: أدّ سمعك إليه.[1]

وأدى إيصال الشيء إلى الشيء أو وصوله إليه من تلقاء نفسه ، قال أبوعبيد : تقول

العرب للّبن إذا وصل إلى حال الرؤوب ، وذلك ذا خثُر قد أدى يأدي أُديا

وقال الخليل : أدّى فلان يؤدّي ما عليه أداء وتأدية ، وتقول فلان آدى للأمانة منك ، وذكر قول الشاعر:

أَدّى إِلَى هِنْدٍ تَحِيَّاتِهَا *** وَقَالَ هَذَا مِنْ وَدَاعِي بِكُرْ[2]

والمعنى نفسه جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي : أدّاه تأدية أوصله وقضاه ، والاسم الأداء ، وهو آدى للأمانة من غيره ... والشيء كثُر ، والسقاء:أمكن لِيُمخض.[3]

وآدى بالمد على أفعل قوي بالسلاح ونحوه فهو مؤدٍ.[4]

ويبدو أن معنى الأداء لغة لا يعدو معنيين اثنين :

---

[1]- ابن منظور- لسان العرب –ج: 14-ص:26.

[2]- - البيت من أبيات لابن الأحمر ، رواها ابن منظور في اللسان ، والرواية فيه من "دواعي دبر" محرّفة.ينظر: ابن فارس أحمد بن زكريا – معجم مقاييس اللغة – ت:عبد السلام هارون – بيروت- دار الجيل – ط.1- 1411هـ - 1991م – ج:1-ص: 74،وابن منظور – لسان العرب –ج:19-ص:57.

[3]- الفيروز آبادي- القاموس المحيط – ج:4-ص:298.

[4]- الفيومي أحمد بن محمد علي المقرئ – المصباح المنير – بيروت- شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع – ط.1- 1417هـ- 1996م-ص:11.

1- القضاء – قضاء الدين – وهو بمعنى إيصال الشيء وأداء الأمانة.

2- الاستماع .

الأداء في القرآن والسنة :

1- في القرآن :

ورد لفظ الأداء مرة واحدة في القرآن الكريم من سورة البقرة قال تعالى :

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [1]

والمعنى: " ...على القاتل أداءٌ للدية إلى العافي – ولي المقتول- بلا مطل ولا بخس [2] والآية حضٌّ من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن الأداء من المؤدي...، وفي الآية

قراءتان ، فقراءة الرفع ﴿فاتباعٌ . . .وأداءٌ. ﴾فعليه اتباع بالمعروف ، وأما المندوب إليه فيأتي منصوبا[3].

ب. 2- في السنة

يدور لفظ الأداء في السنة النبوية الشريفة حول أداء الأمانة ، وأداء الزكاة ، وأداء ما استحق[4] ، وهو أحد المعاني التي جاءت في مصطلح الفقهاء .

---

[1]- سورة البقرة الآية 178 .

[2]- محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير – لبنان – بيروت- دار القرآن الكريم – ط.4 – 1402هـ- 1981مج:1-ص:118،والزمخسري – الكشاف – ج:1- ص : 108،وغيرها.

[3]- القرطبي – الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)- ج:2-ص : 255.

[4]- ذُكر لفظ الأداء سبع (7) مرات في الكتب التسعة ، ومن هذه الأحاديث

{ ...فأداء الأمانة أحق من تطوع الوصية..} أخرجه البخاري في باب الوصايا .

{...فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة...} أخرجه أحمد-ج:4-ص:179.

{... والمكاتب الذي يريد الأداء...}أخرجه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد .

ب-الأداء في الاصطلاح :

*ورد لفظ الأداء في **اصطلاح الفقهاء** بمعان نذكر منها:

1- الإيصال: وهو إيفاء ما استحق من دين ونحوه ،أو هو تسليم العين الثابت في الذمة بالسبب الموجب ، كالوقت للصلاة ، والشهر للصوم إلى من يستحق ذلك الواجب.[1]

2- حسن الأداء في التلاوة :وهو حسن إخراج الحروف من مخارجها بصفاتها.

3- إتيان عين الواجب في الوقت المحدد : وهو على نوعين :

أ . أداء كامل : وهو الذي يؤدَّى على الوجه الذي أُمِر به مستجمعا أركانه وسننه.

ب . أداء ناقص : وهو الذي يؤدَّى مستجمعا أركانه مع وجود الخلل في غيرها.[2]

ويستعمل الأداء مكان القضاء كقوله نويت أن أؤدّي ظهر الأمس والقضاء مكان الأداء كقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[3]

ينظر:المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي – رتّبه ونظّمه لفيف من المستشرقين ونشره : أ.ي .وِنْسِنك- تركيا – استانبول-دار الدعوة – تونس- دار سحنون-ط02- 1988م-ج:1-ص:41.

[1]- غالجرجاني الشريف علي بن محمد-كتاب التعريفات – لبنان – بيروت- ط.1- 1403هـ- 1983م- ص:15

[2]- قلعة جيمحمد رواس وغيره- معجم لغة الفقهاء (عربي-انكليزي)- لبنان – بيروت- دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – ط.2- 1408هـ- 1988م- ص:51.

[3]- سورة الجمعة من الآية 10.

أي أدّيت الصلاة لأنّ المراد منها الجمعة وهي لا تُقضى[1] .

وفي اصطلاح القراء يرد **مصطلح الأداء في تعريف القراءات القرآنية والمقرئ** ومن ذلك:

أن القراءة علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافه معزوا لناقله.

والمقرئ من علم بها أداء ورواها مشافهة ...لأنّ في القراءة شيئا لا يُحكم إلاّ بالسماع والمشافهة بل لم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط في التّحمّل وإن اكتفوا به في الحديث قالوا لأن المقصود هنا كيفية الأداء وليس كلّ من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء ،أي فلا بدّ من قراءة الطالب على الشيخ[2] .

والمفهوم من لفظ الأداء في سياق علماء القراءات أمران اثنان وهما :

أ = حسن السماع أثناء التحمل .

ب = قراءة الطالب مشافهة على الشيخ حتى يتمكّن من الأداء الصحيح.

***وفي اصطلاح التكنولوجيين** فإن الأداء هو : الكيفية التي يؤدي بها جهاز ما وظيفته أثناء الاشتغال الفعلي .[3]

* **وفي اصطلاح اللغويين(اللسانيين)** فإن الأداء هو :" تطبيق الكفاءة اللسانية من طرف المتكلمين وذلك في إنتاج الخطاب الفعّال واستيعابه "[4] .

---

[1] -موسوعة الفقه الإسلامي – يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة- دار الكتاب المصري- لبنان – بيروت- دار الكتاب اللبناني- د.ط- 1411هـ-1990م-ج:4-ص:147،و148.

[2] - الدمياطي أحمد البنا – إتحاف فضلاء البشر- ص: 5.

[3] - عبد الحسن الحسيني – معجم مصطلحات علوم التكنولوجيا – لبنان- بيروت- دار القلم – ط.1- 1407هـ-1987م- ص:320.

[4] - DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE 2000 LA ROUSSE PARIS - CEDEX 06- 1ER EDITION- 1993-1999-P: 1179

أو هو :" الاستعمال الفعلي للغة في مواقف معينة ."[1] ،

وبتعريف آخر يمكن القول أن :" الأداء ما يفعله المتكلم ، عكس الكفاءة التي تعني ما يعرفه متكلّم لغة ما معرفة ضمنية ."[2]

ثانيا : تعريف الكفاءة :

يعرّف تشومسكي الكفاءة بكونها :" مجموعة القواعد التي تسمح لموضوع منطوق لغة من بناء وفهم الكل وفقط جمل هذه اللغة "[3]

لأن معرفة اللغة عند تشومسكي هي وجود نحو متمثل في عقل الإنسان وهذا النحو يكوّن كفاءة المتكلّم الأصيل لهذه اللغة ، وفي هذا الصدد إنّ مفتاح فهم ماذا يعني بمعرفة اللغة هو فهم طبيعة هذا النحو[4]

الكفاءة هي : القاعدة الداخلية أو هي مجموعة قواعد مستعملة من طرف المتكلّم السامع عندما يستعمل لغته ،وليس وصف الخطاب المنتج من طرف المتكلمين للغة.

أوهي : " المعرفة الضمنية للمتكلّم السامع بلغته "[5].

الفرق بين الأداء وبين الكفاءة:

الفرق الذي ينبغي أن نعلمه : أن ما يعرفه المتكلّم للغة داخليا ما يمكن لنا أن نطلق عليه الكفاءة ، وما يفعله الأداء.[6]

---

[1]- جرهارد هلبش – تاريخ علم اللغة الحديث – ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحري – مصر- القاهرة- مطبعة العمرانية للأوفست – ط.1- 2003م-ص: 517.

[2]- المرجع نفسه والصفحة.

[3]- MARIE-NOELLE GARY- PRIEUR- LES TERMES CLES DE LA LINGUISTIQUE- EDITION DU SEUIL - OCTOBRE 1999-P.16.

[4]- MARTIN ATKINSON، ANDREW REDFORD – LINGUISTICS : AN INTRODUTION- – PRINTED IN THE UK AT THE UNIVESITY COMBRIDGE PRESS 1999- P.03

[5]- جرهارد هلبش – تاريخ علم اللغة الحديث – ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحري – ص:517.

[6]- S.PIT CORDER – INTRODYCING APPLIED LINGUISTICS -PENGRIN BOOKS – UNIVERSITY OF EDURBUNGH- p.90.

فالكفاءة اللغوية هي النظام الأساسي للقواعد ، الذي يمتلك السامع ناصيته ، والأداء الاستعمال الفعلي لهذه النظام .

علاقة الأداء بالتنغيم والنبر

الأداء وما يحمل من نبرات، وتنغيمات،وفواصل له أثر كبير في نفوس السامعين ، ومتابعتهم ، وحسن إصغائهم ، وفهم المراد . يقول سليمان بن إبراهيم العايد:" فأنت حين تقول ((أُخرج !)) وأنت تأمر أمراً عادياً لك أداء يختلف عنه حين تقولها وأنت تنهر شخصاً وتطرده . ومثلها ((قم !)) في الحالين ، وكذلك حين تأتي باستفهام تريد به مجرد الاستفهام ، أو تريد به الإنكار ، أو التعجب ، أو التقرير "[1] .

والتركيز على حسن الأداء جزء من دراسة الأصوات وطرق أدائها فإبراهيم أنيس يرى " لطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللغة نطقاً صحيحاً ، فالإسراع بنطق الصوت أو الإبطاء به يترك في لهجة المتكلم أثراً أجنبياً عن اللغة ينفر منه أبناؤها " ، ويقول :"فالصوت المنبور أطول منه حين يكون غير منبور وانسجام الكلام في نغماته يتطلب طول بعض الأصوات وقصر البعض الآخر "[2]. إن وضوح المعاني يتطلب أموراً كثيرة : منها أحكام بناء الجملة ، فالإعراب الذي يظهر على أواخر الكلم هو من صميم الأداء يقول محمد إبراهيم البنا:" الإعراب بيانات أدائية تحقق الوضوح لأبنية التركيب"[3].

---

[1]- سليمان بن إبراهيم العايد – القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلّع إليه – التراث- العدد الأربعون – جريدة البلاد- العدد 15826- الخميس 10 شعبان 1420هـ.

[2]- إبراهيم أنيس – الأصوات العربية –ص : 156.

[3] – البنا محمد إبراهيم - الإعراب سمة الفصحى – القاهرة- دار الإصلاح- د.ط- 1401هـ-1981م- ص: 5 .

فالتنغيم عنصر مهم من عناصر الأداء، وعدم إتقانه يؤدي إلى عدم الوضوح. وقد يحدث أن يتحدث إليك من لا يتقن اللغة ولا يجيد أداءها فلا تعرف ما يريد أن يقوله ، والسبب في ذلك يعود إلى أنه لا ينطقها بما هو متعارف عليه من التنغيم . إن حسن الأداء لا يتأتى إلا باتباع سنن أهل اللغة في النطق، والاهتمام بالجانب التطبيقي، والتعود على مجاراة الفصحاء، والسماع للقراء المجودين . فالقراءات التي نسمعها من القراء من وقف ، ومد ، وسكت ، ومدود مختلفة هي التنغيم . هذه الجوانب المشرقة في تراثنا ، يجب أن نضع أيدينا عليها ، لأن حسن الأداء ووضوح المعاني من أهم ما سعى إليه علماء العربية.

الفصل الأول

النبر والتنغيم في الدراسات الصوتية

أولا : أهمية أعضاء النطق في ظاهرتي النبر والتنغيم

ثانيا : أهمية الصوت اللغوي في دراسة ظاهرتي النبر والتنغيم

ثالثا : أهمية الظواهر الصوتية الفيزيائية في تحقيق النبر والتنغيم

رابعا : أهمية الائتلاف الصوتي في تحقيق النبر والتنغيم

خامسا : أهمية المقطع الصوتي في الدراسات الصوتية

الفصل الأول : النبر والتنغيم في الدراسات الصوتية

أولا : أهمية أعضاء النطق في ظاهرتي النبر و التنغيم :

و لهما الأهمية الكبرى في عملية إحداث النغمة الموسيقية ، و هذا عند اختلاف وضعيتهما ، و قد أعطاهما محمود السعران تعريفا دقيقا إذ قال : " هما أشبه بشفتين منهما بوترين ، و هما ممتدان بالحنجرة أفقيا من الأمام إلى الخلف، و لهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة لما يتمتعان به من حركة، هذه الحركة المختلفة تؤثر في الأصوات الكلامية" [1].

و فيما يلي رؤيتان ، واحدة من فوق و أخرى من خلف للأوتار الصوتية [2].

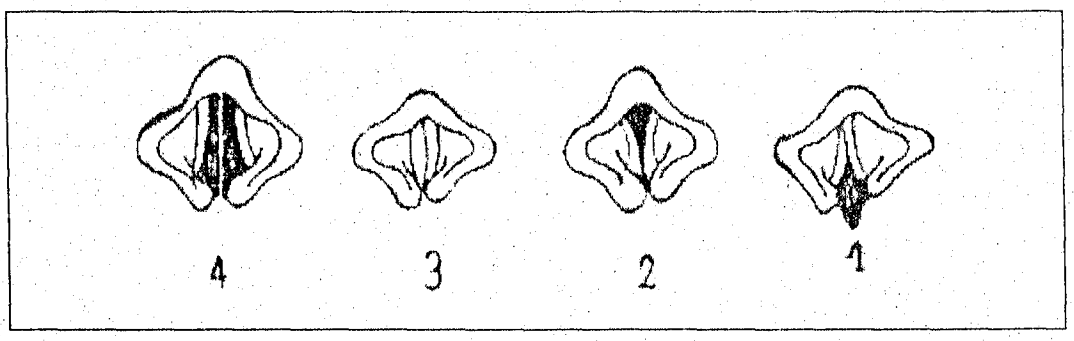

فأما الوضع الأول فهو خاص بحالة الوشوشة (chuchotement) ، و أما الوضع الثاني ، فهو خاص بحالة وضع الوترين لإحداث نغمة موسيقية (voix) ، و يبقى الوضع الثالث خاصا بإحداث نبرة (ferme) ، في حين يعتبر الوضع الرابع خاصا بالشفتين (ouvert) ؛ ففي الحالات الأربع ، يلعب الوتران الصوتيان

---

[1] - محمود السعران ، علم اللغة - ، ص : 136.

[2] - GLEASON HA ,INTRODUCTION A LA L'INGUISTIQUE , PARIS , LIBRAIRIE LA ROUSSE 19969, P193.

دورا في تي النبر و التنغيم- خاصة في الوضع الثاني و الثالث- ففي الوضع الثاني يقول محمود السعران : "يتضام الوتران الصوتيان بشكل مسموح للهواء بالمرور بانتظام ، و بسرعة فائقة، فيحدث التذبذب الذي يحدث نغمة موسيقية تختلف - درجة و شدة - باختلاف عدد الحركات الإيقاعية و مداها " [1]، و تحدد هذه النغمة صفة الجهر التي تحملها بعض الأصوات العربية.

و يرى إبراهيم أنيس أن أربعة أخماس الكلام العربي يتكون من الأصوات المجهورة،و من الطبيعي أن تكون اللغة كذلك، و إلا فقدت عنصرها الموسيقي و رنينها الخاص[2].

و أما في حالة وضع الوترين الصوتيين لإحداث النبرة فيكون الانطباق الكلي لهما، فلا يسمحان بمرور الهواء، ثم فجأة ينفرج الوتران بعد الانطباق الكلي لهما ، فيندفع الهواء المضغوط و هذا الضغط يكسب الأصوات نوعا من الشدة، و قد أصاب شاهين حينما خصص في كتابه (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث) نوعا من النبر ، فأسماه النبر المهموز، لأن الهمزة تنتج عن هذا الموضع و هذا ما جعل القدامى يعرفون النبر بأنه الهمز [3] .

أ. الخيشوم :

يلعب الخيشوم دورا فعالا في إصدار الأصوات التي تميّزها الغنّة، فيعطي للصّوت -بهذا- نغمة موسيقية لا نجدها في الأصوات الأخرى. و تهتم القراءات القرآنية بهذا

---

[1]- محمود السعران ، علم اللغة - ص : 137.

[2]- ينظر: إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ،ص: 22 .

[3]- ينظر ابن منظور، مادة نبر ، فيما روي عن الرسول صلى الله عليه و سلم " قال رجل لنبي صلى الله عليه و سلم: يا نبيء الله (بإظهار الهمز) ، فقال رسول صلى الله عليه و سلم: لا تنبر باسمي، أي لا تهمز، و في رواية قال: إنا معشر قريش لا ننبر ، و ملاحظ هنا أن القدامى قصدوا بالنبر الهمز (أي عند تحقيقه)، ابن منظور، لسان العرب، ج :8 - ص : 113 .

الأداء الصّوتي لما لهذه الصفة من أهمية في تجويد القراءة، فقد تكون الغنّة أصلية، أي صفة ذاتيّة في الصّوت ، أو مكتسبة عرضية تزول بزوال السبب [1].

ج. الحنجرة :

يقول إبراهيم أنيس إنها " أداة الصّوت الأساسية و ما يتكوّن في غيرها من أصوات إنسانية لا يكون كلاما مسموعا واضحا ذا درجات موسيقية منسجمة يمكن ضبطها، و قياسها " [2]. و تتحكم الحنجرة في صدى الصّوت و ما ينتجه من جرس يتميز به عن غيره من الأصوات في حالة إفراده عن غيره من المقاطع الصوتية عند دخوله السياق الصوتي .

---

[1]- تحمل كل من النون و الميم صفة ذاتية تتمثل في الغنة التي تكون كاملة الإدغام في (النون + (الراء أو اللام))، و ناقصة الإدغام مع الواو أو الياء و مشددة في (النون + النون) = إظهار الغنة على النون المشددة و (النون + الميم) ينظر إظهار الغنة على الميم، ينظر: الشيخ حسين عثمان- حق التلاوة -السعودية--جدة- دار المنارة-ط.10-د.ت- ص : 254 .

[2]- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص : 22.

ثانيا : أهمية الصوت اللغوي في دراسة ظاهرتي النبر و التنغيم :

إن خصائص الصوت الطبيعية تختلف من ثلاث جهات ، من حيث الشدة ، و الدرجة، و النوع (الميزة)، و يؤثر هذا الاختلاف في كل صوت يخرج من الصدر أو الحلق أو الفم، و ناقش شكري عياد المستوى الكمي للموسيقى في الشعر العربي و قال: " التموجات الهوائية الصادرة عن هذه الأجهزة تختلف من حيث سعتها ، أي تباعد قيمة الموجة و قاعها، و من حيث قصر الموجات، أي تقارب بعضها من بعض و من حيث شكل الموجة إما باستواء خطوطها ، و إما انطوائها على ما يشبه موجات صغيرة في داخلها" [1] ، ففي هذا الارتفاع و الانخفاض ، و الارتكاز و الارتخاء قاعدة لفهم ظاهرتي النبر و التنغيم في مستوى السياق المنطوق ، فشدة الصوت و ما يقابلها من لين يصاحبان، من دون شك، ما يسميه المحدثون بالنبر (Accent) أو (stress) ، و الذي قسمه المحدثون إلى نبر شدة و نبر مدة، و يكونان نتيجة جهد صادر عن الجهاز الصوتي عند النطق بمقطع صوتي من مقاطع الكلمة أو من مقاطع التركيب، و هذه المقاطع الصوتية بدورها تختلف في درجة الصوت و حدته. و قد يقصد بهذا المصطلح الأخير (درجة الصوت) في الموسيقى بالسلم الموسيقي الذي قسمه الموسيقيون إلى رموز لاتينية تمثلت في (do, re, mi, fa, sol, la ,si) و الذي يقول فيه إبراهيم أنيس" فعلى قدر انتقال الصوت في السلم الأوروبي من do إلى si يقل عمق الصوت أو تزداد حدته فتختلف درجته تبعا لهذا ، و بالتالي يستطيع صاحب الأذن الموسيقية، بسهولة ، التفرقة بين شدة الصوت و درجته" [2]، و أراد إبراهيم أنيس من هذا التعريف، أن يفرق في الأداء بين

---

[1]- شكري عياد - موسيقى الشعر العربي - دار المعرفة- ط.2- 1978م- ص : 36.

[2]- إبراهيم أنيس - موسيقى الشعر -القاهرة - المكتبة الأنجلو مصرية - ط.3 - 1965م- ص: 9.

النبر و التنغيم فالأول عنده يحدث بعامل الشدة [1]، و أما الثاني فيحدث بعامل اللين [2] و هذا التنقل الخاص بدرجة الصوت اسماه إبراهيم أنيس (موسيقى الكلام) (Intonation) و يعبر عنه آخرون بمصطلح التنغيم أو النغم [3]، و ينتج الارتباط بين النبر و التنغيم نشاطا إيقاعيا يكون مبعثه درجة الصوت التي تساعد المقطع على إعطائه خاصية الكمية و ذلك عند زيادة طول المقطع المنبور بما يجاوره من مقاطع صوتية أخرى، و قد سماه شكري عياد نبر علو [4] (Accent Tonal) و سماه محمد الأنطاكي بنبر مدة [5].

و يتبدى مما تقدم ، أن النبر و التنغيم يعدان من الظواهر الصوتية و الموسيقية الدقيقة، و دراستهما تحتاج إلى معرفة واسعة باللغة المراد البحث فيها، و الحاجة إلى الأصوات اللغوية ، في هذا المجال، ضرورية على حد قول محمود السعران " فإذا جئنا إلى دراسة أي لغة أو أي لهجة ، دراسة علمية، و لم تتبين هذه الدراسة صفات أصوات هذه اللغة، أو اللهجة و أنظمتها الصوتية، فلا معنى

---

[1]- يتنوع عامل الشدة بتنوع الصفات الذاتية الثنائية منها و المنفردة (الإطباق، الجهر، الغنة، الصفير ، التكرير، القلقلة، الاستعلاء) ، و بتنوع الصفات العرضية(الهمز، الإدغام، التفخيم و الإمالة). و تفرز لنا هذه الصفات الذاتية و العرضية ظواهر فيزيائية تتمثل في الضغط و الارتكاز في مستوى الوحدات النبرية (المقاطع المنبورة) .

[2]- و يتنوع عامل اللين بتنوع رنين أصوات أشباه اللين (الميم و الباء و اللام) و أصوات اللين المركبة (الياء و الواو)، و يتنوع عامل المد (المدود القصيرة و الطويلة و المتوسطة) بتنوع كمية الهواء المندفعة من الرئتين.

[3]- تنوعت مصطلحات الوحدات فوق المقطعية الخاصة بالتنغيم عند المحدثين ، فيطلق عليها إبراهيم أنيس في كتابيه " الأصوات اللغوية" و " موسيقى الشعر" التنغيم (Intonation) أو النغم (Melodie) أو موسيقى الشعر ، و شكري عياد في كتابه" موسيقى الشعر العربي"، مصطلح موسيقى الكلام، أما محمود السعران في كتابه"علم اللغة" و تمام حسان في كتابيه " اللغة العربية معناها و مبناها" و " مناهج البحث في اللغة "، فيستخدمان مصطلح التنغيم، و يطلق عليه بسام بركة في كتابه" علم اللغة العام" ، مصطلحا" النغم" و "التنغيم" إلا أنه يحدد وظيفة كل منهما ، إذ يقوم النغم بتحديد الوحدات المعنوية الكبيرة في الخطاب، بينما التنغيم ، يحدد طريقة التواصل القائم بين المتكلم و المخاطب و الملاحظ أن " النغم" و "التنغيم" كلمتان مترادفتان عند علماء الأصوات ، تطلقان على منحنى الجملة اللحني ، يُراجع بسام بركة، ص : 100.

[4]- شكري عياد - موسيقى الشعر العربي- ص : 32.

[5]- محمود الأنطاكي- الوجيز في فقه اللغة- منشورات دار الشرق- ط.2- ص: 262.

لتلك الدراسة، و نظم الكلام فيها يكون قاصرا ما لم يراع فيه دراسة الصور التنغيمية " [1]، فالاختلاف في التنغيم يؤدي إلى الاختلاف في المعنى، لهذا عدت الدراسة الصوتية جزءا أصيلا في دراسة المعنى و تبيان نشاطه. و يضرب لنا محمود السعران مثالا على ذلك فكلمة "الله " في اللغة العربية هي كلمة واحدة من الناحية الصوتية الفونيمية و لكنها تختلف من الناحية النغمية في الصور الأدائية التالية _الإعجاب، الدعاء، التعظيم، المعبود، ..) و ذلك لاختلاف الحالة التنغيمية التي يقف عندها المتكلم ، لذا نجد نظام الوقفات - (بما يحمل من سكتات)- من أهم العلامات في النشاطين المعنوي و الإيقاعي.

و عملية الاتصال في الكلام (السياق الصوتي) مع اشتراك السمع و البصر تجعلنا نتحدث عن بعض الخصائص الصوتية الجمالية التي تتعدى مستوى السياق الصوتي فدون شك، إن الكلام يكون عبارة عن مقاطع متتابعة مختلفة من حيث البروز و الشدة اللذان لهما ارتباط وثيق بطول الصوت أو المقطع و بارتكازه. فمتى توافرت هذه العوامل ، حدث النبر و التنغيم . أما الأول فيهمه الارتكاز على المقطع مع اختلاف درجته، و أما الثاني فيهمه طول الصوت مع عمقه و يضاف إلى هذه العوامل الصوتية ظواهر لغوية [2] يحدثها الانسجام الصوتي بما يقتضيه من ائتلاف، و هي ظواهر إيقاعية تدعم ظاهرتي النبر و التنغيم .

أ. أصوات اللين :

اتفق علماء العربية على أن أصوات اللين (voyelles) ، حين صدورها لا يعترضها عائق أو حاجز يمنعها من ذلك ، فعند النطق بمثل هذه الأصوات، ينبعث الهواء من الرئتين، فيغيّر من طبيعة الصوت الناتج عن ذبذبة الوترين الصوتيين أولا، ثم

[1]- محمود السعران، علم اللغة ، ص : 136.

[2]- و تتمثل الظواهر اللغوية في النقل و الاقلاب و الإبدال و لاختلاس و غيرها.

عن وضعية اللسان[1] التي يتخذها أثناء عملية النطق، ثم عن وضعية الشفتين- و هي أعضاء رئيسة لإحداث مثل هذه الأصوات الأساسية في أي لغة- و حقيقة هذه الأصوات، أنها يدخلها الاختلاف من بيئة إلى أخرى، و سر هذا الاختلاف يرجع إلى تأثّر الأعضاء الرئيسة بعادات نطقية محلية. و اللافت للانتباه أن القدامى استطاعوا تحديد مخارج هذه الأصوات من خلال قول الخليل التالي " و أربعة أحرف جوف و هي الواو و الياء و الألف اللينة و الهمزة .... و هي لا من مدراج الحلق و لا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية، و في الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف " [2]، و يبقى هذا مقارنة مع ما قدمه علماء العربية القدامى من تعاريف تخص الصوامت ناقصا، إذ لم يعنوا العناية الكافية بهذه الأصوات (المصوتات القصيرة منها و الطويلة) " فعدوها أشياء عارضة تعرض للأصوات الصامتة ، فهي تابعة لها، و ليست مستقلة مثلها " [3].

و فيما عدا ابن جني الذي أزال اللبس عن الدرس الصوتي السابق بوضع تعريف يبين فيه مواضع هذه الأصوات من الأعضاء النطقية الرئيسة فقال: " و الحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ، ثم الياء، ثم الواو، و أوسعها و ألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء و الواو، و الصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف و الواو. و العلة في ذلك أنك تجد الفم و الحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال.. فلما اختلفت أشكال الحلق و الفم و الشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر،

---

[1]- أولا : وضعية اللسان بالنسبة إلى الحنك الأعلى من حيث الارتفاع و الانخفاض، و هما خاصيتان فيزيائيتان تعدان من العوامل الرئيسة لإحداث ظاهرتي النبر و التنغيم، و ثانيا : الجزء المعين من اللسان الذي يحدث فيه الارتفاع و الانخفاض يؤثر على الشفتين إما بضمهما ، و إما بفتحهما و انفراجهما و إما باتخاذهما وضعية محايدة .

[2]- الخليل- كتاب العين - ج1- ص : 57.

[3]- كمال بشر- علم اللغة العام- القسم الثاني- الأصوات- مصر - دار المعارف- 1971م- ص:190.

و ذلك قولك في الألف أَ اْ ، و في الياء إِيْ، و في الواو أُوْ "[1] و لم يقف ابن جني عند هذا الحد فحسب، بل بين أن هذه الأصوات اللينة، منبعها الحركات – (المصوتات القصيرة)– التي لها خصائص المصوتات الطويلة و الصوامت ، و يرتبط فيها جرس كل مصوت " بحجم و شكل تجويف الفم ، و ذلك حسب موقع اللسان، و الشفتين، و درجة انفتاح الفم"[2] فإدراك القدامى لهذه الأصوات (الحركات)[3] و ما ينجم عنها من أصوات لين، عبر عنه ابن جني بعبارة تدل على دقة الذوق، و عمق التأمل، فيقول : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد و اللين ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء و الضمة بعض الواو"[4] فيؤخذ من هذا القول أن في اللغة العربية حركات ثلاث تعد أساسية، و هي قصار تنجرّ عنها ثلاث طوال، و أمام ما أحدثه القدامى من تمييز بين المصوتات القصيرة و الطويلة، نتساءل عما إذا كنا أمام مد لحركات قصار، أم أمام تعويض لها بأصوات أخرى ، لذا يرى إبراهيم أنيس أن "القدامى قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد، فقالوا إن هناك فتحة على التاء في "الكتاب" و الحقيقة إن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع فالتاء في "كتاب" محركة بألف مد وحدها... "[5] و يبرر موقف القدامى كونهم عنوا منذ القدم بالصوامت– فحسب– فلم تكن لهم الحاجة إلى مثل هذه الحركات أو المدود التي اصطلح عليها فيما بعد[6].

---

[1]– ابن جني – سر صناعة الإعراب – ج: 1– ص: 8،و 9.

[2]– ينظر: حركات مصطفى– الصوتيات و الفونولوجيا– الجزائر– الأبيار– دار الآفاق – د.ط– 1992م. ص : 49.

[3]– حدد أبو الأسود الدؤلي الحركات القصيرة انطلاقا من أعضاء النطق، يراجع: أحمد مختار عمر– البحث اللغوي عند العرب – عالم الكتب – ط.4– 1402 هـ–1982 م – ص: 120

[4]– ابن جني – سر صناعة الإعراب– ج:1– ص: 19.

[5]– إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية – ص : 40.

[6]– ينظر: المرجع نفسه– ص : 28.

و لئن كان الدرس القديم يعتريه بعض النقص، فإن القدامى قد تفطّنوا إلى استعمالات هذه المصوتات الثلاث – أو الست- و ما يعتريها من اختلاف صوتي ناتج عن السياق الصوتي، " فالفتحة مثلا قد تكون مفخمة و قد تكون مرققة و قد تكون بين التفخيم و الترقيق ، فهي مفخمة مع أصوات الإطباق، و هي الصاد ، و الضاد ،و الطاء ، و الظاء ، و هي في الحالة الوسطى بين التفخيم و الترقيق مع القاف ، و الغين ، و الخاء ، و لكنها مرققة في المواقع الصوتية الأخرى" [1].

و بهذا القياس نجد الحركات تتنوع بين تفخيم و ترقيق و إمالة و فتح و إشمام و رَوْم [2]، ما يؤدي إلى تنوع نغمي في الأداء ،و يبين الجدول الآتي أسباب هذا التنوع النغمي :

---

[1]- كمال بشر- علم اللغة العام- ق:2- الأصوات - ص : 192.

[2]- الروم : الإتيان بالحركة خفية خرصا على بيان الحركة التي تحرك بها آخر الكلمة في الوصل ، يدركه صحيح السمع ، لأنه يتمثل في صويت خفيف يكون في آخر الكلمة، و الإشمام : تصوير الفم عند حذف الحركة بالصورة التي تعرض عند التلفظ بتلك الحركة بلا حركة ظاهرة و لا خفية، و هو أضعف من الروم لأنه لا ينطبق فيه بشيء من الحركة، ينظر: الإسترابادي - شرح شافية ابن الحاجب - ت : محمد نور الحسن و محمد الزفزاف و محمد محي الدين عبد الحميد - بيروت - دار الكتب العلمية-1402 هـ-1982 م - ج:2 - ص : 275- 276.

نوع المصوت	موضعه	الانفراج و الانفتاح	درجة العلو و الانخفاض	الفروع	أسباب التفرع
[i]	مصوت أمامي	حادة	حركة ضيقة	الكسرة المرققة	كسرة+كسرة← إمالة كسرية منفرجة — الفتحة المرققة ← إمالة كسرية حادة (أ)
				الكسرة المفخمة	الإشمام بالضم
[A]	مصوت وسط	منفرجة	حركة منفتحة	الفتحة المرققة (المنكسرة)	- الفتحة المنفرجة - الفتحة المرققة - القلقلة القصيرة المفرط فيه
				الفتحة المفخمة (المنضمة)	إذا وجدت مع حروف الاستعلاء و الإطباق - القلقلة الموقوف عليها
				الفتحة	الفتح الحاد و الفتحة
[U]	مصوت خلفي	حادة	حركة ضيقة	الضمة	الضم الطبيعي (u)
				الضمة المفخمة	الإمالة الضمية الحادة و الإمالة الضمية المنفرجة (o)
				الضمة المرققة	الإشمام بالكسر (u)

جدول التنوع النغمي في أداء المصوتات (القصيرة و الطويلة)

المصوت	نوعه	كميته	أحكامه من حيث الغنّة و المد	السبب
الفتحة	المنفرجة الأمامية	قصيرة	تنعدم فيها الغنة و تقصر في الروم حتى تصير نصف الحركة	إذا ما جاء بعد أصوات مستقلة
		طويلة	تنعدم فيها الغنة ، تطول في الإدغام و الهمز	لأن في الإدغام وصل شديد مبلغ فيه و تحقيق الهمز يضاعف المد
	المفخمة و الممالة نحو الضم	قصيرة	لا تراعى فيها أحكام اللغة العربية	غير فصيحة
	اللينة الخلفية المنضمة المنفرجة	قصيرة	تنعدم فيها الغنة، تقصر في الروم حتى تصير نصف الحركة	تكون منفرجة لما يسبقها من حروف مستعلية
	المفخمة	طويلة	تنعدم فيها الغنة ، تقصر في الروم، تطول في الكلام إذا وقع عليها إدغام أو همز	يفرط في طولها إذا وليها إدغام أو همز
	منكسرة حادة أمامية	قصيرة	تنعدم فيها الغنة ، تقصر في الروم حتى تصير نصف الحركة	و إذا سبقت بأصوات الاستعلاء فإنها تنفرج قليلا لا سيما المطبقات منها، و ذلك لما تحمله من شدة .

		طويلة	تنعدم فيها الغنة ، تطول في الإدغام و الهمز	يقع عليها الانفراج لما لهاتين الظاهرتين من شدة و مد
الكسرة	الإمالة الكسرية الحادة القصيرة	قصيرة	تنعدم فيها الغنة ، تقصر في الروم	لها أحكام كثيرة في القراءات القرآنية
	الإمالة الكسرية المنفرجة	قصيرة	تنعدم فيها الغنة، تقصر في الروم، تنفرج قليلا عن الإمالة الكسرية الحادة القصيرة	تنفرج حين تسبقها الحروف المستعلية
	الإمالة الكسرية المنفرجة	طويلة	تنعدم فيها الغنة ، تقصر في الروم	تختلف مع الإمالة الكسرية الحادة القصيرة في درجة الانفتاح .
الضمة	خلفية منضمة حادة	قصيرة	تنعدم فيها الغنة ، يدخل عليها الرَّوْم، و لا تتأثر بأصوات الاستعلاء	
		طويلة	تنعدم فيها الغنة، يدخل عليها الرَّوْم	يفرط في طولها إذا وليها إدغام أو همز
	الإشمام بالضم	قصيرة	تنعدم فيه الغنّة	تنضم معه الشفتان بدل أن تنفرجا ، فيَنْتُجُ المصوِّت الأمامي الحاد المنضم
		طويلة	تنعدم فيه الغنة	تختلف عن القصيرة في درجة الطول فقط

	الإشمام بالكسر	قصيرة	تنعدم فيه الغنة	تنفرج الشفتان بعد الضم
		طويلة	تنعدم فيه الغنة	تنفرج الشفتان بعد ضم و تضاف درجة الطول

ب. أصوات اللين المركبة :

و تكون هذه المقاطع الصوتية أشد بروزا و جهارة مقارنة بالمقاطع الصّوتية الأخرى المجاورة لها في السياق الصوتي، و يتحدد المقطع الصوتي فيها بمصوتين اثنين أو صوتي لين اصطلح الغربيون على تسميتها (diphtongue) و قال فيهما محمد الأنطاكي :

" ...فإن أحدهما لا ينال من الإشباع في اللفظ ما يناله الطليق عادة، فمثلا عند نُطْقنا لكلمة (بيْت) لا نكاد ننطق الفتحة حتى يترلق اللسان انزلاقا سريعا إلى الكسرة "[1] ، و يقصد الأنطاكي، هنا بالصّوت الطليق، الصّوت اللّين و يتميّز الصّوت اللين المركب بهذا الشكل بنوعين من النّغمة : نغمة صاعدة، و أخرى هابطة، و يطلق إبراهيم أنيس كلمة (صاعد) على الصّوت اللين المركّب الذي أصبح جزءه الأول شبه لين مثل كلمة (يُسر) و يطلق على ما أصبح جزءه الثاني شبه ليّن كلمة (هابط) مثل (بيْت) [2]. بينما يسمي محمود السعران الهابط ما كان طرفه الأول أبرز و أشد جهارة من طرفه الثاني ويسمي الصاعد ما كان طرفه الثاني أبرز و أشد جهارة [3].

و يتبيّن ممّا تقدّم أن البروز و الشدة يعدان من العوامل المهمة المحددة لعملية النبر، أولا ثم ما يتأتّى عنها من نغمات أساسيّة و ثانوية تؤدّي إلى التّنغيم، و يبيّن الجدول التالي أصوات اللين المركبة ، و ما تحمله من نغمات صاعدة و هابطة [4].

الفتحة	[ـَ + ـِ] ← إمالة كسرية حادة	بَيْت ← بيت (↙)
	[ـَ + ـُ] ← إمالة ضمية حادة	كَوْن ← كُون (↙)
	[ـَ + ـَ] ← همزة بين بين	أَأَنْتَ ← أَانْت (←)
الكسرة	[ـِ + ـَ] ←إمالة قريبة إلى الأصل أي	يـِـا (↑)

[1]- محمد الأنطاكي- الوجيز في فقه اللغة - ص : 241.

[2]- ينظر: إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص : 89.

[3]- ينظر :محمود السعران - علم اللغة، ص : 204.

[4]- ينظر: محمود الأنطاكي- الوجيز في فقه اللغة - ص: 237، و من حيث درجة الانفتاح و الانغلاق و مواضع النطق، يراجع مثلث الصوامت عند بسام بركة- علم الأصوات العام- ص: 84- 85.

	الفتح [ـــ +ـــُ] ← إمالة ضمية حادة [ـــ +ـــَ] ← إمالة كسرية حادة	يُوسف (↖) كائن ← كايين (↖)
الضمة	[ـــُ +ـــُ] ← إمالة ضمية حادة [ـــُ +ـــَ] ← إمالة ضمية [ـــُ +ـــَ] ← إمالة ضمية	داوُود (↑) وصال (↖) واحد (↑)

و يؤدي أي انحراف على مستوى المصوتات، من حيث الطول و القصر، إلى انحراف في الأداء يترتب عليه تغيّر في المعنى ، لما تتميز به المصوتات من وضوح في السمع إذا قيست بالصوامت. و نظرا لما تمتع به ابن جني و غيره من علماء التجويد و القراءات من سمع مرهف أدركوا به أنواع المدود، فبينوا الفرق بين المد الأصلي المتمثل في مطل الأصوات الهوائية ، و ما ينجم عنها من فروع تعتبر في ذاتها مدودا فرعية تنضاف إلى الاختلافات الصوتية الأدائية، و في هذا قال ابن جني : " ألا ترى أن الألف و الياء و الواو اللواتي هن حروف توامّ كوامل، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول و أتم منهن في بعض.و ذلك قولك يخاف و ينام، و يسير و يطير، و يقوم و يسوم، فتجد فيهن امتدادا و استطالة ما ، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ، ازددن طولا و امتدادا، و ذلك نحو يشاء، و يداء، و يسوء، و يهوء، و يجيئ ، و يفيء، و تقول مع الإدغام شابّة و دابّة ، و يطيب بّكر و يسير رّاشد... ؛ أفلا ترى إلى زيادة المد فيهن بوقوع الهمزة و المدغم بعدهن، و هن في كلا موضعيهن يسمّين ... حروفا كوامل ، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفا صغارا بأبعد في القياس منه " [1].

[1]- ابن جني- سر صناعة الإعراب – ج:1- ص: 19-20.

و يقع تطبيق المحدثين لقواعد النبر على المقاطع الصوتية الواضحة في السمع [1] و أي انحراف في أداء هذه المقاطع الصوتية ينجر عنه انحراف في مواضع النبر و عليه انحراف في موسيقى الكلام .

فالمقاطع الصوتية من حيث طولها ، و قصرها، من العوامل المهمة في تحديد ظاهرة التنغيم ، أولا ، تحديدا علميا يحسب بالزّمن و السّعة و الكميّة. و يتبيّن مما عرض من أصوات لين متنوعة ، أنّ لها تفريعات كثيرة ، تتعلق من حيث طولها ، و قصرها بظواهر صوتية دقيقة تظهر إما بحاسة السمع كالإشمام ، و إما بحاسة البصر كالروم، و إما بحاستي السمع و البصر كالقلقلة، و الإدغام و الهمز، و ما ينجرّ عن هذه الأصوات من تفريعات جرت على لسان العرب طلبا لتشكيل صوت محافظ على جمالياته النطقية بما يحمله من نشاط إيقاعي يقوم على ظاهرتي النبر و التنغيم، فالأصوات اللغوية بصوامتها وصوائتها لا تنطق كلها على درجة واحدة من الشدة و الرخاوة و الضعف و القوة، و الطول و القصر، و الوضوح و الخفاء. و تدخل في هذه الصفات عوامل عدة منها درجة توتر أعضاء النطق، و منها كمية الهواء المندفع أثناء النطق ، و منها متطلبات السياق التي تفرض على المتكلم استخدامات بحسب الحالة التي يكون عليها .

ج. أصوات أشباه اللين :

لقد شاهد الدراسيون المحدثون عند تسجيلهم للذّبذبات الصوتية جملة من الظواهر الصوتية الفيزيائية تكمن في أن هذه الذبذبات تأتي في شكل تموجات متكونة من قمم و وِدْيَان " و تلك القمم من أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح. و أصوات اللين تحتل في معظم الأحيان تلك القمم، تاركة الوديان للأصوات الساكنة ، و قد وجد

---

[1]- يحدد المحدثون النبر في مستوى المقاطع الصوتية الواضحة في السمع، التي اصطلح على تسميتها بالأصوات المقطعية .

المحدثون أن اللام و النون و الميم تحتل القمم في بعض الأحيان، مثلها في هذا مثل أصوات اللين. و لهذا اعتبروا أصوات اللين و معها اللام و النون و الميم أصواتا قطعية ، لأنها هي التي تحدّد المقاطع الصوتية في الكلام " [1] . و عليه تتحدد بداية المقطع و نهايته على أساس هذه الأصوات المقطعية [2].

و ما ذكره إبراهيم أنيس في كون المقاطع الصوتية بحسب كمّيتها و مقياسها الزمني تنقسم إلى مقاطع ممدودة ، و أخرى مقصورة ، كلاهما صالح للإنشاد و التغني ، يؤكده علماء الأصوات و الموسيقى [3]، و ينضاف إلى هذه المقاطع الصوتية (اللينة) الأصوات شبه اللينة : (الميم و النون و اللام) لما تتمتع به من غنة موسيقية حاملة لرنين خاص .

---

[1]- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص : 110.

[2]- تنقسم الأصوات المقطعية إلى أشباه اللين (الميم و النون و اللام) و إلى أصوات اللين القصيرة و الطويلة ، و تحدد هذه الأصوات بداية المقاطع الصوتية و نهايتها و هذا لما تتمتع به من وضوح أثناء النطق و السمع .

[3]- ينظر: إبراهيم أنيس - موسيقى الشعر- ص : 32.

ثالثا : أهمية الظواهر الصوتية الفيزيائية في تحقيق النبر و التنغيم :

أ.الإطالة :

و نعني بها مدّة الصّوت اللّغوي و ما يقع فيها من مطل يحتاج في دراسته إلى الدقة، و ذلك لمعرفة طول الصوت و قصره، و الزمن الذي يستغرقه أثناء النطق ، و كمية الهواء المندفعة من الرّئتين أثناء الأداء ، و ينقسم الطول عند علماء العربية قديما ، و حديثا إلى قسمين: مد طبيعي، و آخر مكتسب " أما الطّبيعي فهو الطّول النّاشئ عن طبيعة الصوت و آليته النطقية الخاصة به (صائت، و صامت، شديد ، رخو، شبه صائت)، أما المكتسب فهو الطول الذي يكتسبه الصوت من مجاورته للأصوات الأخرى، أو من موقعه الذي يحتله في الكلام " [1]. و يرى إبراهيم أنيس و غيره من الباحثين أن "لطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللغة نطقا صحيحا، فالإسراع بنطق الصوت أو الإبطاء به يترك في لهجة المتكلم أثرا أجنبيا على اللغة ينَفر منه أبناءَها " [2] .

و هذا ما جعل الدّراسين يهتمون بظاهرة المدّ و فروقها الصوتية، إذ نجد القراء يقسمون مراتبها بالألفات أحيانا، و بالعدّ على الأصابع أحيانا أخرى، لأن لطول هذه الأصوات و قصرها الدور الهام في إظهار النّغمات بما تحمل من نبر موسيقي في مستوى المقاطع الصّوتية فيحدث النطق السليم و السوي للغة [3].

---

[1]- محمد الأنطاكي- الوجيز في فقه اللغة - ص : 241.

[2]- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص : 108.

[3]- أنظر محمد النطاكي- الوجيز في فقه اللغة - ص : 246.

أ. مراتب الطول :

أولا : المد الطبيعي : و يتراوح بين أصوات المد و اللين و الأصوات الصامتة و هي مرتبة بحسب طولها .

1. الأصوات الخيشومية :

اهتم علماء اللغة و التجويد بهذا النوع من الأصوات ، الذي اقتصر على صوتي الميم و النون، فأطالوا في " الميم" حين يليها باء، و حين تكون مشددة ،كما أطالوا في النون مع خمسة عشر صوتا حالة إخفائها [1]. و مظهر الإطالة المسبّب للتّنغيم هنا هو الغنّة التي يلتزمها الصوت حين النطق به، و التي تكون أكثر وضوحا مع النون المشددة فتهب الأذن العربية نغمة موسيقية مميزة، و هذان الصوتان يمنحان السّياق الصّوتي نسيجا موسيقيا اهتم به القراء عند أداء حق الصّوت و مستحقّه .

2. الأصوات الجانبية (المنحرفة) :

اهتم بها علماء اللّغة و التّجويد ، و تقتصر على صوت اللاّم الذي قُسِّم أداؤه في القراءات إلى لام مرققة ، و أخرى مفخمة ، و كلا الأداءين يعملان في التشكيلين الصوتي و الإيقاعي [2].

3. الأصوات الشديدة :

و تتراوح بين بعض الأصوات المهموسة ، و المجهورة، فتنضاف إليهما صفة الشّدّة، فيصبح مدها الطبيعي ، و المحقق سببا في وضوح بعض المقاطع الصّوتية البارزة مقارنة بالمقاطع الصّوتية المجاورة لها .

---

[1]- تختفي النون الساكنة أو نون " التنوين" عند خمسة عشر حرفا: التاء، الثاء، الجيم، الدال، الذال، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الفاء، القاف، الكاف.ينظر: البنا الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر- ص:33، وغيره.

[2]- التشكيل الصوتي من حيث ائتلاف الأصوات صفة و مخرجا ، و التشكيل الإيقاعي من حيث الفتح و الإمالة أو التفخيم و الترقيق .

4. الأصوات المقلقلة :

و تقتصر على الأصوات التالية (القاف، و الطاء، و الباء، و الجيم، و الدال) التي ينضاف إليها صويّت يؤكد وضوحها، كما لا نهمل إلى جانب هذه الأخيرة، الأصوات المطبقة (الصاد و الضاد و الظاء) التي تشترك معها في الوضوح.

ثانيا : المد المكتسب :

و يتأتى طوله الزائد نتيجة عوامل محددة .

1. المقطع المنبور :

و يكون هذا المقطع أطول من المقطع غير المنبور " لأن انسجام الكلام في نغماته يتطلب طول بعض الأصوات و قصر البعض الآخر " [1].

2. الهمز :

إذا تلا صوت الهمزة كل من الألف و الواو و الياء في المقطع نفسه، زيد في طول هذا المقطع الأخير، كقولك حمراء. و يعلل إبراهيم أنيس سبب هذه الزيادة بقوله: " فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير، و إلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين " [2] ، و قد اهتم عبد الصبور شاهين بهذا

---

[1]- إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية – ص : 109.

[2]- إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية – ص : 109، وينظر: مجدي إبراهيم محمد إبراهيم – في أصوات العربية دراسة تطبيقية – القاهرة- مكتبة النهضة المصرية – ط.1 – 1422هـ - 2001م- ص:135،و 136.

المقطع الصوتي في كتابه (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث) لما وجد فيه من علاقة بمواضع النبر .

3. الإدغام :

إذا تلا الصوائت صوت مدغم زيد في طول هذه الأصوات زيادة مفرطة تستدعي وقوع النبر عليها، قولك في ذلك (يطيب بّكر) [1] أو في قوله تعالى :

﴿مدْهَامَّتَان﴾ [2]

و يستلزم النسيج الصوتي في حالة الإدغام " قصر أصوات اللين حين يليها صوتان ساكنان ؛ فحرصا على صوت اللين ، و إبقاء على ما فيه من طول بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللّهجات العربية قديمها و حديثها، من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان " [3].

ج. الحـــــدة :

و هي نسبة ارتفاع الصوت و انخفاضه ، فأصوات اللّغة لا تنطق كلها على درجة واحدة من الحدة أثناء الكلام ، إذ ترتفع الأصوات كلما زيد في عدد الذبذبات ، و تنخفض كلما نقصت أو انعدمت. و تعمل الحدة على تحديد نوع من النغمة الموسيقية سواء في مستوى الكلمة أو في مستوى الجملة .

هذا كتابك (؟) |ـــ . . ، // نزول في الحدة ثم صعود

أهذا كتابك ؟ |ـــ، . . // صعود في الحدة .

---

[1]- ابن جني - سر صناعة الإعراب - ص : 20.

[2]- سورة الرحمن - الآية : 64.

[3]- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص : 109.

رابعا : أهمية الائتلاف الصوتي في تحقيق النبر و التنغيم :

حاول علماء العربية قديما أن يكون درسهم الصّوتي ملما و جامعا، فبعد أن تعرضوا للجهاز النطقي بشيء من الدقة، حددوا عليه مخارج الأصوات، فألزمهم ذلك معرفة صفات الأصوات و ميزاتها؛ لأن هذه الأصوات بوصفها وحدات مفردة جزئية مجردة ، لا تكتمل دراستها إلا إذا راعينا فيها صفاتها النطقية و السمعية المتنوعة و قد تفطن الخليل لهذا النوع من الدراسة ، فأشار إلى عمليتي التأثير داخل السياق الصوتي، و عمليتي الائتلاف و التنافر بين الأصوات فأراد من وراء ذلك إعطاء تسلسل الكلام بناء هندسيا منسجما، و في هذا بحث ابن جني و تعرض لأهم نظرية انتهجها ابن سنان الخفاجي من بعده ، قسم فيها التآلف الصوتي بين الأحسن ، و المستحسن ، و المنبوذ [1] و هي نظرية تبحث في الكلام الفصيح من غير الفصيح مما تصح به قراءة القرآن.

و يقول الخليل في استحسان تآلف الأصوات، و استقباح تنافرها " ... و لكن العين و القاف لا تدخلان في بناء إلا حسّنتاه لأنهما أطلق الحروف و أضخمها جرسا" [2] فقد أعطى الخليل اعتبارا كبيرا للجرس، و الإيقاع الصوتي من حيث وضوحه، و ضخامته في النسق الصوتي ، و لا يتسنى لنا ذلك إلا بمعرفة واسعة لصفات الصوت الذاتية، و العرضية. و يواصل الخليل حديثه" ... فإذا اجتمعا (القاف و العين) أو أحدهما في بناء، حسنا البناء لنصاعتهما، فإن كان البناء اسما لزمته السين، أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء و كزازتها، و ارتفعت عن خفوت التاء فحسنت، و صارت حال السّين بين مخرج الصّاد، و الزّاي كذلك" [3]، و ذكر الخليل هذا النوع من التفاعل الصّوتي، لكن

---

[1]- ينظر ابن سنان الخفاجي - سر الفصاحة - ص : 21.

[2]- الخليل- العين - ص : 53-54.

[3]- المرجع نفسه و الصفحة .

دون ذكر السّبب في ذلك إذ لم يوفق في تبيانه و اكتفى بقوله :" ... و لا يجوز للسّين في الكلمة التي جاءت القاف فيها قبل الصّاد إلا أن تكون الكلمة سينية لا لغة فيها للصّاد ... " [1] و قال أيضا : " كل صاد قبل القاف – إن شئت – جعلتها سينا لا تبالي متصلة كانت بالقاف، أو منفصلة بعد أن تكون في كلمة واحدة، إلا أن الصّاد في بعض الأحيان أحسن، و السين في مواطن أخرى أجود " [2]، و يتضح من خلال ما ذهب إليه الخليل أنه تجاوز صفات الصّوت الواحد إلى تحسس الصّفة العرضية المترتبة عن تجاور عدة أصوات دون أن يذكر سبب الإبدال أو القلب أو الإدغام أو الاختلاس، و هي ظواهر لا يمكن فصل نشاطها و فعاليتها في المقطع المنبور مقابل المقطع غير المنبور، و ما يترتب على ذلك من نغمات أساسية، و ثانوية تكسب السّياق نشاطا جماليا يظهر جليا عند اتصال صوت بصوت آخر، أو الوقوف على صوت ، نكسبه ميزة القلقلة التي يرى محمود السعران أنها تعادل نبر الشدة ، فأسماها بالصائت المركزي الضعيف [3].

---

[1]- الخليل – العين – ص : 54.

[2]- الخليل – العين – ص : 54 .

[3]- ينظر : محمود السعران – علم اللغة – ص : 162.

1. أهمية المقطع الصوتي في دراسة النبر و التنغيم :

تبنى اللغة عادة على مقاطع صوتية تستغرق كمّاً في النطق بها، فإذا أتى الباحث إلى تحديد نسج كلمة معنية في لغة ما، أو وزن بيت شعري في قصيدة من القصائد، لضبط الظواهر الصوتية و الإيقاعية (النغمية) ، كان لابد للباحث من العودة إلى النظام المقطعي ليحدد به نهاية المقاطع و بدايتها عن طريق تلك الظواهر الفيزيائية النغمية من شدة أو لين، أما الأولى فتحددها الغنة و الإدغام، و أما الثانية فيحددها الطول و القصر لأصوات اللين، و عليه يفسر الباحث نظام اللغة كميا و كيفيا لأن لكل عنصر صوتي في اللغة دورا في تشكيله الإيقاعي [1]، فأهمية المقطع في الدراسات الصوتية الفونولوجية ، تكمن في تحديد أولي لظاهرتي النبر و التنغيم [2] ، و متى حدث التغير في مستوى هذه المقاطع الصوتية في الكلمة نفسها ، أدى ذلك، في الغالب، إلى تغير في موضع النبر، ثم في كيفية النغمات.

---

[1] -ينظر: أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية- بيروت- دار العلم للملايين – ط.2- 1981م- ص: 201

[2] – من حيث أن النبر قد يقع في المقاطع الصوتية المغلقة (ص ح ص، ص ح ص ص) بينما التنغيم قد يقع في المقاطع الصوتية المفتوحة أو المغلقة، القصيرة أو الطويلة (ص ح ، ص حَ، ص حَ ص) .

2. مفهوم المقطع عند العرب :

تحدث ابن جني عن مفهوم المقطع حين تعرّض إلى الدرس الصوتي ، فعادل به الحيز الذي ينتهي عند صوت كل حرف بقوله: " فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا؛و تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها "[1] و من هنا ارتبط المقطع بأعضاء النطق محددا بذلك أصغر جزء يمكن النطق به، و يلتقي ابن جني فيما ذهب إليه في مفهوم المقطع الصوتي مع كثير من تعاريف المحدثين له، من حيث إنه " مزيج من صامت و حركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ، و يعتمد على الإيقاع التنفسي" [2]، و يأتي هذا الأخير عن ضغط من الحجاب الحاجز على الرئتين، فينتج " إيقاعا يعبر عنه مقطع مؤلف في أقل الأحوال من صامت و حركة "[3].

إن ما عبر عنه ابن جني من جرس للمقطع ، و ما تحدث عنه شاهين من إيقاع تنفسي للمقطع مصدره كمية الهواء المندفعة من الرئتين و المحددة لبداية المقطع و نهايته .

و يبقى تحديد ابن جني—ومن سبقه من العروضيين- [4] للمقطع تحديدا لا يفي بالغرض المراد دراسته عند المحدثين في كون المقطع الصوتي يعادل مفهوم(Syllabe) [5] عند

---

[1]- ابن جني - سر صناعة الإعراب – ج:1- ص : 6.

[2]- عبد الصبور شاهين- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي- بيروت - مؤسسة الرسالة- 1400 هـ - 1980 م - ص : 38.

[3]- - عبد الصبور شاهين- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي - ص : 38 .

[4]-تعرض الخليل للمقطع -- دون أن يدرك مفهومه الحديث في درسه العروضي للشعر العربي، عندما حدد الأسباب و الأوتاد .

[5]- Henri Fleisch - traite de philology arabe-beyrout-imprimerie catolique-1961-P: 63

؛و المقطع الصوتي عند بسام بركة ، يعادل مفهوم (noyau sylabique) ، يراجع:- علم الأصوات العام- ص:97.

الغربيين الذي يتألف في أقله من صامت و مصوت، و جمع هذين الصوتين و ما يتعداهما في أنواع المقاطع الصوتية يحدث رنينا ذاتيا عظيما [1].

و ينضاف إلى هذه التعاريف ما قاله تمّام حسّان في المقاطع الصوتية من حيث هي " تغييرات عن نسق منظم من الجزيئات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية، أو أشكال و كميات معينة " [2]؛ فهو ينظر إلى المقطع في هذا التعريف من زاويتين ، أما الأولى فهي نظرة اللساني الذي يتعامل مع الصوت من حيث إنه، إما ساكن (صامت) و إما متحرك (مصوت) ، و أما الثانية، فهي نظرة الدارس للموسيقى الذي ينظر إلى الصوت من حيث كل من كميته الزمنية و أشكاله المقطعية في ارتفاعها و انخفاضها و سكونها و تمثلها الرموز الموسيقية التالية : [3]

- النغمة الهابطة ، و لا يكون إلا على المقطع المنبور (↙) ، ( )
- النغمة الصاعدة ، و لا تكون إلا على المقطع المنبور (↖) ، ( )
- النغمة الثابتة ، إذا كانت منبورة رمزها (-)
- النغمة الثابتة ، إذا لم تكون منبورة رمزها (.)

و هي أنواع نغمية أشار إليها القدامى باستعمالات أخرى، خص بها علم العروض، فوصفوا التشكيل الإيقاعي العروضي باستخدامهم لمصطلحين اثنين هما : الحركة و السكون، فدلوا على الحركة بشرطة (-) و على السكون بدائرة (O) ، و اعترفوا بإمكانات إيقاعية ثلاثة ، (-) تعادل (ص ح)، و (- O) تعادل (ح ص) و (ص ح ص) و (ص ح ح) أو (ص حَ)، و (- OO) تعادل (ص ح ح ص) أو (ص حَ ص) و (ص ح ص ص)؛ هذه الإمكانات وظفها كمال أبو ديب في دراسته للإيقاع الشعري " في البنية الإيقاعية" [4] ، كما فعل تمام حسان ، فما قدم من تعاريف تخص المقطع الصوتي تتفق كلها في كون المقطع أصغر وحدة منطوقة

---

[1]- ينظر: شكري عياد - موسيقى الشعر العربي - ص : 33.

[2]- تمام حسان - مناهج البحث في اللغة - ص : 170.

[3]- نفسه - ص : 201.

[4]- ينظر: أبو ديب كمال- في البنية الإيقاعية - ص : 72.

متنوعة الأشكال في تتابعها الصوتي، و متنوعة الإيقاع بين القصيرة و المتوسطة و الطويلة ، ثم بين المفتوحة و المغلقة ، و كل لغة لها نظامها المقطعي الخاص بها و الذي يميز إيقاعها عن باقي إيقاعات اللغات الأخرى .

3. أنواع النسيج المقطعي في اللغة العربية :

لا تتعدى المقاطع في الكلمة العربية الواحدة – بلواحق و سوابق- السبعة ، ففي قوله تعالى ﴿ فسيكفيكهمو ﴾ [1] و ﴿ أنلزمكموها ﴾ [2] ، مثال لكلمتين مكونتين من سبعة مقاطع ، و هو نوع نادر في اللغة العربية و الكثرة الغالبة لا تزيد على الأربعة مقاطع في الكلمة الواحدة ، و هذا ما حدده القدامى في درسهم اللغوي عندما وجدوا أن الكلمة العربية يمكن أن تنسج من مقطع واحد اثنين أو ثلاثة ، إلى سبعة. و أقروا بعد هذا التعقيد استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة ، و ذلك تفاديا للثقل الذي يتلف في اللغة العربية انسيابيتها و ائتلافها الصوتي، و نحا المحدثون هذا النحو، فقسموا المقاطع الصوتية إلى خمسة أشكال تمثلت في مجموعتين اثنتين حددهما إبراهيم أنيس و غيره من الباحثين من أمثال عبد الصبور شاهين و محمد الأنطاكي و تمام حسان و رمضان عبد التواب و شكري عياد و غيرهم .

و أنواع النسج المقطعي في اللغة العربية من حيث الفتح ، و الغلق ثلاثة :

1-**المقطع المفتوح** : و هو المقطع الذي ينتهي بحركة (ص ح) .

2- **المقطع المغلق** : و هو المقطع الذي ينتهي بساكن (ص ح ص) .

3- **المقطع المضاعف الإغلاق**: و هو ما تلا الحركة فيه ساكنان (ص ح ص ص)

---

[1]- سورة البقرة الآية : 7 13.

[2]- سورة هود الآية: 28.

و تنقسم من حيث الطول و القصر إلى ثلاثة أخر :

1- **المقطع القصير** : و هو المقطع الذي يتألف من حركة قصيرة من ساكن واحد مثل: ف + ـَ .

2- **المقطع المتوسط** : و يتألف إما من حركة طويلة مع ساكن ، واحد، مثل : ي+ ـَا، و إما من حركة قصيرة مع ساكنين اثنين ، مثل: ع+[ـَ] +ن .

3- **المقطع الطويل** : و يتألف إما من حركة طويلة مع ساكن، أو أكثر، مثل : ب + ـَا+ب، و إما من حركة قصيرة تضاف إليها ثلاثة، مثل : ع+ـَـْ+ن+د.

و من هنا يمكن تحديد أشكال المقطع في اللغة العربية الشائع منها و النادر، فنختزلها في هذا الجدول :

نوع المقطع	المقاطع المفتوحة	أمثلة	المقاطع المغلقة	أمثلة
رموز المقاطع الصوتية	ص ح	ب	ص ح ص	لـم
	ص حَ	مـا	ص حَ ص	بـاب
	ـــــ	ـــــ	ص ح ص ص	عبـد
نوع المجموعة	مقاطع شائعة	ـــــ	مقاطع نادرة	ـــــ
مج (1)		مج (2)		

1- لا يعد المقطع المتوسط المقفل (ص ح ص) من المقاطع النادرة، و إنما تقسيم الجدول إلى مقاطع مفتوحة ، اقتضى إدراجه في المجوعة الثانية .

2- بيّن التصنيف السابق للمقاطع الصوتية أن العربية تتمتع بخمسة أنواع من المقاطع الصوتية المختلفة ، و يضاف إلى هذه المجموعة مقطع صوتي يخالف القاعدة،

و لا يظهر إلا أثناء الأداء يرمز له بـــ(ح ص) ، و هو مقطع قصير مقفل نجده في بداية كل ما بدئ بهمزة وصل ، و هذا المقطع في ذاته لا يقبل نبرا أبدا، و إنما يساعد على إيجاد مقطع منبور في المقاطع التي تليه؛ و على هذا يحمل النظام العربي نوعين من المقاطع : مقاطع صوتية تخضع لقياس اللغة العربية و قواعدها ، و مقاطع كلامية كما أسماها تمام حسان في كتابه (مناهج البحث في اللغة)، تخضع للاستعمال اللغوي طلبا للتخفيف و الانسجام ؛ و لذا نجد الكثير من الظواهر الصوتية السياقية من إبدال و همز و إقلاب و إدغام، أحدثت تغييرا داخل التركيب الصوتي للمقاطع المشار إليها سابقا [1].

و أما من حيث وقوع النبر على هذه المقاطع :

1-نجد المقطعين (ص ح) و (ص ح ص) يقعان في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها فهي تحمل النبر حتما بتنوع وقوعها ، و هي من المقاطع الشائعة في اللغة العربية.

2- و أما المقطع (ص حَ) ؛ فهو مقطع حامل للمدود و يقع إما في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، و يضيف تمام حسان ميزة إلى هذا المقطع فيقول : " و يراد... في اللهجات العامية أن يرد في أول الكلمة أو وسطها ، و فيه خفضة ، أو رفعة طويلة و لا ترد هاتان فيه في آخر الكلمة " [2] ، و يمكن إرجاع هذا إلى تأثير بعض اللهجات بظاهرتي الفتح و الإمالة ، و قد يرد هذا المقطع منبورا أو غير منبور في السياق الكلامي .

---

[1]- تحدث الظواهر اللغوية (الإبدال و الحذف و النقل) داخل التركيب تغييرا في مستوى المقاطع الصوتية فيكون الانتقال من المقطع الصوتي المغلق إلى المقطع الصوتي المفتوح ، فيحدث هذا التغيير ، تغييرا في مستوى مواضع النبر و منها في مستوى الوحدات الإيقاعية للنغمة .

[2]- تمام حسان -، مناهج البحث في اللغة- ص : 177، وتنظر: الصفصافي أحمد المرسي القطوري- علم اللغة التقابلي وتطبيقاته على اللغات الشرقية -- القاهرة- دار الآفاق العربية- ط.1- 1422هـ - 2001م -- ص:19،و20.

3-و أما المقطع (ص حَ ص)، فيرد في المواقع الثلاثة للكلمة ، و غالبا ما يكون في نهاية الكلمة، و تواجده في جوف الكلمة يكون ناذرا و قد تميز القرآن الكريم بهذا النوع من المقاطع في قوله تعالى : ﴿ ولاالضالين ﴾ *

و كذلك ﴿ مدهامّتان ﴾ * [1].

[ض]+ ـَـا ← [ص حَ ص] جاء في وسط الكلمة (مدة الفتحة الطويلة (ست حركات) + شدة اللام (إدغام اللام الساكنة في اللام المكسورة) = وقوع نبر في مستوى هذا المقطع أو المقطع الذي يليه.
[هـ]+ـَـا+[مْـ] ←[ص حَ ص] جاء في وسط الكلمة (مدة الفتحة الطويلة (ست حركات)+ شدة الميم (إدغام الميم الساكنة في الميم المفتوحة) = وقوع نبر في مستوى هذا المقطع و هو الأرجح أو المقطع الذي يليه .

4-و أما المقطع (ص ح ص ص) فإنه لا يكون إلا في نهاية الكلمات عند الوقف عليها و يكون دائما منبورا، خاصة إذا كان الوقف مشددا في قولك مثلا :

(الحق) ←(ص ح) + (ص ص) ، و هنا كان الوقف على حرف مقلقل حامل لصويت شديد و إذا اتصل الكلام انقسم هذا المقطع إلى مقطعين ، و هذا ما جعل عبد الصبور شاهين يسمي هذا المقطع بالمقطع المديد [2] ، و يستثني من هذا الحالتين اثنتين هما صيغة المضارع المسند إلى ضمير التثنية ، ففي حالة تحريك النون الثقيلة فإن الصيغة تصبح (ينصران ← ينصران) [Yansura : n ni] ، الذي سوغته الغة العربية خوف الالتباس بحالة توكيد المسند للمفرد، و في كلمة (شابّه) [sab bah] فقد بقي المقطع الأول (ص حَ ص) + ص ح ص) على حاله دون انقسام في حالة

---

[1]- (*) سورة الفاتحة الآية 7، (*) سورة الرحمن الآية: 64 .

[2]- عبد الصبور شاهين- المنهج الصوتي في اللغة العربية - ص : 39.

الوصل، و كذلك في حالة تصغير كلمة شابة بـــ (شُوَيْبَة [suwayb bah]، [way] ← (ص ح ص)، يبقى المقطع على حاله دون انقسام [1].

4. محاذير النظام المقطعي :

قد يحدث التغير في مستوى الكلمة ، أو المقطع الصوتي عند الأداء و يكون هذا التغير " نتيجة تصادم وضعها (الكلمة) الأصلي مع طبيعة النظام المقطعي في اللغة ، فيلزم تعديلها خضوعا لضرورة النظام " [2] ، و نستنتج من هذا القول أن النظام المقطعي يخضع القاعدة المتواضع عليها إلى الاستعمال؛ و لعل القراءات القرآنية أحسن مثال على ذلك إذ يرى إبراهيم أنيس أنها : " أباحت ما سمي بالإدغام الكبير في كلمتين مثل:﴿ لذهب بسمعهم ﴾ [3] و : ﴿ يعذب من يشا ﴾ [4]... . و في مثل هذه الحالة لا يسهل التمييز بين حدود الكلمتين إلا بمراعاة المعنى ، إذ في بعض الأحيان تكوّن مجموعة واحدة من المقاطع أو مجموعتين لا تنطبقان على مقاطع الكلمتين حين نقرأهما بغير الإدغام ، فطورا نجد المقطع الأخير من الكلمة الثانية أو جزءا منه ينضم إلى مقاطع الكلمة الثانية، و طورا آخر نجد المقطع الأول من الكلمة الثانية أو جزءا منه ينضم إلى مقاطع الكلمة الأولى " [5].

و تحدث هذه العملية نفسها مع الهمز في حالة همزتين في كلمتين ، مثل : ﴿ هؤلاء إن كنتم ﴾ [6] ، فتتعرض إحدى الهمزتين في بعض القراءات إلى أحكام

---

[1]- المرجع نفسه - ص: 39-40.

[2]- عبد الصبور شاهين- المنهج الصوتي في اللغة العربية - ص :: 40.

[3] سورة البقرة الآية 20.

[4] سورة العنكبوت الآية 21.

[5]- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص : 112.

[6]- سورة البقرة ، الآية : 31.

معينة ، فما يحدث من تعويض أو إبدال أو نقل في مستوى هذه المقاطع الصوتية أي المقطع المهموز يكون طلبا للتخفيف، و إذا نظرنا إلى همزة الوصل فيما لو جاءت وسط الكلام تكون على غرار ما إذا وقعت في بداية الكلام ، فنحصل على البنية المقطعية التالية : (ص ص ح ص)، و ذلك بعدما وضعت الهمزة ليتم النطق بالساكن. و يذهب تمام حسان إلى المقطع : " هو مقطع كلامي لا لغوي " [1] ، ثم يضيف قوله : " فإذا جاءت الكلمة وسطا في الكلام تطلبت حلا من طراز آخر " [2].

و نجد حالات أخرى تنتهي بأصوات اللين، فإذا وقعت إحداها قبل كلمة مبدوءة بساكن، فقد الصوت مده. و معنى هذا أن البنية المقطعية قد خالفت مقررات القاعدة فمثلا ، كلمة (القاضي) تنتهي بمد ، و عند قولنا : القاضي الفاضل ، نتخلص من التقاء الساكنين، و ذلك بإفقاد الياء كميتها فتصير بمقدار الكسرة ، ليصبح المقطعان مقطعا واحدا على صورة (القاضلْفاضل) ←[الْ/قاَ/ضِلْ/فَا/ضِلْ] في المثال الآتي ، (يدعو الله) يصبح المقطعان مقطعا واحدا على صورة (يدعلاّه) ← [يدْ/عُلْ/لَهْ].

و يضيف تمام حسان بعض الحالات التي يتطلبها السياق لتغيير البنية المقطعية ، مثل " هات السكت و الإشباع ، و ألف الندبة و إطلاق القافية و غير ذلك مما يأتي عنه تغيير في البنية المقطعية عما قررته لها القاعدة " [3]، و هذا التغيير في البنية المقطعية صالح لأن يغير مواقع في الكلام عما كان عليه في الكلمات أو الصيغ المفردة ، و هذا ما يعطي اللغة العربية موسيقاها الخاصة التي تعرف بها من بين جميع اللغات ، " فمُجرّد الاستماع إلى شخص أجنبي يتكلم العربية ، فيطيل الحركة و يقصر المد و يضع النبر في غير موضعه يكشف عن قيمة النبر و الكمية في تكوين موسيقى اللغة " [4].

---

[1]- تمام حسان – اللغة العربية معناها و مبناها- ص : 112.

[2]- المرجع نفسه- ص : 305.

[3]- – تمام حسان – اللغة العربية معناها و مبناها- ص : 306.

[4]- نفسه – ص : 307.

الفصل الثاني

التنغيم والأداء في القرآن وقراءاته

أولا : تعريف التنغيم

أ . لغة

ب . اصطلاحا

ثانيا : التنغيم لدى علماء التجويد

أ . إدراك التنغيم لدى علماء التجويد

ب . إدراك علماء التجويد الجانب الوظيفي للتنغيم

ج . علاقة الوقف بالتنغيم

ثالثا : التنغيم لدى النحاة

أ . إدراك النحاة لمفهوم التنغيم

ب . مؤشرات فهم التنغيم وظيفيا لدى النحاة

ج . مطل الحركات

الفصل الثاني : التنغيم والأداء في القرآن وقراءاته

أولا : تعريف التنغيم

أ . التنغيم لغة :

جاء في لسان العرب أن النغمة : جرس الكلمة و حسن الصوت في القراءة و غيرها،...و الجمع نغم و نغم. ...و قد تنغم بالغناء ، و إنه بشيء و يتسم بشيء،... أي يتكلم به. و النّغم : الكلام الخفي. و النغمة الكلام الحسن ، و قيل هو الكلام الخفيّ... و سكت فلان فما نغم بحرف و ما تنغم مثله و ما نغم بكلمة... و يقال ناغم مناغمة : كلمة كلاما رقيقا ضعيفا ، و النغمة : جمع النغمات و النغّام : الكثير النّغمة ، و رجل نغوم : حسن النّغمة [1] .و يتساوى التنغيم في هذا الجانب مع النّغم من حيث نشاطه الصوتي ، أي ذلك الكلام الحامل لنغمات متوافقة، الأساسية منها و الثانوية .

ب . التنغيم اصطلاحا :

يعد إبراهيم أنيس أول من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة ، وسماه موسيقى الكلام ، حيث ذكر :" أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات ، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد ، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها .... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية " [2] .

---

[1] – ينظر ابن منظور – لسان العرب – مادة نغم ،ج:13–ص:125

[2] – إبراهيم أنيس – الأصوات العربية – ص : 176. عبد القادر مرعي العلي الخليل – المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة الحديث – مطبعة جامعة مؤتة– ط.1– 1993م – ص: 195

فالتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ (Intonation) يقول **روبنز** معرفاً التنغيم : " تتابعات مطردة من الدرجات الصوتية المختلفة"[1] .

ويقول دانيال جونز : " التنغيم ربما يُعَرّفُ بأنه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل ، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية "[2] ، فالتنغيم مرتبط بالاهتزازات التي تحدثها الأوتار الصوتية، فكلما زادت عدد الاهتزازات وكانت ذات سرعة كان عدد التغيرات في التنغيمات أوضح. والملاحظ أن إبراهيم أنيس أخذ مصطلح التنغيم من اللسانيات التي ترى التنغيم هو أحد سمات الأداء الذي لابد من وجوده في أي لغة . فاختلاف نغمات الكلام شيء طبيعي في اللغة التي لابد أن تحتوي على موسيقى نغمات تتألف منها ألفاظها .

يقول تمام حسان : " التنغيم ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام " [3] ، ويقول :" إن الكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره وذلك ما يعرف باسم التنغيم "[4].

ينتقل المتكلم في حديثه العادي " بين عدد من درجات السّلم الموسيقي " [5] سماها إبراهيم أنيس موسيقي الكلام ، مطابقا في ذلك المصطلح الفرنسي و الإنجليزي (Intonation) ، و على هذا الأساس عرّف شكري عياد التنغيم بأنه " المصطلح

---

[1] - jones Daniel -an outline of englich phonetics-compblidge 1967- P :275.

[2] - المرجع نفسه والصفحة .

[3] - تمام حسان – مناهج البحث في اللغة ص: 164،سعد عبد الله الغريبي – الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين- مكة المكرّمة – مكتبة الطالب الجامعي – ط.1 – 1406هـ - 1986م – ص: 58.

[4] تمام حسان – البيان في روائع القرآن – القاهرة- عالم الكتب – د.ط- 1412هـ- 1994م-ص:263، وينظر:أحمد مختار عمر – دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته – القاهرة- عالم الكتب- ط.1-1421 هـ- 2001م-ص:74.

[5]- - شكري عياد - موسيقي الشّعر العربي - ص : 36.

الصوتي الدال على الارتفاع الذي يساوي الصعود ، و الانخفاض الذي يساوي الهبوط في درجة [*] الجهر(pitch voice) في الكلام"[1] ، و ينجم عن هذا التتابع في الصعود الهبوط نغمات موسيقية مختلفة، تعبر عن حالات نفسية مختلفة تستعمل كل منها نغما خاصا يدخل على العنصر الموسيقي في الكلام " حيث إن النّغمة يتصف بها مقاطع الكلام فتكون إما نغمة هابطة و إما نغمة صاعدة ، و إما نغمة مستوية "[2] يحدث هذا الصعود أو الهبوط من جراء الإطالة التي تقع على بعض المقاطع الصوتية ، و هذه الأخيرة ما هي إلا نتاج ضغط يجمع بين صورتين ، صورة القوّة و صورة النغمة ، فأما صورة القوة فيمكن حصرها في مواقع صنع النبر التي تحدث على مستوى التتابع الصوتي ، و أما صورة النغمة فنحصرها في النسب الزمنية المتساوية أحيانا ، و المتفاوتة أحيانا أخرى . و عليه يكون التنغيم تحصيل حاصل لمجموع النبرات ، و النغمات الصادرة عن ذبذبات صوتية ناتجة ، عن المجموع الصوتي المتآلف ، أو التشكيل الصوتي المتجانس ، و يعطي هذا التوافق السياق إيقاعا [3] ، لحنا[4] خاصين يتأتى عنهم حسن الصوت في القراءة كميا و كيفيا ،

و يعني هذا أن التنغيم بما له من جرس الكلمة و حسن الصوت في القراءة تجعلك ملزما فيه بالصوت الذي يستحسن كمية و كيفية . أما كمية فمن حيث إن المتكلم يحدث اهتزازات تتنوع بين شدة و حدة و طول تتمثل في موجات ، و درجات موسيقية فائدتها التمييز بين الأصوات الموسيقية [5] ، و الأصوات غير الموسيقية ،

---

[*] الدّرجة : نعني بها في الاصطلاح الموسيقي ، درجة (pitch) التي تعني التّغير في نسبة ذبذبة الوترين الصّوتيين المحدثة لنغمة موسيقية معيّنة .

[1] – شكري عياد – موسيقي الشّعر العربي – ص : 192، وينظر:مبارك حنون – في الصواتة الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاسيكية–الرباط–مطبعة الكرامة ودار الأمان –ط.1– 1424هـ – 2003م–ص:237.

[2] – شكري عياد – موسيقي الشّعر العربي – ص : 192

[3] – عرف شكري عياد الإيقاع أنه تردد ظاهرة صوتية على مسافات زمنية محددة النّسب ، وهذه الظاهرة قد تكون ارتكازا كما قد تكون صمتا ،ينظر : موسيقى الشعر العربي– ص:60.

[4] – اللحن : هو نتاج النغمات المتتابعة في سياق صوتي معين .

[5] – تتمثل الأصوات الموسيقية في أصوات الصّفير ، و الذلاقة ، و اللين ، فهي أصوات حاملة لنغمة موسيقية .

فتتجلى بوضوح نوعية الصوت اللغوي و كيفيته [1]، فإذا ما أضفنا إلى هذه الأصوات الشدة بما لها من درجة (pitch) ، أي تلك الهزات و الذبذبات التي تقع على مستوى الوترين الصوتين ، فإن ذلك يضفي ثراء على الصوت الموسيقي . و هو ثراء حسب شكري عياد يغلب على الصوت الموسيقى من خلال النغمات الثانوية المنسجمة معه ، و لا تتعدى بمقاطعها المستويات الأربعة (الصوت ،و الكلمة ، و الجملة ، و المجموعة الكلامية). و قد حدد بعض المتخصصين من ضمنهم إبراهيم أنيس، و شكري عياد ، و تمام حسان، النغمة في ثلاثة أصناف معتمدين في ذلك تحليلهم الصوتي في المخابر الصوتية الحديثة ن فرتبها تمام حسان في درجات ثلاث [2] هي :

1-النغمة الواسعة : و تكون نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية بواسطة الهواء المندفع من الرئتين ، فيسبب ذلك اهتزاز أكبر فيها ، و من ثم يعلو الصوت و يربو .

2-النغمة المتوسطة : و تكون أقل تطلبا لكمية الهواء و ما يصحبها من علو الصوت السابق ذكره.

3-النغمة الضيقة : و تستعمل في العبارات الحزينة .

فالتغنيم إذا له وظيفة صوتية تستنبط اختلاف الصوت من حيث علوه ، وانخفاضه فتسجل على خطوط أفقية تختلف باختلاف عدد المدّيات و تنحصر بحسب علوها ، و انخفاضها بين مسافات معينة (انظر الشكل أدناه)

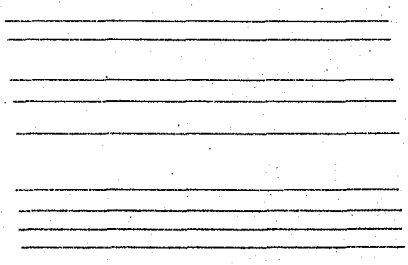

و يمثل المدى الضيق مسافة بين خطين

و يمثل المدى المتوسط بين ثلاثة خطوط

و يمثل المدى الواسع مسافات ثلاث تنحصر بين أربعة

[1] - تختلف الأصوات الشديدة بحسب مقاطعها الصوتية عن الأصوات اللينة من حيث الارتفاع و الانخفاض.

[2] - ينظر :تمام حسان - مناهج البحث في اللغة ص : 229 .

و ما دام اللحن عبارة عن نتاج لنغمات متتابعة تأتي في ترتيب أفقي ينتهي بنغمة منبورة تكون إما هابطة أو صاعدة متى تمت فائدة الكلام ، و تكون مسطحة أو ثابتة متى لم تتم الفائدة [1] ، فهو مجموع هذه النغمات التي تحدث في مستوى المديات المسجلة .

[1] – ينظر :تمام حسان – مناهج البحث في اللغة ص : 229 .

ثانيا : التنغيـم لدى علماء التجويد :

أ- إدراك التنغيم لدى علماء التجويد:

إنَّ من أقدم النصوص التي وجدتها تندرج في سياق تجويد القرآن الذي يندرج ضمن ما نسميه تنغيم الجملة، ذاك النّص الموجود في كتاب "الزينة" لأبي حاتم الرازي حيث يحلل اللفظة (آمين) إذ يقول: "قال قومٌ من أهل اللّغة هو مقصور. وإنّما أدخلوا فيه المدّة بدلاً من ياء النداء كأنّهم أرادوا (يامين)... فأمّا الذين قالوا مطوّلة فكأنه معنى النداء يا أمين على مخرج من يقول: يا فلان، يا رجل، ثم يحذفون الياء: أفلان، أزيد. وقد قالوا في الدّعاء: أربّ، يريدون يا ربّ. وحكى بعضهم عن فصحاء العرب: أخبيث، يريدون يا خبيث. وقال آخرون: إنّما مُدّت الألف ليطول بها الصوت كما قالوا: (أوه) مقصورة الألف ثم قالوا: (آوه) يريدون تطويل الصوت بالشكاية" [1].

يرى أبو حاتم، إذن، أنّ تطويلَ الصوت –أي مدّته– يدلُّ على معنى النداء وعلى معنى الشكاية، فربط مدَّ الصوت بالمعنى. وهذا أمر لا يمكن إدراكه إلاّ بالكلام المنطوق ويقصّر الكلام المكتوب عن نقله وهذا ينقلنا إلى الحديث عن أهمية المشافهة في نقل التنغيم، فقد كان للمسلمين في التلقي الشفهي مناهج دقيقة، إذ كانوا يرون أنّ النقل من الأفواه هو النقل السليم الذي ينفي كلّ لَبْسٍ يعتريه، فابن الجزري في تعريفه للمقرئ يقول إنه "العالم بالقراءات رواها مشافهة، فلو حفظ "التيسير" مثلاً

---

[1]- ينظر: أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة تح: حسين بن فيض الله الهمداني-القاهرة- مطبعة الرسالة - 1958: 28/2، والمقصود بالشكاية: الشكوى.

المذكور إلى القول: "فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإنْ كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدِّد، وإنْ كان يقرأ لفظ تعظيمٍ لفظ به على التعظيم"[1].

ويرى في موضعٍ آخر أنّ القارئ المجيد هو الذي "تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلّم؛ فالوعد بالتشويق والوعيد بالتخويف والإنذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناسِ صوتاً بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾[2].

فإذا كان التنغيم الباكي مقبولاً مثلاً في آيات الاستغفار والتوبة فلا بد له من أن يختلف عن تنغيم الآيات التي تحضُّ على القتال؛ أي يجب أن يوائم التنغيم المعنى ويظهره، ليجعل المقروء مستقرّاً في ذهن السامع وقلبه، فاللين غير الشدة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام، والوعد غير الوعيد.

وهذا ما رآه الإمام الزركشي وأكّده بالآية القرآنية التي أوردها.

ومن أقدم النصوص التي تناولت التنغيم في الدّراسات التي أُفرِدت لتجويد القرآن الكريم، ما دوّنه أبو العلاء العطار (596هـ) في كتابه "التمهيد في التجويد" حيث يقول: "وأما اللحن الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلاّ نحارير القرّاء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين:

---

[1]- نفسه: - ج : 1- ص : 450.

[2]- ينظر المصدر السابق نفسه: -ج:2- ص :181، الآية 121 من سورة البقرة .

أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية وذلك نحو مقادير المدّات، وحدود الممالات والملطفات والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام، والحذف والإتمام، والروم والإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيّد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلاّ من أهل الإتقان والضبط" [1].

فقد جعل العطار مصطلح اللحن الخفي ممّا يُعرف بالمشافهة فقط. كما جعل اللحن الخفي مميّزاً بين المعاني كالنفي والإثبات والخبر والاستفهام... ثم قرن اللحن بالمنطوق وجعله مما لا يتقيّد بالكتابة.

وإمعان النظر في هذه النواحي الثلاث يجعلنا ندخل هذا النّص في سياق الفهم الدقيق للتشكيل التنغيمي.

وكان السمرقندي (محمد بن محمود بن محمد) (780هـ) تالي العطّار أكثر دقّةً وتفصيلاً في هذه المسألة، ونجد في كتابه "روح المريد في شرح العقد الفريد في علم التجويد" كلاماً ينمُّ عن فهمٍ علميٍّ للتنغيم، وذلك عندما يقول: "قال السمرقندي في قصيدته (العقد الفريد):

-إذا (ما) لنفيٍ أو لِجَحْدٍ فصوتُها ارْ ... فَعَنْ وللاستفهام مَكّن وعدِّلا

-وفي غيرها اخفض صوتها والذي بما ... شبيهٌ بمعناه فقِسْهُ لتفضُلا

-كهمزة الاستفهام مَعْ مَنْ وأنْ وإنْ ... وأفعلَ تفضيلٍ وكيف وهل ولا

---

[1]-النّص في الأصل في كتاب التمهيد في التجويد لأبي العلاء العطار (569هـ) وقد اقتبسناه عن كتاب الدراسات الصوتية لدى علماء التجويد للدكتور غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود ببغداد، ط1، 1986: ص 567.

قال في الشرح: مثال ذلك: (ما قلتُ)، ويرفع الصوت بـــ (ما) يعلم أنّها نافية، وإذا خفض الصوت يعلم أنّها خبريّة، وإذا جعلها بين بين يُعلم أنّها استفهاميّة. وهذه العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن" [1].

وهكذا نلاحظ أن السمرقندي جعل خاصّة رفع الصوت وخفضه أي (التنغيم) عادة جارية في جميع الألسن، وهذا ينمُّ عن إدراك دقيق لهذه الخاصة.

وجعل أيضاً رفع الصوت وخفضه عاملاً في تغيير المعنى، إذ إن فهم ارتفاع الصوت وانخفاضه على هذه الشاكلة لا يقل أهمية ودقة عن الفهم المعاصر للتنغيم.

وقد أدرك السمرقندي وظيفة هذا الارتفاع والانخفاض (التنغيم) في تمييز المعاني، وقدّم مثالاً (أَفعلَ) التفضيل، يقول: "فينبغي أن يفرّق بالصوت بين الذي بمعنى التفضيل والذي ليس بمعنى التفضيل"[2].

وكذلك يجعل التنغيم مميّزاً لـــ (لا) النافية في اللام المؤكدة للفعل يقول: "والفرق بينهما أنّه في نحو (لا انفصام) يكتب بألفين، وفي نحو (لاتّبعتم) يكتب بألف واحدة، ويرفع الصوت على (لا) ويخفض على اللام.

فهذا ما وصل إلينا من الأئمة رواية ودراية ومشافهة وبياناً"[3]. وهذا يدلُّ على إدراك السمرقندي الوظيفة النحوية للتنغيم، ويدل جعله التنغيم منقولاً إلى اللاحق من

---

[1]- النص في الأصل في كتاب "روح المريد" وهو مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة الموصل الرقم 22/20 مخطوطات مدرسة الحجيان اقتبسناه عن كتاب الدكتور غانم قدوري الحمد - الدراسات الصوتية (مرجع سابق) ص 567-568.

[2]- المصدر نفسه -ص 568.

[3]- ينظر : الحاشية السابقة نفسها، وقد سجّل بعض علماء التجويد المتأخرين في كتبهم ومنهم حسن بن إسماعيل بن عبد الله الموصلي الدركزلي (1327هـ) نصاً في كتابه خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة- وهو مخطوط يدل على ما ذكرنا، أورده الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابه الدراسات الصوتية (مرجع سابق): ص 569.

العلماء المحققون مدّ الصوت بلا إله إلا الله إشعاراً بما ذكرنا وبغيره... وقد ورد مدّ المبالغة للنفي في (لا) التي للتبرئة في نحو (لا ريب فيه، لا مردّ له، لا جرم...) [1].

إذن، فابن الجزري يجعل المد، وهو زيادة المط في حرف المد على المد الطبيعي [2]، ذا وظيفة في المعنى. هذا من ناحية، وجعل هذا المد الصوتي من العادات المعروفة لدى العرب، وأكدّ استخدام العرب له، ومثّل لذلك بالدّعاء والاستغاثة، وعند المبالغة في النفي...

ج- علاقة الوقف بالتنغيم:

إنّ موضوع الوقف في القرآن الكريم، من الموضوعات الهامّة والأثيرة لدى علماء الدراسات القرآنية. ومن أقدم الكتب التي وصلت إلينا وأُفرِدت لهذا الموضوع، وسلمت من قبضة الضياع كتاب "إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل" لأبي بكر الأنباري النحوي (328هـ) وكتاب "القطع والائتناف" لأبي جعفر النحاس عصريّ أبي بكر الأنباري، يليهما كتاب "المكتفي في الوقف والابتداء" لمصنفه أبي عمرو الداني، وتغلب على هذا الكتاب صبغة جمع مذاهب الأئمة على ما ذكر المصنف نفسه في مقدّمة الكتاب [3]، ومن كتب المتأخرين الهامة التي جمعت وحللت كثيراً من آراء مَنْ سبقها في موضوع الوقف كتاب ابن الجزري: "النشر في القراءات العشر".

لقد أُفرِد كتاب ابن الأنباري المشار إليه آنفاً لموضوع الوقف في كتاب الله إلاّ أنّه لم يعرض لنا تعريفاً أو تقديماً حول مفهوم الوقف، ولكننا نلاحظ من خلال استعراض الكتاب ربطه بقضايا كثيرة حيث يتحدث مثلاً عن الوقف وعلاقته بالمعنى

---

[1]- انظر: ابن الجزري: النشر (تح علي محمد الضباع)- مصدر سابق: -ج:1- ص : 344-345.

[2]- المصدر السابق نفسه: -ج:1- ص : 313.

[3]- انظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري النحوي، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل (تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1971: - ج:1-ص : 6.

وبالفهم، يقول: "ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه معرفة الوقف والابتداء". ويؤكد هذا المعنى في باب ذكر ما لا يتمُّ الوقف عليه، يقول: "واعلم أنّه لا يتمُّ الوقف على المضاف دون ما أُضيف إليه، ولا على المنعوت دون النعت..." [1].

وتأتي أهمية الوقف في أداء العبارة القرآنية من كونه "يوضّح كيف وأين يجب أن ينتهي القارئ لآي القرآن الكريم بما يتّفق مع وجوه التفسير واستقامة المعنى وصحة اللغة وما تقتضيه علومها من نحوٍ وصرفٍ ولغة، حتّى يستتم القارئ الغرض كلّه من قراءته، فلا يخرج على وجه مناسب من التفسير والمعنى من جهة، ولا يخالف وجوه اللغة وسبل أدائها التي تعين على أداء ذلك التفسير والمعنى، وبهذا يتحقق الغرض الذي من أجله يُقرأ القرآن ألا وهو الفهم والإدراك، فإذا ما استطاع القارئ أن يفعل ذلك وتمكّن من مراعاته في وقفه عند نهاية العبارة فإنّه لا شكّ سوف يبدأ العبارة على النحو الذي توفّر له في وقفه، فهو لا يبدأ إلا من حيث يتمُّ به المعنى من جهة وبما لا يباين اللّغة وعلومها من جهة أخرى وهو ما حرصت عليه العرب في أداء عبارتها واهتمت له في كلامها شعره ونثره" [2].

وقد ربط ابن الجزري في كتابه (النشر) بين الوقف والمعنى، يقول: "لّما لم يمكن القارئ السورة أو القصّة في نفس واحد وجب اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتحتّم أن لا يكون ذلك مما يخلُّ بالمعنى ولا يخلُّ بالفهم إذ بذلك يحصل الإعجاز ويحصل القصد، ولذلك حضّ الأئمة على تعلمه ومعرفته..." [3] ويحدد ابن الجزري

---

[1]- المصدر السابق نفسه: -ج:1- ص : 116 وانظر -ج:1- ص : 108.

[2]- انظر المصدر السابق نفسه: -ج:1- ص : 21-22.

[3]- انظر: ابن الجزري: النشر (أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع): -ج:1- ص : 224-225.

طبيعة الوقف بأنه "عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفّس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة" [1].

نلاحظ أنّ ابن الجزري جعل الوقف من أجل الاستراحة للقارئ، وربط هذا الوقف بالمعنى، إذ لا يجوز الوقف على ما يختلّ المعنى به. وربط الوقف الصحيح بالإعجاز. كما رأى ابن الجزري أنّ الوقف ظاهرة أدائية تتعلق بالقراءة وترتبط بالمعنى، وأنّ الإخلال به يؤدي إلى تحريف المعنى عن مواضعه [2].

إنّ إدراك هؤلاء العلماء لارتباط الوقف بالمعنى يندرج ضمن العلاقة بين التنغيم والجملة، وقد أدرك هذه العلاقة بدقّةٍ ابن الجزري عندما تحدّث عن أنواع الوقف الذي يحدد نمط الجملة ومن ثمّ معناها وتنغيمها، عندما تحدّث عن أنواع الوقف بقوله: "إنّ الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري. لأنّه إما أنْ يتمّ أو لا، فإن تمّ كان اختيارياً، وإنْ لم يتم كان الوقف عليه اضطرارياً" [3].

ثم يعرض ابن الجزري لأنواع الوقف الاختياري، ويتبع ذلك بتحليل نماذج من القرآن الكريم لأنواع الوقف [4] ، وهو تحليل ينمُّ عن إدراك دقيق لأهميّة الوقف، يقول: "وليس كلّ ما يتعسّفه بعض المعربين أو يتكلّفه بعض القرّاء أو يتأوله بعضُ أهل الأهواء مما يقتضي وقفاً أو ابتداء ينبغي أن يعتمد الوقف عليه، بل ينبغي تحرّي المعنى الأتمّ والوقف الأوجه وذلك نحو الوقف على (وارحمنا أنت) والابتداء (مولانا فانصرنا) على معنى النداء، ونحو (ثم جاؤوك يحلفون) ثم الابتداء (بالله إن أردنا) ونحو

---

[1]- المصدر السابق نفسه: -ج:1- ص : 240. وقد ورد تعريف للوقف في قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، تأليف: د. إميل يعقوب ورفاقه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، انظر ص 406.

[2]- انظر تفصيل ذلك في النشر- مصدر سابق: -ج:1- ص : 230-231.

[3]- انظر: ابن الجزري: النشر- مصدر سابق: -ج:1- ص : 225-226.

[4]- انظر: ابن الجزري، النشر- مصدر سابق: -ج:1- ص : 226 وما بعدها.

(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك) ثم الابتداء (بالله إنّ الشرك..) على معنى القسم..." [1].

نلاحظ إدراك ابن الجزري، بالاعتماد على دلالة تنغيم الجملة، أنّ الوقف يغيّر معنى الجملة أو العبارة، فينقلها من معنى إلى معنى آخر. مما يجعلها تحمل معنى النداء أو معنى القسم، كما لاحظنا في المقبوس السابق، كذلك نلاحظ أنّ الوقف وتنغيم الجملة هو الذي جعل ابن الجزري يرى أن (مولانا) تحمل معنى النداء، ولا دليل على هذا المعنى غير ذلك؛ ولتوضيح مثال ابن الجزري يمكن أن نحلله على النحو الآتي:

تقول الآية:

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2]

آ-الوقف الأوّل حسب فهم ابن الجزري وأثر التنغيم:

وارحمنا أنت "	//	مولانا فانصرنا على القوم الكافرين "
الكلام/تحديدي/ أي ارحمنا أنت دون غيرك	وقف	منادى /بلا أداة/ إذن، إدراك ابن الجزري لهذا النداء الذي تسبّب الوقف به عائدٌ إلى إدراك صوتي تنغيمي، إذ لا دليل على النداء غيره. والخطاب هنا من المؤمن إلى ربّه بواسطة الجملة الإنشائيّة (مولانا).

[1]- المصدر السابق نفسه: 231/1.

[2]- سورة البقرة الآية 286 .

نلاحظ، هنا أنّ الوقف كان وسيلةً في تحميل الجملة معنى النداء، أما المعنى المغاير فسنلحظه في تحليل الوقف الثاني.

ب-الوقف الثاني حسب فهم ابن الجزري وأثر التنغيم:

"وارحمنا	//	أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين"
جملة أمريّة معطوفة على جملة سابقة لها.	وقف	كلام خبري؛ التنغيم هنا خبري أي الجملة لم تعد إنشاء كما لاحظنا في الوقف الأوّل.

نلاحظ هنا الاختلاف في المعنى الذي سببّه تغير الوقف، وبالتالي تغيّر تنغيم الجملة وفقاً لذلك، ونلاحظ إدراك ابن الجزري لمعاني الجملة التي تغيّرت بناءً على ذلك.

وبناء على هذا الفهم حلّل ابن الجزري وكذلك ابن الأنباري سابق ابن الجزري عدداً من الأمثلة التي تظهر فهماً لأثر الوقف على معاني الجمل وتنغيمها [1].

ثالثا : التنغيم لدى النحاة:

قد أدرك ابن جنّي مفهوم التنغيم بمعناه المعاصر، على الرغم من أنّه لم يذكر كلمة النبر، وهذا ما نفهمه من قوله لدى كلامه على حذف الصفة: "وقد حُذِفت الصفة ودلّت الحال عليها".

وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصفة لِما دلّ من الحال على موضعها. وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم

[1]- انظر تحليل أمثلة أُخَر في: ابن الجزري، النشر، مصدر سابق --ج:1- ص : 231 وما بعدها. وانظر أمثلة في ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، مصدر سابق: --ج:1- ص : 116 وما بعدها.

مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلته. وذلك أنْ تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـــ (الله) هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً إذ تمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبهُ، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً أو لَحِزاً أو مبخلاً أو نحو ذلك" [1].

نلاحظ من خلال تحليل قول ابن جنّي أنّه استخدم مصطلحات صوتيّة تدلُّ على معنى التنغيم:

فالتطويح – كما ورد في اللسان: من طوح به ذهب هنا وهناك، وأمّا التطريح فهو من طرح الشيء إذا طوّله ورفعه وأعلاه [2]، والتفخيم إعطاء الصوت قيمة صوتيّة مفخمة. فهذه المصطلحات لها تعلقٌ بالصوت وبدرجته أثناء النطق به.

وكذلك استخدم ابن جني عبارات، تدلّ على النبر، في قوله: "تزيد في قوة اللفظ" وقوله "تتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها" فهذه العبارات دالّة على معنى النبر.

أ- إدراك النحاة لمفهوم التنغيم:

يمكن أن نلاحظ من خلال المقبوس السابق مؤشرات عدة تصبُّ في إطار الفهم الصّوتي للتنغيم؛ من هذه المؤشرات:

---

[1]- انظر: ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2-د.ت : – ج:2- ص : 370-371.

[2]- انظر: ابن منظور: اللسان، مادة (طرح)، مادة (طوح).

-الإشارة إلى الحذف مع وجود ما يدلّ عليه وهو "الحال" والمقصود بالحال سياق الكلام ومواصفات صوتيّة معينة تنوب عن المحذوف وتدلُّ عليه، بل قد يكون الحذف أبلغ، وعدم وجود أحدهما؛ أي الذكر أو الدلالة الصوتية، في سياق الجملة يجعل الحذف غير جائز، ومن هنا قال ابن جنّي: "فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة، فأمّا إنْ عريت من الدّلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإنّ حذفها لا يجوز [1].

-استخدم ابن جني مصطلحات: "التطويح، التطريح، التفخيم، مط الصوت..." وهي لا تخرج عن كونها وسائل تنغيمية، تساعد على فهم المعنى في السياق، أي أنّ ابن جني وظّف الدلالة اللفظية، التي تعادل الدلالة الصوتية في فهمنا المعاصر [2]، للدلالة على المعنى المقصود. وقد استخدم ابن جني هذه المصطلحات غير مرّة في خصائصه [3]، بالدلالة التي بيّناها نفسها.

وذكر ابن جني هذه المصطلحات للدلالة على تنغيم الجملة أو طريقة نطقها عائدٌ إلى أنّ كثيراً من الصفات النطقيّة لا يمكن تقييدها بالكتابة، وقد يكون هذا ما دفع ابن جنّي، مع ما عرف عنه من دقّة في الملاحظة، إلى الحديث عن إدراك سياق الحال وأهميته وأهمية رؤية وجه العربي وجملة حاله حين يتكلّم، إذ إنّ رواية كلامه مجرّداً عن ذلك قد يُذهِب علينا من مقصوده الشيء الكثير. يقول ابن جنّي: "فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي اسحاق، ويونس وعيسى بن عُمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعي، ومَنْ في الطبقة والوقت من علماء

---

[1]- انظر: ابن جني: الخصائص- مصدر سابق: -ج:2- ص : 371.

[2]- ويرى ابن جني أنّ هذه الدلالة اللفظية هي أقوى أنواع الدلالات يقول في باب "في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنويّة: "اعلم أنّ كل واحد من هذه الدلائل معتدٌ مُراعى مؤثر؛ إلا أنّها في القوة والضعف على ثلاث مراتب:

فأقواهنّ الدلالة اللفظيّة، ثم تليها الصناعيّة، ثم تليها المعنوية" الخصائص مصدر سابق-ج:3- ص : 98 وانظر -ج:2- ص : 161.

[3]- انظر، ابن جني، الخصائص -مصدر سابق-: -ج:1- ص : 240-241.

البلدين، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة، وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطرّ إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتّى لو حلف منهم حالف على غرضٍ دلّته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضرُ حاله صادقاً فيه، غير متّهم الرأي والنحيزة والعقل. فهذا حديثٌ ما غاب عنّا فلم يُنقل إلينا، وكأنّه حاضر معنا، مناجٍ لنا" [1].

يؤكد ابن جني دلالة حال المتكلّم، كما نرى، ودلالة الصوت في إيضاح الدلالة، وهو مَنْ هو في الدقّة والملاحظة، وقد علّق الأستاذ سعيد الأفغاني –رحمه الله– على قول ابن جني هذا بقوله: "ونحن نعرف بركة هذا الغوص في كثير من النصوص التي يختلف فيها العلماء لورودها مجرّدة من الإشارة إلى لهجة المتكلّم أو حاله. ترد الجملة عند العرب فيجعلها بعضهم تقريراً وبعضهم استفهاماً حُذفت أداته، وبعضهم استفهاماً أُريد به الإنكار والتهكم... الخ ولو ورد مع النّص حال المتكلّم لا نقطع الخلاف" [2].

ومن أقوال ابن جني الكثيرة التي تندرج في سياق الفهم الواضح للتنغيم، وإنْ لم يذكر هذا المصطلح، قوله في باب "نقض الأوضاع إذا ضامّها طارئ عليها": "من ذلك لفظ الاستفهام، إذا ضامّه معنى التعجب استحال خبراً، وذلك قولك: مررت برجلٍ أيّ رجل. فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهماً. وكذلك مررت برجلٍ أيّما رجل؛ لأن ما زائدة..." [3] ثم يقول متابعاً: "ومن ذلك لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجاباً.

---

[1]– انظر المصدر السابق: –ج:1– ص : 248.

[2]– انظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، منشورات جامعة البعث 1991: ص 93-94، وقد عرض الأستاذ الأفغاني أمثلة على ذلك في حاشية ص 94.

[3]– انظر: ابن جني، الخصائص –مصدر سابق–:–ج:3– ص : 269.

وذلك كقول الله سبحانه: ﴿أأنت قلت للناس﴾ /المائدة 16/ أي ما قلت لهم، وقوله ﴿آللهُ أذن لكم﴾ /يونس 59/ أي لم يأذن لكم. وأما دخولها على النفي فكقوله – عز وجل- ﴿ألستُ بربكم﴾ /الأعراف 172/ أي أنا كذلك..." [1].

نلاحظ أنه لا وسيلة عند تضام الاستفهام مع التعجب واستحالته إلى الخبر سوى الوسيلة التنغيميّة، التي تحوّل المعاني، ذات اللفظ الواحد، من معنى إلى آخر. والحقيقة أنّ هذا الأسلوب، أي تحوّل الدلالة للفظ للواحد إلى معانٍ عدة، هو من الأساليب المعروفة والشائعة في العربية، قديماً وحديثاً، ونقع لمعاني القرآن الكريم. على أمثلة كثيرة جداً، فبالإضافة إلى ما ذكره ابن جني انظر إلى قوله تعالى:

﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ /الزمر 9/ فهذا الاستفهام لا يحتاج إلى إجابة، وإنما الغرض منه النفي، والسامع يعرف ذلك، ويدركه من تنغيم الجملة وحسب.

لقد نقل التنغيم الجملة من معنى الاستفهام إلى معنى النفي. وهو ما نستخدمه كثيراً في لغتنا المعاصرة فنقول مثلاً: كيف تعادي أباك!؟. بلفظ الاستفهام ونحن نريد التعجب والإنكار، وهو ما يؤديه تنغيم الجملة.

وأمّا قول ابن جني: "إذا لحقت همزة التقرير الجملة عادت نفياً كقوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس﴾ نستبعد أن يكون قصد ابن جنّي أنّ هذه الهمزة بذاتها هي التي أفادت النفي ويمكننا القول إنّه بدخول هذه الهمزة على الجملة غيّرت من طريقة تنغيمها، وبالتالي غيّرت من دلالتها فأصبحت تفيد النفي بدلاً من التقرير.

---

[1]- انظر: ابن جني، الخصائص –مصدر سابق-:-ج: 3 – ص : 269.

ومن المصطلحات التي استخدمها النحاة في ثنايا حديثهم عن بعض القضايا النحوية التي تندرج في سياق التنغيم، مصطلح الترنم ومد الصوت والتطريب ولا سيما عند سيبويه وابن يعيش، يقول سيبويه في كتابه: "اعلم أنّ المندوب مدعوٌ ولكنّه متفجّعٌ عليه، فإنْ شئت ألحقت في آخر الاسم الألف لأنّ الندبة، كأنّهم يترنمون فيها" [1] وإلى ما يقارب ذلك يذهب ابن يعيش في شرح المفصّل إذ يقول: "اعلم أنّ المندوب مدعوٌ، ولذلك ذكر مع فصول النداء لكنّه على سبيل التفجّع فأنت تدعوه وإنْ كنت تعلم أنّه لا يستجيب كما تدعو المستغاث به وإنْ كان بحيث لا يسمع كأنّه تعدّه حاضراً وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهنّ وقلة صبرهنّ، ولما كان مدعواً بحيث لا يسمع أتوا في أوّله (بيا أو وا) لمد الصوت ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخراً للترنم" [2].

ثم يقول ابن يعيش في حرف الندبة: "وأما وا فمختص به الندبة لأنّ الندبة تفجّعٌ وحزنٌ والمراد رفع الصوت ومدّه لإسماع جميع الحاضرين" [3].

وواضح من هذه المقبوسات أن استخدامهم مصطلحات (تطريب، مد الصوت، الترنم) ينطوي على دلالة تنغيميّة وذلك لأن "الندبة نداء موجه للمتفجع عليه أو من المتوجع منه والغرض منها الإعلام بعظمة المندوب وإظهار أهميته أو شدّته أو العجز عن احتمال ما به" [4].

---

[1]- انظر سيبويه: الكتاب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط2، 1998: -ج:1- ص : 375

[2]- انظر: ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة-ج:2- ص : 13.

[3]- نظر المصدر السبق نفسه: -ج:2- ص : 120.

[4]- انظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف مصر، ط3- د.ت : -ج:4- ص : 89.

وقد جعل خالد الأزهري في شرح التصريح على التوضيح الصيغة السماعيّة "لله درّه فارساً" دالة على التعجب بالقرينة لا بالوضع إذ يقول عنها: "إنّما لم يبوّب لها في النحو لأنّها لم تدل على التعجب بالوضع بل بالقرينة" [1].

والقرينة لا تخرج عن إطار الصورة التنغيميّة للعبارة التي تؤكد أنّ المراد بها الكلام التعجبي وليس أمراً آخر غيره.

هذه الأقوال لعلماء العربيّة، وأمثالها كثير، تجعلنا نستخلص منها أنّ التنغيمَ في فكر اللغويين حقيقةٌ نطقيّة في كلامهم، وإنْ لم يجعلوا له قواعد محددة، كما فعلوا في القضايا النحويّة الأخرى.

ب- مؤشرات فهم التنغيم وظيفيّاً لدى النحاة:

يتوقّف فهم المعنى في حالات كثيرة على الطريقة الصوتيّة (التنغيم) ومن هنا تبرز أهميّة دراسة اللغة المنطوقة "والنحو التقليدي لم يميّز بين (اللغة المكتوبة) و (اللغة المنطوقة) على حين أنّ لكلٍّ منهما نظاماً خاصّاً قد يختلف اختلافاً كبيراً عن صاحبه، بل إنّ هذا النحو ركزّ اهتمامه على اللغة المكتوبة.. وقد ترتّب على ذلك أولاً أنّه قدّم قواعد اللغة على أساس معياري وعلى أساس جمالي تقييمي، فهذا استعمالٌ (عالٍ) وذاك (متوسط) وثالث (قبيح) وهكذا نتج عنه ذلك تقدم تفسيرات غير صحيحة لنصوص "موضوعة" لتلائم قواعده، ومن ثم الحكم على ذلك الاستعمال بأنّه شاذ أو استثنائي أو غير نحوي" [2].

لكنّ هذا الحكم ليس مطلقاً إذ إنّنا لا نعدم في تراثنا النحوي بعض الإشارات التي تدل على إدراك هذا الجانب وإن لم يُوَثّق قواعديّاً، ولعلّ فيما يرويه السيوطي دليلاً

---

[1]- انظر: خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، -ج:2- ص : 86.

[2]- انظر: عبده الراجحي- النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج -بيروت- دار النهضة- 1979: 47.

واضحاً على أنّ التنغيم حقيقة صوتيّة نطقيّة في تأويل المعنى إذ يقول: "حدّثنا المرزباني عن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب قال: سأل اليزيديُّ الكسائي بحضرة الرشيد فقال: انظر أفي هذا الشعر عيبٌ؟

وأنشده:

لا يكون العيرُ مهراً لا يكونُ المهرُ مهرُ

فقال الكسائي قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي، انظر فيه. فقال: أقوى لا بدّ أن ينصب المهر الثاني على أنّه خبر كان، فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد.. الشعر صواب إنّما ابتدأ فقال: المهرُ مهرٌ" [1].

لقد رأى الكسائي إقواءً وارداً في رفع كلمة (مهر) والصواب نصبها باعتبارها خبراً لكان في رأيه. و لم يفطن الكسائي لما رآه اليزيدي الذي استخدم شيئاً جديداً في تفسير البيت وهو الوقف أو قل التنغيم الذي جعل جملة (لا يكون)- التي ضغط عليها حين النطق وأخذت مطّاً صوتياً لم يعهد لها بعيداً عن هذا السياق –لا صلة بينها وبين ما بعدها فهي توكيد لما قبلها من حديث" [2].

ومن الإشارات الواضحة التي تدل على إدراكهم علاقة تنغيم الجملة وطريقة قراءتها بالمعنى ما ذهب إليه ابن الشجري في أماليه في ثنايا حديثه عن ورود الاستفهام بمعانٍ متباينة له وذلك عندما قال: "ويكون توبيخاً كقوله:

---

[1]- انظر السيوطي- الأشباه والنظائر- تح: إبراهيم محمد عبد الله- منشورات مجمع اللغة العربية 1986 - ج:3 – ص : 245

[2]- انظر: أحمد كشك، ومن وظائف الصوت اللغوي، محاول لفهم صرفي ونحوي ودلالي-ص: 61. وأرى أنّ اليزيدي تقصّد أنْ يوقع الكسائي بالخطأ فقرأ البيت للكسائي بنغمة توحي أن به لحناً، وعندما أوّل هو معنى البيت قرأ البيت بتنغيميه الصحيح بوقف عند جملة (لا يكون)، والابتداء بجملة (المهر مهر)؛ وذلك من باب المنافسة بينه وبين الكسائي.

﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً

- أفبالباطل تؤمنون

- أتعبدون ما تنحتون

- كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم...﴾

وكذلك هي توبيخ في قراءة مَنْ قرأها بلفظ الخبر..."[1].

وتبرز أهميّة التنغيم في التأويل النحوي، ويمكن أن نأخذ مثالاً الخلاف في همزة الاستفهام، فقد ذكر القرّاء أنّه يجوز حذف همزة الاستفهام في الكلام، فيصبح الكلام بلفظ الإخبار ويدلُّ المعنى على الاستفهام، قال تعالى:

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ ﴾ .

فالتقدير: أو من ذُرِّيتي؟ [2].

وتابعه الأخفش فأوضح أنّ قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ ﴾ .

على تقدير الاستفهام[3]، وأنكر المبرّد حذف همزة الاستفهام بلا دليل على

---

[1]- انظر ابن الشجري (ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي ت (542هـ)، الآمالي الشجرية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بلا، 265.

[2]- انظر: الفرّاء: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، طبعة دار الكتب المصرية 1955: -ج:1-ص : 76 سورة البقرة الآية 124 .

[3]- نظر: ابن هشام: معنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: د. مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، منشورات جامعة البعث: -ج:1-ص :20 سورة الشعراء الآية 22 .

الحذف، فأنكر أن يكون بيت عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبُّها قلت بهراً عددَ الرمل والحصى والتراب

قيل: إنّه إخبار لا استفهام، والمعنى، ثم قالوا: أنت تحبّها.

لعل أهمّ ما نلحظه في العرض السابق حول أداة الاستفهام إنكار بعضهم حذف الهمزة بلا دليل ورؤيته بيت عمر بن أبي ربيعة على التقرير (الإخبار) وتأكيد بعضهم الآخر أنّ بيت عمر المذكور هو استفهام وهذا الخلاف يؤكد وجود ظاهرة التنغيم والاعتماد عليه في تأويل البيت، فمّنْ يسلّم بأنّ هذه الجملة استفهام عوّل على لفظها بنغمة الاستفهام لذلك تأوّل الاستفهام ولاشيء غير ذلك، وهو محقٌّ فيما رأى وأوّل، أمّا مّنْ رأى أنّها تقرير فقد لفظها بنغمة التقرير، وهو محقٌّ في ذلك، أي إنّ كلا الرأيين صواب والاختلاف نابعٌ من الوجهة التنغيميّة، ولا سيما أننا علمنا اعتماد العلماء أصحاب هذه الآراء والتأويلات على السماع في تدوين القاعدة النحويّة، وعلى ذلك نقيسُ الآيات القرآنية الواردة في الاقتباسات السابقة.

والملاحظة الثانية الهامة نلمسها في قول الفرّاء السابق الذكر، الذي أجاز فيه حذف همزة الاستفهام في الكلام ثم قال إنّ الكلام يصبح بلفظ الإخبار ويدل المعنى على الاستفهام"، واستشهد بالآية القرآنية المذكورة، ولو أمعنا النظر في هذا القول لما وجدنا فيه أية قرينة تدل على معنى الاستفهام، كما ذكر الفرّاء، سوى دلالة صوتية تنغيميّة وقعت على الجملة[1]. وهذا ما نلحظه أيضاً في الشاهد القرآني الثاني الذي عرضه الفراء. فهذا يدلُّ على إحساس الفرّاء بهذه الظاهرة في تقديم معنى الاستفهام،

[1]- وهو المعنى المتولّد من طريقة نطق الجملة باستخدام الوجه الصوتي للغة والذي بدوره يغيّر المعنى .ينظر: مازن الوعر- دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة- سورية-دمشق- دار المتنبي للطباعة والنشر- ط.1 – 2001م- ص: 53.

وإنْ لم يسمّها باسمها. والفرّاء كما هو معروف من النحاة المتقدمين الذين اعتمدوا اللغة المنطوقة (السماع) في تسجيل الظاهرة اللغويّة.

ج- مطل الحركات لدى ابن جنّي:

يرى ابن جنّي في المطل ظاهرةً صوتيّة دلالية خاصّة بالحركات القصيرة والطويلة، وتمطل الحركات (الألف + الواو + الياء) للدلالة على الندبة يقول ابن جني: "والمعنى الجامع بين التذكّر والندبة قوّة الحاجة إلى إطالة الصوت في الموضعين" [1]. ويقول أيضاً "ويدلُّ على أنّ العرب لما أرادت مطلهنّ للندبة وإطالة الصوت بهنّ في الوقف، وعلمت أن السكون عليهنّ ينتقصهّن، ولا يفي بهنّ أتبعتهنّ الهاء في الوقف توفيةً لهنّ. وتطاولاً إلى إطالتهنّ، وذلك قولك: وازيداه، واجعفراه، ولا بدّ من الهاء في الوقف، فإنْ وصلت أسقطتها، وقام التابع غيرها في إطالة الصوت مقامها، وذلك قولك: وازيدا، واعمراه.." [2].

وكذلك تمطّل الحركات للإنكار، فقد ذكر ابن جني مدّة الإنكار بقوله: "نحو قولك في جواب من قال: رأيت بكراً: أبكرينه! وفي جاءني محمد: أمحمدُنيه، وفي مررت على قاسم: أقاسمنيه! وذلك أنّك ألحقت مدّة الإنكار، وهي لا محالة ساكنة، فوافقت التنوين ساكناً، فكسر لالتقاء الساكنين فوجب أن تكون المدة ياءً لتتبع الكسرة" [3].

ويوضّح ابن جني الدلالة من المد الإنكاري حين يتحدّث عن هذه المدّة أألف هي أم ماذا؟ يقول: "إنّ أخلق الأحوال بها أن تكون ألفاً من موضعين: أحدهما: أنّ الإنكار مضاهٍ للندبة. وذلك أنّه موضع أريد فيه معنى الإنكار والتعجب، فمطل

---

[1]- انظر: ابن جني، الخصائص، مصدر سابق،: -ج:3- ص : 129.

[2]- انظر: ابن جني، الخصائص، مصدر سابق: -ج:3- ص : 129. وانظر: سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985: 1/72-73 وما بعدها، حيث فصّل القول في هذه الناحية.

[3]- المصدر السابق نفسه: -ج:3- ص : 154.

الصوتُ به وجعل ذلك أمارة لتناكره، كما جاءت مدّة الندبة إظهاراً للتفجّع، وإيذاناً بتناكر الخطب الفاجع، والحدث الواقع.

فكما أنّ مُدّة الندبة ألف، فكذلك ينبغي أن تكون مدّة الإنكار ألفاً. والآخر أنّ الغرض في الموضعين جميعاً إنّما هو مطل الصوت، ومدّه وتراخيه، والإبعاد فيه لمعنى الحادث هناك، وإذا كان الأمر كذلك فالألف أحقُّ به دون أختيها؛ لأنّها أمدّهن صوتاً... فأما مجيئها تارة واواً، وأخرى ياءً فثانٍ لحالها، وعن ضرورة دعت إلى ذلك؛ لوقوع الضمة والكسرة قبلها. ولولا ذلك لما كانت ألفاً أبداً" [1]

نلاحظ ربط ابن جني بين مطل الصوت وبين دلالته على الندبة إظهاراً للتفجع في حروف المد.

* ومن هنا يشبه ابن جني الحلق بالآلة الموسيقية (الناي) يقول: "ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها، التي هي أسباب تباين أصدائها، ما [2] شبّه الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الأنف غُفْلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على حروف الناي المنسوقة، وراوح بين عمله [3]، اختلفت الأصوات، وسُمع لكلّ خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قُطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة" [4].

---

[1]- المصدر السابق نفسه: -ج:3- ص : 155

[2]- أرى أنّ (ما) هنا زائدة ولا سيما وأنها قد سقطت من إحدى النسخ التي اعتمد عليها المحقق، انظر سر الصناعة -ج:1- ص : 8 حاشية (17).

[3]- ورد في سر صناعة الإعراب تح مصطفى السقا وزملائه، مصر 1956 ص 20 بدلاً من كلمة (عَمَله) كلمة (أنامله) وأرى أن الكلام يستقيم مع هذه الكلمة أكثر من كلمة (عمله) التي اعتمدها محقق الطبعة الحديثة د. حسن هنداوي.

[4]- سر صناعة الإعراب -ج:1- ص : 98.

ولا خلاف بين الباحثين أنّ صفة الصوت اللغوي أو جرسه كما أراد ابن جني تعتمد على حفز الهواء إلى عضلة الحبال الصوتية وهذا ما أكده ابن جني في المقبوس السابق.

الفصل الثالث

النبر والأداء في القرآن وقراءاته

أولا : مفهوم النبر

أ . تعريف النبر

ب . أنواع النبر عند القدامى

ج . علاقة الهمز بمواطن النبر

ثانيا : النبر عند المحدثين

النوع الأول : النبر اللغوي

النوع الثاني : النبر الشعري

النوع الثالث : النبر البنيوي .

الفصل الثالث : النبر والأداء في القرآن وقراءاته

1. تعريف النبر

أ.1- النبر لغة :

و هو من نبر الحرف ينبره نبرا ، أي همزه، و المنبر : المهموز ، و النبرة: الهمزة، و رجل نبار: فصيح بليغ. و قد قال ابن الأنباري : النبر عند العرب ارتفاع الصوت (*) و يقال نبر الرجل نبرة ، إذا تكلم بكلمة فيها علو و أنشد ، و نبرة المغني : رفع صوته عن خفض، و نبره بلسانه نبرا: نال منه [1] ، فقد فصدت العرب بالنبر الهمز أو ارتفاع الصوت وعلوه ، فما المقصود بالهمز عند القدامى ؟

يقال همز رأسه يهمزه همزا أي غمزه. و قال الأزهري : همز القناة : أي ضغطها بالمهامز و الهمز مثل الغمز و الضغط ، و منه الهمز في الكلام لأنه يضغط ، و قد همزت الحرف فانهمز و الهمزة من الحروف سميت كذلك لأنها تهمز فتهت عن مخرجها و الهمزة النقرة ، و يقال هو يهت هتا إذا تكلم بالهمز [2] و قصدت العرب بالهمز الضغط و النقر ؛ فالضغط عند الزبيدي هو الشدة فيقول : " الضغطة : الشدة " [3]، و من هنا يلتقي المقطع المهموز بالمقطع المنبور الذي يتم فيه تحقيق صفاته الذاتية منها و العرضية .

(*)– قصد القدامى بالنبر : الارتفاع في الصوت الذي يلتقي من هذه الناحية مع تعريف المحدثين للتنغيم عموما أو النبر الموسيقي خصوصا .

[1]–ينظر:ابن منظور – لسان العرب – مادة نبر .

[2]– المرجع نفسه – مادة همز .

[3]– ينظر: الزبيدي – تاج العروس ، مادة ضغط .

أ.2- النبر اصطلاحا :

يراد به المعنى الاصطلاحي الفرنسي (accent) [1] و في المعنى الاصطلاحي الإنجليزي (Stress) أو (Accent) و يعرفه تمام حسان بأنه " ... ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها " [2] و يذهب محمد الأنطاكي في تعريفه له قائلا ؛ إنما " هو نشاط فجائي يعتري أعضاء النطق أثناء التلفظ بمقطع من مقاطع الكلمة و هذا النشاط يؤدي إلى زيادة في واحدة أو أكثر من المقاطع الآتية : مدة المقطع (*) أو شدته (*) أو حدته (*)" [3] ، و أما إبراهيم أنيس فقال في معناه إن " المرء حين ينطق بلغته ، يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ، ليجعله بارزا و أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة. و هذا الضغط هو الذي نسميه النبر " [4]. و يتفق جميع الدارسين على كون النبر ظاهرة صوتية لا تظهر في المكتوب ، و إنما يتجسد ظهورها عند النطق ، و قد يصعب تحديد هذه الظواهر التي تتعدى مستوى التتابع الصوتي. و يبقى ما يقع من ضغط على مقطع صوتي من مقاطع هذا التتابع لكونه بارزا في السمع هو محل الدراسة لتحديد مواقع النبر و نلمس من هذا أن النبر عند الباحثين ، قد عد ضمن الظواهر الصوتية التي لا يمكن استنباطها إلا من خلال الكلام المنطوق في سياقاته المختلفة و المتنوعة بحس الحال فإذا دققنا في السياق الصوتي ، نجده عبارة عن تتابع أصوات يترل كل تابع منها

---

[1]- Jean Bubois , Dictionnaire de linguistique , P : 4 , George Mounin , Dictionnaire de linguistique, P: 2-3 , Henri Felescii , traite de phlolologie arabe , vol L, P : 169

[2]- تمام حسان ، اللغة العربية و مبناها ، ص : 170.

(*) – مدة المقطع : ما زيد في المقطع المنبور من طول مقارنة مع المقاطع المجاورة له .

(*) – شدة المقطع : ما زيد في المقطع المنبور من ضغط و ارتكاز مقارنة مع المقاطع المجاورة له ، و تقدر الشدة بسعة الموجة .

(*)– حدة المقطع : ما زيد في المقطع المنبور من عمق مقارنة من المقاطع المجاورة له، و يسكن تحديدها بصفة الصفير – مثلا- و يقصد بالحدة الغلظة التي يكون بقدر قصر الموجات أو تقاربها .

[3]- الأنطاكي ، الوجيز في فقه اللغة ، ص : 262.

[4]- إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية – ص : 118.

من سابقه " و ليست هذه الأصوات في الكلمة بنفس القوة و إنما تتفاوت قوة و ضعفا بحسب الموقع ، و كون صوت من الأصوات في الكلمة أقوى من بقيتها يسمى نبرا ، فالنبر ، إذن ، موقعية تشكلية ترتبط بالموقع في الكلمة و في المجموعة الكلامية " [1] و من هنا يمكن دراسة هذه الظاهرة الصوتية في مستوياتها المختلفة التي تنبئ بحالات النبر و خصائصه الصوتية و اللغوية التي تحدد جملة من النغمات الأساسية و الثانوية ينتج عنها تشكيل إيقاعي ، و يدعو تمام حسان ، و إبراهيم أنيس و عبد الصبور شاهين، و كمال أبو ديب و غيرهم في دراستهم للنبر إلى اعتماد النظام المقطعي للغة المراد التعامل بها لما للمقطع من أهمية في تحديد مواضع النبر و تبيانها . و تجمع أغلب التعاريف الخاصة بالنبر على أن مرجع هذه الظاهرة الصوتية هو الوضوح السمعي لصوت، أو مقطع صوتي، إذا قورن بغيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة لها، و يتأتى هذا الوضوح عن طرق الضغط أي الشدة أو الغنة أي النغمة، و هي عوامل تسهم في تحديد النبر، و الضغط أهمها .

و لا تخرج هذه العوامل المذكورة عن علو الصوت و انخفاضه ، و للأوتار الصوتية و الحجاب الحاجز، و الرئتين و أعضاء أخرى من الجهاز النطقي كأقصى الحنك و اللسان و الشفتين، فيها ، الدور في إحداث المقطع المنبور ، فما نحصل عليه من تتابع للأصوات لا يكون حتما على درجة واحدة من الشدة و اللين ، و إنما تختلف فيه الأصوات، و تتباين فيما بينها من حيث القوة الضعف و الطول و القصر ، و للجهاز النطقي و السمعي دور هام ، كما يبق تفصيله، في عملة إصدار هذه الأصوات أو المقاطع المنبورة من غير المنبورة، كما اصطلح عليه المحدثون. و يذهب إبراهيم أنيس في تفسيره لحدوث هذه الظاهرة إلى أنها " نشاط في جميع أعضاء النطق، تنشط غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطا كبيرا، كما تقوى حركات

---

[1]- تمام حسان- مناهج البحث في اللغة - ص : 194 ، و للاستزادة يراجع، ماريو باي- أسس علم اللغة- ص : 94-95، و بسام بركة- ص : 101.

الوترين الصوتيين و يقتربان، أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء ، فتعظم لذلك سعة من الذبذبات ، و يترتب عليه أن يصبح الصوت عاليا واضحا في السمع، و هذا في حالة الأصوات المجهورة (*)، أما مع الأصوات المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر ، أكثر من ابتعادهما مع الصوت المجهور غير المنبور و بذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء، و كذلك يلاحظ مع الصوت المنبور نشاط في أعضاء النطق، كأقصى الحنك و اللسان و الشفتين" [1]. بينما يفسر تمام حسان هذه الظاهرة تفسيرا فيزيائيا فيقول : " و مرجع هذا الوضوح السمعي عنصرين يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت و انخفاضه ، و هي ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز في الضغط على الرئتين ليفرغ ما فيها من هواء فتؤدي زيادة كمية الهواء إلى إشباع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية فيكون من ذلك علو الصوت و يرتبط العنصر الآخر بتوتر التماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت. أو بعبارة أخرى يأتي النبر من التوتر و العلو في الصوت اللذين يتصف بهما موقع معين من مواقع الكلام "[2]، و من هنا يتضح أن الضغط من العوامل الفيزيائية الهامة في إحداث ظاهرة النّبر، و هو يعد من الناحيتين العضلية، و الصوتية مجهودا ، يخرج به الهواء من الرئتين ، و يصحب معه إحساسا عضليا يؤكد الظاهرة، و أما من الناحية الصوتية، فيعرف علوا يتوقف على مد الموجات الذبذبية التي تسبب الإحساس بالصوت[3].فحدوث المقاطع الصوتية يكون باشتراك جميع أعضاء النطق التي تسبب حدوث الذبذبات و تكثر سعتها و تقل بحسب نبر المقطع ، أو عدم نبره و ذلك بالضغط على أصوات

(*)– قوة الاعتماد + حبس النفس+ الصفة المدعمة للنبر (التشديد أو الإطباق أو التفخيم) مقطع منبور ، حامل لنبر الشدة .

– قوة الاعتماد + قوة حبس النفس+ الصفة غير المدعمة للنبر (لرخاوة مثلا) – مقطع غير منبور .

[1]– إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 118.

[2] تمام حسان – اللغة العربية وعناها و مبناها – ص : 171، وينظر: محيي الدين رمضان – في صوتيات العربية– عمان – مكتبة الرسالة الحديثة – د.ط–د.ت–ص:36 وما بعدها.

[3]ينظر: تمام حسان– مناهج البحث في اللغة– ص : 194.

معينة في المجموعة الكلامية، لها أهمية بحسب الحال، و بعدم الضغط عليها أحيانا أخرى لقلة أهميتها في حال آخر، و بذلك يقل ضغط الهواء أثناء تسربه فتقل سعة الذبذبات و هذا ما جعل كمال بشر يقول إن "الصوت أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكثر نسبيا ، و يتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد "[1] .

ب . أنواع النبر عند القدامى :

ب.1- النبر الهمزي :

حدد شاهين أنوع النبر بعد دراسة ظاهرة الهمز و علاقتها بالنبر ، فوجد أن هذا الصوت له وظيفة عند القدامى و يظهر اهتمامه في قوله " و من هنا نقرر أن الهمزة في اللغة الفصحى القديمة كانت في أكثر المواقع وظيفية ، لا صونا ساكنا، و هي بهذه الصفة تدلنا على أمر خفي تماما عن أعين الباحثين في دراستنا للفصحى القديمة و هو أمر النبر أو الضغط " [2] ، فصوت الهمزة بنوعيه (همزة الوصل و القطع) عند شاهين فيه دلالة على النبر ، و العلاقة بينهما ، أي بين النبر و الهمزة " يخفف علينا بعض العبء في البحث و كشف مواقع النبر" [3] فيرى أن كل همزة حلت محل حركة طويلة ، أو واو أو ياء (أشباه لين)، أو كانت للتأنيث أو زيدت في صيغة اشتقاقية ، أو صيغة من صيغ الجموع، فهي عنده دالة على تواجد النبر في اللغة الفصحى القديمة و بعض لهجاتها [4]. بينما يرى في الهمزة الأصلية أنها تتحمل النبر، و لكنها ليست صورة من صوره، فجزم بذلك أن مقطع الهمزة هو مقطع النبر

---

[1] كمال بشر – علم أصوات اللغة – ص : 162.

[2]– ينظر: عبد الصبو شاهين– القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث – مصر – دار القلم – د.ط– 1966م–ص:213

[3]– عبد الصبو شاهين – القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث – ص:28.

[4]– المرجع نفسه ص:213.

في اللغة العربية القديمة، سواء ألزمت مكانها أم حال سقوطها و حل محلها حركة منبورة أو ساكن منبور [1].

و على هذا فأواع النبر بهذا الشكل تجلت في صور كثيرة ، حددها شاهين فيما يلي:

أ/ صورة التوتر الهمزي ← نبر شدّة

ب/صورة التوتر المضاعف ← نبر شدة

ج/ صورة الضغط على مقطع سابق على مقطع الهمزة بعد سقوطها دون تعويضها ← نبر مدّة

د/ صورة الطول في الحركة بعد سقوط الهمزة ← نبر مدة .

هـ/ صورة المزدوج بعد سقوط الهمزة

و/ صورة اجتماع نبر الطول و نبر التوتر الهمزي في ألف التأنيث الممدودة .

و يتبين من هذا ، أن القدامى لم يعرفوا من أنواع النبر إلا نبر الهمزة الذي يتبعه الوضوح و الإفصاح و التفخيم ، كما جاء في مادة نبر : رجل نبار فصيح الكلام و تفسير إبراهيم أنيس لعبارة " **و أهل الحجاز إذا اضطروا نبروا** " أي أنهم كانوا يتفاصحون طموحا منهم للوصول إلى مستوى اللغة النموذجية ، على غرار ما تجري عليه ألسنتهم في حياتهم اليومية [2] ، و تحقيق الهمز يعد أصلا في اللغة النموذجية .

ب-2. النبر الموسيقي (التنغيم) :

و هو النبر الذي يرتبط بالشعر العربي القديم، و باللهجات العربية القديمة ، فهناك قبائل همزت كلامها و حققت الضغط فيه في حين أن هناك قبائل أخرى أهملت الهمز و عوضته بوسائل أخرى عبر عنها لنحاة بعبارات مختلفة كالتسهيل و التخفيف

---

[1] – عبد الصبو شاهين – القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث – ص:213.

[2] – ينظر : إبراهيم أنيس – الأصوات العربية– ص:79.

و الإبدال و الإسقاط و هي أحكام صوتية تعطي السياق نوعا من الأداء الموسيقي تتوزع نبراته ، و نغماته في التسلسل الكلامي، و هذا النوع من النبر هو أقرب فيما نرى إلى التنغيم منه إلى النبر بمفهوم الارتكاز و الضغط و يرى شاهين أن تخلي بعض القبائل عن بعض القبائل عن بعض الظواهر الصوتية لا يعني إهمالا كليا لظاهرة النبر، و إنما النبر يكون " في حالة عدم التعويض الموقع لتفاوت أهمية المقطع المنبور ، بعكس قبائل البادية التي ركزت فيما نرى نبرها على مقطع الألف، و بالغت في ذلك مبالغة و ردت لنا صور كثيرة منها في القراءات الشاذة " [1]، فالنبر الموسيقي أو موسيقى الكلام كما عبر عنها إبراهيم أنيس تمثلت في البيئة الحضرية التي " تتطلب الدقة في معظم مظاهرها الاجتماعية و من بينها اللغة ، فالحضري يعني بتخير لفظه ، و حسن أدائه ، و يعتمد إلى نطق كل صوت تداخل بين الأصوات ، فالمجهر يظل مجهورا و المهموس يحافظ على همسه لأن من مظاهر التحضر اللباقة في القول وحسن النطق و مراعاة قواعده و ذلك هو ما شاع في البيئة الحجازية على العموم "[2]

ج- علاقة الهمز بمواطن النبر :

ذهب شاهين في تعريفه للهمز مذهبا لغويا فقال هو "كيفية في أداء الكلام و بعبارة أدق: كيفية في نطق الحروف أو الأصوات اللغوية حين يخصها الناطق بمزيد من التحقيق أو الضغط ، لا يستأثر بذلك حرفا دون آخر فإذا ضغط الناطق على مقطع الخاء في الفعل (أخذ) كانت الخاء ، هنا ، مهموزة ، و إذا ضغط الناطق على مقطع الذال كانت الذال مهموزة و كذلك إذا ضغط على مقطع الألف في بدايته، كانت الألف مهموزة "[3]، فالملاحظ أن كل صوت تم تحقيقه و ازدادت نسبة

---

[1]- عبد الصبو شاهين – القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث –ص:32.

[2]- إبراهيم أنيس – الأصوات العربية- ص:137.

[3]- عبد الصبور شاهين – القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث –ص:22.

وضوحه في السمع عن بقية الأصوات، كان صوتا مهموزا، و العرب قديما وجدوا أن أكثر الأصوات تعرضا للهمز هو صوت الهمزة ذلك الحرف المهتوت المضغوط عليه و النبر كما اصطلح عليه من عوامله الهامة الضغط و الشدة ، و من هنا يستفاد في كون الهمزة في الغالب ما تكون دليل مواقع النبر في اللغة الفصحى و العلاقة القائمة بينها و بين النبر تجعل مواضعه محددة بعض الشيء و ما دام تحديد مواضع النبر عند القدامى يتوقف على صوت الهمزة و بالتالي على الكلمات المهموزة سواء في بدايتها أو وسطها أو نهايتها ، فهي إشارة للناطق المبتدئ على أن يضغط على المقطع الذي يحويها حفاظا على جودة هذا الصوت المتميز ، و استبقاء لوظيفته الصوتية السياقية (الفونولوجية) [1] و انطلاقا من هذا المفهوم الفونولوجي الوظيفي لا يكون النبر عند القدامى إلا في الكلام المهموز أصلا و تحقيقا [2] و هكذا يصبح النبر حاملا لوظيفة سياقية في الكلمة ، ثم الجملة ثم المجموعة الكلامية .

ثانيا : النبر عند المحدثين

يعد النبر من المعارف الحديثة في الدراسات اللغوية و السياقية ، و التفاتة اللغويين المعاصرين إلى هذا النوع من الدراسات ، نحسبها التفاتة معتبرة تدخل من بابها الواسع لتكشف لنا الخصائص اللغوية و الإيقاعية التي تساعد على تحليل مادة اللغة العربية الفصيحة بشعرها و لهجاتها ، ثم مادة القرآن الثمينة التي احتفظت بخصائصها المختلفة عن طريق قراءاتها المتواترة و الشاذة و نذكر من جملة الدارسين و الباحثين للنبر بنوعيه اللغوي و الشعري و التنغيم ، كمال أبو ديب، و إبراهيم أنيس ، و محمد مندور ، و محمد النويهي ، و أحمد العياشي ، و تمام حسان ، و كمال بشر، و عبد الصبور شاهين. و أما من المستشرقين فلدينا كل من بروكلمان، و كانتينو ،

---

[1] - المرجع نفسه والصفحة.

[2] - أمّا أصلا فنعني بها الكلمات الحاملة لصوت الهمزة (الحرف الصحيح) وأمّا تحقيقا فنعني به نطق الصوت الساكن نطقا مهموزا أي يقع عليه الضغط.

و فليش، و جويار، و بريجستراشر... و هذه الثلة من المتخصصين درست الجانب الموسيقي و الإيقاعي للغة العربية ، و أخضعت على إثر ذلك النبر إلى جملة من القوانين في معظمها متأثرة بما وصل إليه الغرب في شأن هذا النوع من الدراسات السياقية [1]، فكان تحديدهم لمواقع النبر في اللغة العربية الفصحى معتمدا على البنية المقطعية أو النظام المقطعي الذي أقحم في الدراسات العربية الحديثة كبديل لنظام الخليل المعتمد على الأسباب و الأوتاد ، فالتزموا بهذا المبدأ في دراساتهم و حددوا من خلاله الأوجه الستة المقطعية لنظام اللغة العربية و الذي اختلف من حيث الكمية و الصورة منطلقين في ذلك من قناعة أن دراسة النبر و التنغيم لا تكون إلا بالاستناد إلى " البنية المقطعية التي تحدد على المستوى الصرفي و الكلامي، أي ما بين مقرات القاعدة و مطالب السياق" [2] ، فالدراسات الحديثة جسدت نوعين من النبر : نبر لغوي و نبر شعري .

النوع الأول : النبر اللغوي:

يحمل هذا النوع من النبر خصائص عامة تخضع لها اللغة العربية ، اعتمد فيها الباحثون مدونة القرآن الكريم بقراءاته المشهورة و الشاذة ، إلا أن هذه الدراسات ما تزال ناذرة و ضيقة الطرح إذ لم نجد إلى حد الآن من الباحثين المتخصصين في هذا المجال إلا "عبد الصبور شاهين" و " حسني شيخ عثمان" اللذين تعرضنا لبعض الجوانب اللغوية للكشف عما تفرزه من خصائص صوتية و إيقاعية ذكرها القدامى دون أن تخصص إما بالنبر أو التنغيم، كما نجد إبراهيم أنيس في محاولته للكشف عن

---

[1]- قصر المحدثون جهودهم في الدراسات السياقية العربية على النظام المقطعي للغة العربية النموذجية مهملين إلى حد ما الظواهر اللغوية التي اشتهرت بها اللهجات العربية القديمة كالإبدال والقلب والنقل والحذف في هذا النوع من الدراسات لأن مثل هذه الظواهر الصوتية السياقية مهمة في الكشف عن مواقع النبر ، ومهمة أيضا في تحديد أنواع النغمات التي تتميّز بها اللغة العربية بأداءاتها الصوتية المختلفة

[2]- تمام حسان – اللغة العربية مبناها ومعناها –ص: 170.

ظاهرتي النبر و التنغيم من خلال الأداءات المختلفة للقراءات القرآنية و قد بين هذا حين قام بدراسة لبعض المقرئين المصريين[1] كما بحث عبد الصبور شاهين في التراث العربي القديم و أفرز نوعا جديدا من النبر تمثل كما ذكرنا آنفا في الصوت الوحيد الذي يكثر فيه الضغط و الشدة و هو صوت تفردت به اللغات السامية دون غيرها من اللغات الأخرى و لكنه بصورة لا تتعدى الأداء الصوتي و لم يتوقعها المحدثون، فمجهود عبد الصبور شاهين فتح أبواب البحث فيما وراء الظواهر الصوتية و اللغوية التي قد تكون لها علاقة وطيدة بمحل النبر و موقعه فمن أراد إذا كشف ظاهرة النبر في اللغة العربية فما عليه إلا بالظواهر اللغوية و الصوتية التي تتأتى ن جراء الاختلاف اللهجي بينما بنى المستشرق بريجستراشر طرحه في كتابه (التطور النحوي) على الفصل بين اللغة العربية و لهجاتها فاستبعد تواجد النبر في المستوى اللغوي الفصيح و نجد النبر عنده ماثلا في الثانية، أي اللهجات ، فجاء في بعضها قويا و في بعضها متوسطا، و لعل توصله إلى هذه النتائج راجع إلى اعتماده الظواهر الصوتية و اللغوية التي تظهر في لهجة دون أخرى ، و أما في الفصحى فلا يرى فيها الضغط ، أو لا يكاد يجده مما يؤدي إلى انعدام الحركات المضغوطة كالإطالة و المد ...[2]

و من جهة أخرى ينفي بريجستراشر التنغيم و يُلْغِي وصوله إلينا بقوله : " و أما النغمة فلا نعلم في خصوصها شيئا ، أصلا، "[3] و نرجع هذا النفي إلى كون التنغيم ظاهرة سياقية لا تظهر إلا من خلال السياق بحسب الحال و المقام .

و يرى شاهين أن كلام بريجستراشر سطحي لأن دراسة هذا الأخير و تحليله لهذه الظاهرة لم يعالج فيه ظاهرة النبر في اللغة العربية الفصحى الحديثة[4] ، و الحق إن

---

[1]-ينظر: إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية – ص: 120،و121.

[2]- الملاحظ أن المقاطع الصوتية الطويلة وما يقع فيه من مد وإطالة تستغرق كمية زمنية معينة تسهم في تحديد أنواع الصيغ الصرفية المتنوعة(فعل، فاعل،مفعول ،فعيل ، فعل...)

[3]- بروكلمان كارل– التطور النحوي – مطبعة السماح- ط.2- 1929م.ص:46،و47.

[4]- ينظر: عبد الصبور شاهين – القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث –ص:212.

موقف شاهين صائب إلى حد بعيد خاصة إذا ما قارنا دراسة برجيستراشر بدراسة إبراهيم أنيس في هذا الصدد إذ اعتمد الأداءات المختلفة عند بعض أهل التجويد و القراءة المحدثين، و يضيف شاهين : " و نحن إن كنا لم نخصص هذا البحث لدراسة النبر في اللغة الفصحى القديمة ، إلا أن جانبا مهما في هذه الظاهرة قد اتضح بمنطق كلام بريجيستراشر، فقد رأينا أن الهمزة حين تسقط في بعض المواقع تطول الحركة التي تقع موقعها و هو ما درسناه في الصيغ التي اشتملت على نبر الطول، كما تسقط بعض الحركات بسبب النبر السابق عليها في مثل ﴿ الضالين ﴾ و أصلها (الضاللين) و لئن دل هذا فإنما يدل على أن العربية قد عرفت النبر، و لكن بصورة لم يتوقعها بريجستراشر الذي قصره أي النبر على طول الحركات المضغوطة " [1] و عليه تكون سمات هذا النوع من النبر قد بدت عند القدامى و تمثلت في الظواهر الأدائية للغة لكنها لم تحلل طلبا لمعرفة هاتين الظاهرتين .

النوع الثاني : النبر الشعري :

يحمل هذا النوع من النبر خصوصيات ذات نوعية تجلت في دراسات الباحثين في الشعر العربي القديم و هي جهود أسهم بها المحدثون لتحديد ميزان الإيقاع الشعري العربي القديم ، فدرس أبو ديب ظاهرة النبر انطلاقا من الدراسات العربية القديمة التي من مقدمتها علم العروض الذي جال فيه الخليل بن أحمد الفراهيدي للكشف عن قواعد الشعر العمود العربي، معتمدا في ذلك على الآذان في التلقي و التذوق، و على الألسنة في الأداء و التمييز، لتصبح الأذن المرهفة الحساسة تميز الجرس الجميل المطرب من النابي النشاز، كما تصبح الألسنة الذلق اللبقة تتطلق بأصوات اللغة في وضوح و تطريب، و هذا ما تميز به القدامى وترتب عليه حرصهم على جرس الكلام، و استمتاعهم بجمال الأصوات و تحاشيهم كل ما يتعثر فيه السان ، و ينبو في الآذان.

---

[1] – المرجع نفسه والصفحة.

و ينبع هذا النوع من النبر من طبيعة العلاقات الناتجة من تركيب الوحدات الصوتية التي تؤدي إلى نسق إيقاعي متميز، يتأتى عنه النبر الحامل للموسيقى و الذي نراه يعادل التنغيم في المستويين الشعري و النثري و لكل خاصياته المحددة و قد أصاب إبراهيم أنيس حين وجد أن الشعر العربي تبنى موسيقاه من عنصرين اثنين رئيسيين أولهما النظام الخاص بتوالي المقاطع ، و يقصد هنا التوافق القائم بين المقاطع المنبورة و غير المنبورة ، و هذا التوالي المنتظم يعطينا العنصر الثاني الذي تراعى فيه النغمة الموسيقية الخاصة بالإنشاد (intonation) و قد يتوافق هذا مع ما ذهب إليه أبو ديب ، حين فسر النبر الشعري على أساس أنه ينبع من " التفاعل القائم بين الكلمات المستخدمة في تعبير شعري على مستوى مختلف تماما هو مستوى التتابعات النووية الأفقية " [1]، و النبر الشعري بهذا الشكل يقربنا من النابع من جراء التتابع النووي الأفقي و اهتمام أبي ديب بدراسة النبر جعله يرى أن هذه الدراسة قد تساعد في الواقع على فهم كثير من خصائص النبر اللغوي ، و ذلك عن طريق الاستنتاج و تحليل الأمثلة و القياس [2] ، و هذا النوع من النبر ، أي النبر اللغوي يسهم في تبيان مواقع النبر الشعري إذا كان هذا يخالف موقع النبر اللغوي ، و مع أن النبر اللغوي قد يؤدي إلى انتقال النبر الشعري إلى مقطع غير المقطع الذي ينبغي أن يقع النبر عليه شعريا فإن النتيجة الأهم هي أن النبر اللغوي و النبر الشعري يتماكنان أي يقعان في المكان نفسه[3] و قد توصل أبو ديب إلى هذا الحكم بعد كشفه مواقع النبر في الشعر العمودي، و عليه يمكن القول إن النبر الشعري قد يضيء جوانب مهمة من النبر اللغوي و تأكيد هذا القياس يجعل العديد من الباحثين يعتمدونه في دراسة نبر القرآن بقراءاته المشهورة و الشاذة التي خضعت في كثير للهجات العربية القديمة؛ و النتيجة المتوصل إليها قد تضيء جوانب مهمة تخص النبر النبر و التنغيم في اللغة العربية .

---

[1]- ينظر :: أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:311.

[2]- – المرجع نفسه –ص : 180.

[3]- أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:291..

• هل في القرآن و قراءاته نبر :

و بناء على ما تقدم ينكشف لنا أن النبر في القرآن الكريم بما يحمل من أداءات (صوتية و ترتيلية) مختلفة في قراءاته ، فإنه يفسر لنا جوانب تخص النبر (اللغوي و الشعري) بنوعيه، و بما تحمل هذه المادة الثمينة من إعجاز فإنها تتفرد في كثير بنبرها و نغمها ، و تتميز بذلك عن النثر و الشعر و لعل ثقتنا بهذه المادة تمهد لنا طريق البحث فتطمئننا على النتائج المتوصل إليها في هذا البحث أو في بحوث مستقبلية لأن هذه المادة اعتمدت على السماع و التلقي بالمشافهة ، فقط ، إذ يقول لبيب سعيد: " و واضح أن من أحكام القراءة ما لا يمكن إحكامه إلا بالتلقي الشفهي، فالتفخيم، و الترقيق، و المد ، و القصر ، و الإدغام، و الإظهار، و الإخفاء، و الروم، و الإشمام، و الإبدال، و النقل، و الإقلاب، و الإثبات و الإلحاق ، و الإمالة و الفتح و ما بينها، و تخفيف الهمزة، و ما إلى ذلك" [1]؛ فهي لغات و أحكام لا بد للمتعلم أن يفقهها و يتمرن على أدائها .

العلاقة بين النبرين اللغوي و الشعري :

إن الارتباط الوثيق بين النبرين (الشعري و اللغوي) جعل أبا ديب يعالج النبر بشكل لا يهمل فيه أحد جانبي النبر ، شعري أم لغوي، لأن النبر عنده مرتبط ببنية الكلمة و تركيبها الصوتي سواء كان ذلك على مستوى الشعر أو على مستوى النثر فمفهوم النبر في المستويين جاء بوظيفة تمثلت في معالجة الثقل الذي يرفضه القياس في بنية الكلمة المفردة، أو في البنى التركيبية أحيانا أخرى، طلبا للتخفيف، و حفاظا على موسيقى الكلام ، و لتجنب مثل هذا الثقل في رأي أبي ديب، تدخل ظاهرتان لغويتان في السياق ، و هما الإبدال و الإقلاب ، فيعينان تحليلهما على فهم

---

[1]- سعيد لبيب – المصحف المرتل – القاهرة – دار المعارف – ط. 2 – د . ت – ص: 111

طبيعة النبر في المستويين و تحقيق عوامله الفاعلة فيهما، فهو بهذا الشكل يكون من الحلول السياقية التي يؤتى بها لتفادي الثقل ، هذا من جهة، و أضاف أبو ديب فيما يخص العلاقة القائمة بين النبرين اللغوي و الشعري أنها تمكن الباحث من كشف الخصائص اللغوية و الإيقاعية ، لأن مجرد معرفتنا بتواجد نبر لغوي تساعدنا على مناقشة النبر الشعري دون أن يكون لدينا تحديد مطلق للأول [1]، بينما نجد العكس إذا بدأنا بالنبر الشعري لفهم خصائص النبر اللغوي، لأن ذلك لا يتسنى إلا عن طريق الاستنتاج ، و التحليل و القياس [2] الذي قد يبني على قاعدة فيها تأويلات مختلفة مما يبين أن النبر الشعري أخص من النبر اللغوي، لأن قوانينه المتوصل إليها صيغت على أساس إيقاعي يتمثل في النظم الموسيقي للشعر العربي القديم ، و هنا يتساءل أبو ديب بقوله : " أيمكن القول بأن دراسة النبر الشعري قد تضيء لنا جوانب مهمة من النبر اللغوي؟ " [3]. و لقد رد شكري عياد من جهته على هذا السؤال بنفي احتمال ذلك ، فهو يرى أن " مناقشة النبر الشعري في غياب تحديد تام للنبر اللغوي أمر مستحيل "[4]، و لكن يبقى تساؤل أبي ديب مطروحا لا سيما أن " دراسة النبر اللغوي لم تصل حدا من الكمال يتيح لنا الاعتماد عليها اعتمادا مطلقا آمنا في محاولة اكتشاف النبر في الشعر و دوره في خلق الإيقاع" [5]، و عليه ، لا بد للباحث من طرق و عمليات تفرز نتائج هامة في هذا الحقل من الدراسات النغمية و الإيقاعية ، و لاحظ أبو ديب أن ثمة عملية قد تكون أعمق جذرية و من أهم الطرق في فهم هذا

---

[1]- ينظر : أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:290.

[2]- المرجع نفسه والصفحة، وينظر: إدريس السفروشني – مدخل للصواتة التوليدية –المغرب- دار توبقال للنشر- ط. 1- 1987م- ص:52،و53..

[3]- أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:291، محمود فهمي حجازي – مدخل إلى علم اللغة – القاهرة- دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- طبعة جديدة مزيدة ومنقّحة – د.ط – 1998م- ص:80،و81.

[4]- شكري عياد- موسيقى الشعر العربي –ص:37،و38،و39.

[5]- المرجع السابق – ص :289.

النبر و هي تحليل صيغ المشتق في العربية و اكتناه إمكانية كون العامل المكتسبة في كل صيغة ذات ارتباط صميمي بفاعلية النبر و تغير نماذجه ، انطلاقا من أهل الاشتقاق و تحديد هذه العوامل في اتخاذ الوحدة الغوية الشكل الذي تتخذه من حيث موقع النبر فيها يبلغ درجة كبيرة من الصعوبة [1]. و يخلص بنا مفهوم النبر عند أبي ديب إلى مفهوم الجذر ، ذلك التتابع الصوتي الأصلي الحامل لدلالة عامة، فتتم عن طريقه عملية اشتقاق أبنية صوتية جديدة لكل منها دلالة خاصة به، فيكون " الارتباط بين البنية الصوتية للكلمة و معناها ارتباطا لحميا عميقا ، لكن هذا الحكم يبقى غير مطلق ، فقد يصعب مع بعض لكلمات العربية كما يستحيل مع الأسماء الجامدة و مشتقات أخرى" [2].

و من هنا عرّف أبو ديب النبر بأنه " طبيعة اصطلاحية و ارتباط بالتركيب الصوتي للكلمة " [3] حيث ربط بين البنية الصوتية و مكان النبر الواقع عليها أي ؛ بين موقع النبر و المعنى العام للكلمة إن كانت أصلا، ثم بين موقع النبر ، و ما ينبثق عنه من اشتقاقات هذا الأصل تتمثل في أبنية جديدة لكل منها دلالة أكثر تحديدا و يمكن تمثيل هذه العلاقة بالخطاطة التوضيحية التالية التي تهدينا إلى التعريف العلمي للنبر بأنه" فاعلية فيزيولوجية لكن هذه الفاعلية ليست اعتباطية ، أي أنها لا تصبح مؤسسا حيويا لشخصية الوحدة اللغوية عن طريق الإلصاق العشوائي " [4]، و هذا ، إذ، إثبات للعلاقة القائمة بين موضع النبر و دلالة مقطعه المنبور على معنى الكلمة .

---

[1]-ينظر : أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:294.

[2]- أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:295 ، و.ينظر داود عبده – دراسات في علم أصوات العربية – الكويت مؤسسة الصباح – ط.1- 1979- ص 119، و 120، و وليد العناتي- اللسانيات التطبيقية و تعليم اللغة العربية لغير الناطقين – الأردن- الجوهرة للنشر و التوزيع – ط.1- 1424هـ- 2003م- ص: 160و ما بعدها.

[3]- أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:295.

[4]- المرجع نفسه – ص:294.

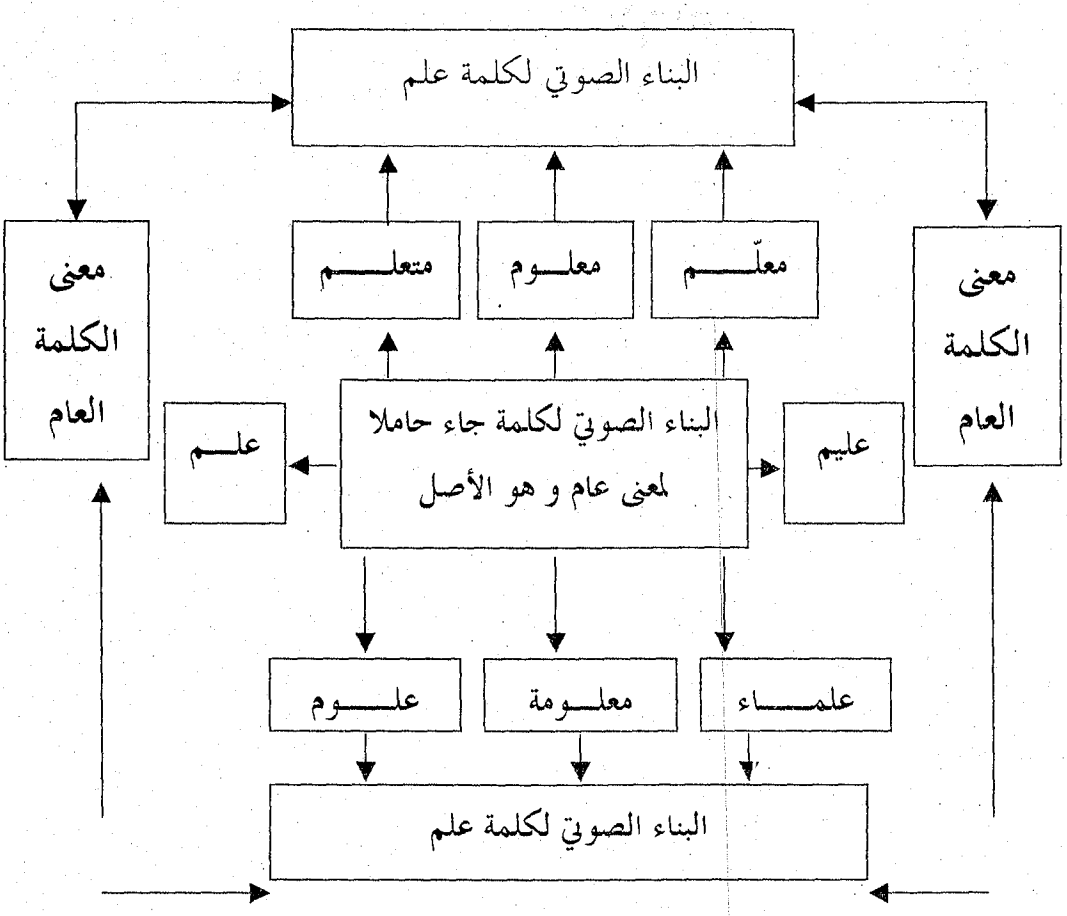

1- **أصل الكلمة** : (ع،ل، م) ؛ وقع النبر على المقطع الأخير من كلمة علم (عـــ) بالجهة المعاكسة (←) و هو نبر ثابت في هذا النوع من الصيغ .

2- **مشتقات الكلمة** : جاءت مشتقات الأصل حاملة لمعنى أخص فحدث انتقال في النبر، حيث نجد أن كل صيغة جديدة أو بنية صوتية حالمة لمعنى أخص ، حدث فيها انتقال في النبر و تركز هذا النبر سواء أكان ثقيلا أم خفيفا في المقاطع المضافة للبنية ، و منه، نلاحظ أن هناك علاقة وطيدة بين البنية الصوتية ، و النبر الواقع عليها و دلالة المقطع المنبور.

النوع الثالث : النبر البنيوي

و هو نوع آخر من النبر تحدث عنه أبو ديب و خصّ به اللغة الإنجليزية ، له علاقة بظاهرة التنغيم في لغات أخرى غير أنه قليل البروز في اللغة العربية ، فلا يظهر إلا في بعض الحالات كالتخصيص و التأكيد ؛ و هو يتعلق بإحساس المتكلم الخاضع للذوق، سواء في النثر أم في الشعر، و هذا يثبت عدم خضوعه لقانون علمي محدد، إذ الفاعل الأساسي في تحديده هو الفاعل النووي الذي ينبع من طبيعة التركيب الصوتي للكلمات المستخدمة في سياقاتها المختلفة [1] فهو يفرض على الكلمات نتيجة ذلك التفاعل النووي .

و نخلص انطلاقا من هذا التصنيف لأنواع النبر إلى أنها تنكشف بتعرضنا لتحليل بعض الظواهر الصوتية و اللغوية التي تظهر في القراءات القرآنية و التي يرتكز عليها علما التجويد و الترتيل ، أما الأول فمن حيث تحقيق الصفات الذاتية و العرضية ، و أما الثاني فمن حيث تحديد نوع القراءة و كيفيتها .

قوانين النبر : و يمكن تلخيص هذه القوانين التي أتى بها أبو ديب في الشكل الآتي [2]: [(ـــ0)، (ـــ ـــ0)، (ـــ ـــ ـــ0)]

1- (ـــ0) و (ـــ ـــ0) ، و هي الكلمات المفردة المكونة من نواة واحدة، و هذه الأخيرة لا تحمل نبرا محددا، فإذا دخلت السياق الصوتي وقع النبر على فائها .

2- (ـــ ـــ ـــ0) و هو نوع من أنواع النوى إذا جاء في الكلمات المفردة فإنه ينبر بطريقتين (ـــ× ـــ ـــ 0) أو (ـــ ـــ ـــ^ 0) .

3- و إذا تكونت الكلمات من نواتين من النوى الثلاثة ، فيقع النبر فيها كما يلي :

---

[1]- أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص: 311.

[2]- المرجع نفسه – ص: 302.

- إذا انتهت الكلمة المفردة بالنواة (ـــ0) أو النواة (ـــ ـــ0) فإن النبر القوي يقع على الجزء السابق لهاتين النواتين مباشرة .

-إذا انتهت الكلمة المفردة بالنواة (ـــ ـــ ـــ0) ، فإن النبر القوي يقع على الجزء المتحرك الأول من النواة (ـــ^ ـــ ـــ0̊) و هناك حالات أخرى يحدد فيها النبر و هي كالآتي:

المثال الأول : قاتلاتْ ، يقع فيها النبر على الألف الثانية، لأنها تعد الجزء الأهم الدال على البنية الجديدة و هي دلالة الجمع .

المثال الثاني : مفاتيحْ، يقع فيها النبر على الياء لأنها عد الجزء الأهم الدال على البنية الجديدة ، و هي دلالة الجمع .

و يضيف أبو ديب بنى أخرى نادرة تفرض هي ذاتها موقعا للنبر فلم تحدد في القواعد السابقة في مثل مستفعلة (ـــ 0 ـــ0 ـــ ـــ ـــ0)، فالنبر هنا يخالف القاعدة المسطرة سابقا و التي تقول إذا انتهت الكلمة المفردة بالنواة (ـــ ـــ ـــ0) فإن النبر القوي فيها يقع على الجزء المتحرك من النواة (ـــ^ـــ ـــ0).

فانطلاقا من الخطاطة السابقة و ما عرض من حالات لقوانين النبر نلاحظ أن النبر يقع في معظم الحالات على الأجزاء المكتسبة في البنية الصوتية الأصلية ، أو في الأجزاء الهامة الدالة على عوامل دلالية أو لغوية مثل اجمع و التأنيث.. أي النوع و الكم ، فموقع النبر في الكلمات المفردة لم يأت اعتباطيا بل أتى " جذريا يرتبط بكم الكتلة الحركية لارتباطه بالتتابع الأفقي لنواة المؤسسة "[1]

و هكذا يكون النبر بنوعيه اللغوي و الشعري في اللغة العربية يتحدد بعاملين اثنين [2]

---

[1]- أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:302

[2]- المرجع نفسه – ص :309.

أ- إما عن طريق الوظيفة الدلالية للعناصر المكتسبة في الكلمة .

ب- إما عن طريق التركيب النووي أو البنية الصوتية للكلمة الناتجة باعتبارها ذاتا مستقلة موجودا فيزيائيا كاملا .

فمن خلال هذين العاملين نبين إلى أي مدى يتفق كل منهما من الناحية الصوتية و الإيقاعية مع المنحنيات التنغيمية (courbes d'intonation) التي تتحد بعناصر ثلاثة: الحدة (Intensité) و المدة (durée) و العلو (Hauteur) [1]، و هي عوامل مهمة في تحديد الوظائف الدلالية لأي بنى تركيبية من حيث نغماتها و إيقاعها .

و لعل الكثير من الباحثين ، و منهم إبراهيم أنيس ، و شكري عياد، و تمام حسان، و أبو ديب ، ينطلقون في دراستهم للنبر من الأجزاء الدخيلة على جذر البنية الصوتية.و يبقى أبو ديب في دراسته للنبر بنوعيه (اللغوي و الشعري) مقرا ببعض العجز عند تحديد قوانين النبر[2] ، وذهب هنري فليش عند دراسته لظاهرة النبر ، إلى تنزيله ضمن بابين : (الأصوات و باب النحو) اللذان تبنى عليهما باب اللغة العربية ، و على هذا الأساس قسم النبر إلى نبر الكلمة الذي لم ير له الأثر عند النحاة العرب القدامى ، و إن وجد عندهم كانت أهميته ثانوية [3]، لأنه لم يؤد أي دور في العلم الذي يقوم عليه، و هو علم العروض [4]، و يكتشف نبر الكلمة عنده انطلاقا من النوع من النبر هو نبر علو أو نبر موسيقي يرتكز على الكمية التي تسهم في إحداث التنغيم، و ذلك من حيث طول المقاطع و قصرها. أما النوع الآخر فهو نبر توتر أو

---

[1]- ينظر : ROSA VARGAS -ANALYSE ACCOUSTIQUE DE L – L ESPAGNOL PARLE - TRAVAUX DE L –ACCENT DE INSTITUT DE PHONETIQUE DE STRASBOURG- 1986-N° 18- p. : 5.

[2] – أبو ديب كمال – في البنية الإيقاعية – ص:300

[3]- ينظر :هنري فليش – العربية الفصحى – ترجمة: عبد الصبور شاهين – بيروت- المطبعة الكاثوليكية- ط.1- 1966م- ص: 49 ، و traite de philologie p 63.

[4]- هنري فليش – العربية الفصحى – ص: 49

نبر محلي، يقوم على الاختلافات المحلية في اللهجات و القراءات القرآنية [1]. و قد أشار فليش إلى أن هذا النوع من النبر، أي نبر الكلمة يفسر الكثير من الظواهر الصرفية و تبقى دراسته تحتاج إلى كثير من التأمل و لاحتياط. و أما النبر عند إبراهيم أنيس ، فيبلغ أهمية كبرى إذ به يتم النطق الصحيح، و بدونه يظهر الاضطراب في الفهم خاصة ، في بعض اللغات كالإنجليزية [2].

و تخضع اللغة العربية عنده لقانون نبري خاص بها مثلها في ذلك مثل الفرنسية [3]، فهو عنده لا يتجاوز الظاهرة السياقية حيث انطلق في دراسته ن بعض مجيدي القراءات القرآنية، ثم بنى على أساس تلك الأداءات المختلفة مواقع النبر في اللغة العربية الفصحى و لم يكتف بهذا بل أخضع هذه الظاهرة للهجات الحديثة ، و رأى أنه لإثراء هذا النوع من الدراسات يجب كشف الأداءات الصوتية المختلفة التي تقوم عليها هذه الأخيرة، و قد قسم إبراهيم أنيس النبر إلى نوعين ، فمنه ما هو خاص بالكلمة و منه ما هو خاص بالجملة التي فيها ، بقوله : " يختلف الغرض تبعا لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها " [4]، ثم بين أن النبر بنوعيه ليس إلا شدة في الصوت أو ارتفاعا فيه و ذلك أن الشدة أو الارتفاع يتوقفان على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين ، و لا علاقة له بدرجة الصوت أو بنغمته الموسيقية[5] . و من هنا يكون إبراهيم أنيس قد فرق بين ظاهرتي النبر و التنغيم (موسيقى الكلام) ، فجعلها من ضمن العوامل التي تؤدي إلى الاختلاف الصوتي و الأدائي على مستوى الكلام

---

[1]- المرجع نفسه – لاص: 63.

[2] - فعل (**increase**) = **increase** (اسم) يحدث الانتقال في مواضع النبر في الكلمة نفسها اختلافا في النغمة الموسيقية صعودا وهبوطا أثناء الأداء ويتجسد هذا الاختلاف الموسيقي في اختلاف في مستوى المعنى في الكلمة نفسها.

[3]- ينظر : إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية- ص: 119.

[4]- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية- ص: 122.

[5]- المرجع نفسه- ص: 123.

الفصيح بما في ذلك القرآن الكريم الذي يعد من أعلى درجات الفصاحة فتحديده لهذا الفرق يعد خطوة لم يحسب لها حساب عند الكثير من الباحثين الذين لم يعطوا ظاهرة التنغيم حقها من الدراسة حين درسوا النبر و هذا ما جعل شكري عياد يقول عن إبراهيم أنيس : ط فكأنه وجد أن ظاهرة النبر يمكن إهمالها إذا ما قورنت بظاهرة الطول و القصر من حيث الارتباط كل من الظاهرتين بهذه الموسيقى ، بل أنه لا يجعل للنبر دورا ثانويا الذي يعطيه للتنغيم (Intonation) ؛ و لعل سبب ذلك أن شعر بأن النبر لا يدخل في صنع قاعدة الشعر العربي " [1]، و من هنا يتضح أنه قد بني الشعر على النظام الكمي لا على النظام النبري ، بعكس ما فعل أبو ديب الذي رأى أن التعادل الإيقاعي في العربية لا يرتكز على التساوي الزمني أو الكمي، بل ينبع من الإمكانات التي يفرضها ارتباط النبر بنواة معينة في اتجاه محدد لوضع النبر في مواضع معينة [2] ، إذ العلاقة للشعر بالكمية عنده بل هو مرتبط مباشرة بظاهرة النبر التي عدها العنصر الأساسي و الأول في فهم أسس الإيقاع الشعري العربي، و في اعتقادنا أن الكم مسبب للطول و القصر أكثر مما هو مسبب للضغط و الارتكاز ، أو كما عبر عنهما اللغويون بالهمز و المقرئون بالتحقيق . و من هنا كانت انطلاقة شكري عياد في دراسته للنبر حين ربط هذه الظاهرة في الأساس، بطول المقاطع و قصرها" باعتبار اللغة العربية لغة كمية " [3] مبنية على مكونات صوتية تشغل زمنا معينا حين النطق بها و يقوم عليها نظام العربية عند الاشتقاق في مثل أسماء الفاعل و أسماء المفعول و المصادر و الصيغ المزيدة في الأفعال...، فقد بنى شكري عياد نظام النبر في اللغة العربية على هذه الظاهرة الفيزيائية ، أي ظاهرة التحلل الكمي التي نراها في كثير تتعلق بظاهرة التنغيم بمفهومها الموسيقي الواسع (موسيقى الكلام) .

---

[1]- شكري عياد – موسيقى الشعر العربي - ص:50،و51.

[2]- ينظر : كمال أبوديب -في البنية الإيقاعية –ص:

[3]- - شكري عياد – موسيقى الشعر العربي - ص:49.

و قد تحدث إبراهيم أنيس عن مواقع النبر ، يشاطر في ذلك أبا ديب في تغير مواقعه، و انتقالها في عملية الاشتقاق ، و يضيف إلى هذا بعض الأدوات التي تسهم في عملية تغير مواقع النبر كأدوات الجزم و الإسناد الضمائر إلى الفعل [1].

و من المحدثين من لاحظ في مقارنته اللغوية للكلمات العربية بعضها مع بعض، أن لمواقع النبر الأثر البين في تطوير الأصوات ، حيث عد كمال بشر النبر و التنغيم من الظواهر الصوتية التي لا تظهر إلا من خلال السياق ، و عداهما ضمن الفونيمات الثانوية [2] (Phonemes suprasegmentaux) ، و تسميتهما تتعلق بوظيفتها الحيوية في تبيان الخصائص الصوتية و اللغوية و الدلالية للسان ما، و هذا ما جعل شاهين في دراسته للنبر ينطلق من اللهجات العربية القديمة المتنوعة ، فرأى أن النبر في ألسنة العرب لم يكن مجرد صوت ساكن متمثل في الهمزة و لكنه ظاهرة نطقية التزموا بقواعدها إحساسا منهم و تذوقا لنظام اللغة العربية الثري، فحققوه في مواقع الاستثقال في الكلمات فكان التسهيل و التخفيف و التليين و الإبدال و الإسقاط .

---

[1]- الصيغ المختلفة التي تدخلها أدوات في مثل : كتب / لم يكتب / كتبت ، حدث انتقال في النبر إذ نجده في الصيغة الأولى يقع على المقطع الأخير بالجهة المعاكسة (كـــ) ، و نجده في الصيغة الثانية يقع على المقطع الثاني بالجهة المعاكسة (ـــتـــ) ، ويقع على المقطع الثاني بالجهة المعاكسة في المثال الأخير (ـــتبـــ).

[22]- ينظر : كمال بشر – علم اللغة –ص:210.

الفصل الرابع:

النبر والتنغيم في اللهجات العربية والقراءات القرآني

- علاقة الاختلافات الأدائية اللهجية بظاهرتي النبر والتنغيم .

1- علاقة المظهر الصوتي الأول بظاهرتي النبر والتنغيم .

2- علاقة المظهر الصوتي الثاني بظاهرتي النبر والتنغيم .

أ- علاقة القراءات القرآنية بظاهرتي النبر والتنغيم .

ب- مقاييس الأوزان الزمنية وعلاقتها بمراتب التلاوة

الفصل الرابع : النبر و التنغيم في اللهجات العربية و القراءات القرآنية :

أ- علاقة الاختلافات الأدائية اللهجية بظاهرتي النبر و التنغيم :

يقع الفرق بين لهجة و أخرى في أغلب الأحيان في الاختلاف الصوتي الذي تتميز به قبيلة دون أخرى، فقد تنطق قبيلة السين صادا، و تنطقه قبيلة أخرى زايا، و فيما روي عن قبيلة تميم البدوية أنها تقول في (فزت) (فزد)، و كانت إذا حققت الهمزة ، و بالغت في تحقيقها ، نطقتها عينا لقرب هذا الصوت من الهمزة في المخرج ، و لنصاعة نبره [1]، و يروى أيضا أن قبيلة أسد البدوية كانت تقول في (سكرى) ← (سكرانه)، فأحدثوا بهذا تغييرا في مستوى المقاطع الصوتية للكلمة ، فالزيادة في بنية التشكيل الصوتي للكلمة، يؤدي لا محالة إلى تغيير في موضع النبر، و انتقاله، و يحدد هذا التغير نغمة لهجة من نغمة لهجة أخرى عن طريق ما يتم من اختلاف أدائي في مواضع النبر، فبقدر شيوع هذه الاختلافات الصوتية في لهجات اللغة الواحدة ، بقدر ما تتفشى عناصر اختلاف النطق التي تحدث ، إما في مستوى الصوامت ، فيتغير المخرج أحيانا كما تتغير الصفة أحيانا أخرى [2] ؛ و إما في مستوى أصوات اللين التي يقع الاختلاف في مقاييسها ؛ و إما في مستوى المقاطع الصوتية ، فتتباين مواضع النبر كما تتباين نغماتها الموسيقية في مستوى السياق الصوتي .

---

[1]- ينظر: إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية - ص : 17.

[2]- يحدث التغير الصوتي : إما عن تفاعل الأصوات ، و تأثر بعضها ببعض عند المجاورة، و هو أمر واقع في جميع اللغات، و إما ينشأ نتيجة تطور زمني يؤدي إلى إبدال حرف بآخر، و قد سجلت كتب الصرف و التجويد الكثير من التغيرات التي وجدت في اللهجات العربية القديمة ، إلا ثمة أمثلة كثيرة تدل على التناسب الصوتي و التقابل الموسيقي، و للاستزادة يراجع : محمد مبارك - فقه اللغة و خصائص العربية - دار الفكر- ط.1-1401 هـ- 1981 م- ص: 54-55، و عمر السلامي - الإعجاز الفني في القرآن - مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله – تونس – د.ط - 1980م- ص: 318.

1- علاقة المظهر الصوتي الأول بظاهرتي بالنبر و التنغيم :

خضعت اللهجات العربية في مستوى صوامتها إلى تغيرات كثيرة، كان المقصد منها توفير الجهد، و طلب التخفيف أثناء الأداء [1] . و تمثل هذا النوع من التغيير في القبائل البدوية التي جنحت إلى هذه الفعل تكيفا مع بيئتها ، و طبيعة حياتها؛ في حين أبقت القبائل الحضرية لهجاتها على حالها دون أي تغيير أو تفريع و هذا ما أكده بعض الباحثين المحدثين منطلقين في ذلك من قول الرضي الاسترابادي " و جميع هذه التفريعات في كلام بني تميم و أما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء و لا يفرعون" [2] . و الغرض من هذا التفريع المعزو إلى قبيلة تميم و من مثّلتها من القبائل البدوية هو كراهة التعامل مع الأصوات الملزم فيها طول النفس و مضاعفة الجهد، و هي ميزات وردت في نوع من أنواع النبر، و هو نبر المدة و قد قصرنا الجدول التالي على ظاهرتين صوتينين أبدت فيهما القبائل البدوية اختلافاتها النطقية الكثيرة التي تمثلت في المصادر العربية الأساسية من شعر و نثر و قراءات قرآنية ، و هاتان الظاهرتان من إبدال و قلب لهما أهمية كبرى في تحديد النغمة الأساسية التي تتفرد بها القبائل البدوية عن القبائل الحضرية، و ما يقع من أداءات صوتية مختلفة في المستويات اللغوية المختلفة، يعزّز في معظمه بظاهرتي النبر و التنغيم. أما الأولى فمن حيث ما يحدث من انتقال للنبر و اختلاف في نوع النبرة، و أما الثانية فمن حيث ما ينجز عن هذا الانتقال من تنويع و تباين في النغمة الموسيقية للكلام، و هذا و ذلك يؤديان إلى تنوع اللسان العربي و توسع رقعة لهجاته .

---

[1]- ينظر: علم الدين الجند - اللهجات العربية في التراث – بيروت- الدار العربية للكتاب-د.ط- 1983- ج:1- ص : 235.

[2]- الاسترابادي - شرح الشافية لابن الحاجب- ج: 1- ص: 40.

ظاهرتا الإبدال و القلب في المظهر الصوتي الأول

الظاهرة الصوتية	نوع الاختلاف	سبب الاختلاف الصوتي	أثر الظاهرة على النبر و التنغيم
الإبدال في مستوى المخرج	- يقع الاختلاف في مستوى مخارج بعض الأصوات . - يقع الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات . - يقع تباين في النغمة الموسيقية تحدده وضعية الوترين الصوتيين.	- طلبا للتخفيف و اقتصادا للجهد [1]	- تلتقي الشدة مع النبر في صفة الوضوح التي تعد من أهم عوامل النبر و التغير الذي يحدث بسبب الإبدال في مستوى البنية يؤدي إلى اختلاف نوع النبر، من نبر شدة إلى نبر مدة، أو العكس، مع انتقاله أحيانا. - بسبب الإبدال نفرز نوعين من التنغيم أحدهما خاص بالقبائل البدوية و الآخر يخص القبائل الحضرية. - تلتقي التؤدة- عند القبائل الحضرية مع النبر في التحقيق و الجودة، و هما من عوامل تحقيق النبر .
	ما يقع من اختلاف	طلبا لتحقيق بعض	-يلتقي التحقيق مع النبر أثناء الشدة،

[1] - مالت القبائل البدوية إلى ظاهرة الإبدال فأبدلت الأصوات الرخوة أو المهموسة التي تحتاج إلى تؤدة و طول نفس و جهد في النطق، بأصوات شديدة مجهورة و تنسجم و بيئتهم لما فيها من اقتصاد في الجهد و وضوح في السمع، في حين أبقت القبائل الحضرية تلك الأصوات على حالها مراعاة لمقررات القاعدة ، و العمليتين في هذا تتطلبان الانسجام و التوافق في الجرس و النغمة و الإيقاع، ينظر: عمر السلامي - الإعجاز الفني في القرآن- ص: 219. ينظر :علم الدين الجندي - اللهجات العربية في التراث- ج:1- ص : 233.

القلب في مستوى الصفة	-أحيانا في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات تصبح فيه : الباء ← ميما -يقع التباين في النغمة الموسيقية،يحدده الوتران الصوتيان . -يقع اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة فيتأثر بعضها ببعض. السين ← الصاد	الأصوات لتوضيحها سماعا.[1]	الجهر، فيؤدي التغيير إلى نغمة خاصة تتميز بها القبيلة المستعملة له عن القبيلة المراعية لقواعد الأصوات و مميزاتها . -يلتقي القلب مع الانسجام الصوتي في التشكيل الإيقاعي الذي من عوامله النبر الموسيقي .

2- علاقة المظهر الصوتي الثاني بظاهرتي النبر و التنغيم :

يقول أحمد علم الدين: " ظاهرة حذف الحركات تتلاءم و تميم البدوية، حيث إنهم يميلون إلى السرعة في النطق الذي ينتهي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، و لا شك أن حذف الحركات فيه تيسير و اقتصاد و هو ما يهدف إليه البدوي، بعكس الحجاز المتحضرة التي تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح و البيان" [2]، و يلتقي هذا مع أصوات اللين فيما يدخل عليها من تغيير إما باختلاس الحركة أو زيادة فيها و إما بتسكين المصوت و إبعاده عن الحركات ، و إما بالإمالة أو الفتح .

---

[1]- تبالغ القبائل البدوية في تحقيق بعض الأصوات لتوضيحها في السمع فتختار بذلك الصوت القوي الذي يطرق الآذان بنبراته الحادة – ينظر: علم الدين الجندي - اللهجات العربية في التراث – ج:1- ص: 224.

[2]- المرجع نفسه - ص: 246.

و قد وقفت بعض القبائل البدوية مثل تميم و أسد و بكر بن وائل، و قيس و غيرها من هذه التغييرات النطقية لتشكيل ظاهرة الانسجام و الموازنة بين الأصوات. و الإمالة من أهم هذه الظواهر السياقية التي تمثل الانسجام على مستوى التشكيل الصوتي، و قد تكون إلى الكسر في حالة [ai] و إلى الضم في حالة [au] ، فهما متشابهان من الناحية الصوتية من حيث كونهما صوتي لين ضيقين [1] إلا أنهما يختلفان في وضع أعضاء النطق إذ تحدث الإمالة إلى الضم بتحريك أقصى اللسان في حين أنها تحدث على الكسر بتحريك أدنى اللسان.

و قد تحدث القدامى عن الإمالة و استشهدوا بها في مواضع كثيرة في الشعر و النثر و القراءات القرآنية، إذ روي أن تميما و أسدا كانتا تنطقان باطراد كلمات ممالة في مثل بعير و شهيد و زئير (بكسر فاء الكلمة و تغيير حركة المقطع الصوتي الأخير بالجهة المعاكسة و هي بذلك تراعي التوازن الحركي الذي يحدث عل مستوى البناء الصوتي للكلمة، و هذا التوازن بدوره يحدث اختلافا إما على مستوى المخرج و إما على مستوى وضع أعضاء النطق داخل الحيز الواحد فيقع التباين في النغمة الموسيقية التي تميز لهجة البدوي بما يميل عن لهجة الحضري بما يفتح ، و في الحرفين يعمل اللسان عملا واحدا، إذ لهجة البدوي ، في تغيرها تجنح إلى الانسجام ، و لهجة الحضري محافظة، و في محافظتها يجنح إلى حسن النطق و مراعاة القواعد [2] و يبين الجدول التالي علاقة هذه التغيرات الصوتية بظاهرتي النبر و التنغيم .

---

[1]- ينظر: إبراهيم أنيس- في اللهجات العربية- ص: 137، و علم الدين الجندي- اللهجات العربية في التراث – ج:1- ص: 273.

[2]- ينظر: إبراهيم أنيس- في اللهجات العربية – ص: 137، و علم الدين الجندي- اللهجات العربية في التراث- ج:1- ص: 273.

البنية الصوتية في المظهر الصوتي الثاني :

	نوع الاختلاف الصوتي	سبب الاختلاف الصوتي	أثر الظاهرة على النبر و التنغيم
تسكين المقطع الصوتي الثاني من البنية	-يقع الاختلاف في وضع أعضاء النطق أثناء الفتح أو الضم أو الكسر. -يقع تباين في النغمة الموسيقية بتحريك اللسان إلى الخلف أو الأمام . -يقع اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حتى يتأثر بعضها ببعض (التسكين، الإمالة، الفتح) . -يقع اختلاف في مخرج هذه الأصوات	طلبا للتخفيف [2]	-تفاديا للثقل أحل التسكين في المقطع الصوتي فأصبح المقطع المغلق مقطعا مفتوحا.[1] - منح التسكين الصيغ نغمة خاصة ، تميزت بها القبائل العربية من غيرها . - منح الانتقال من الحركة إلى التسكين انسجاما صوتيا

[1]- تفاديا للثقل كان التسكين بدل الضم عند القبائل العربية لأن ترك الضم في مكانه يستدعي من الناطق أن ينقل لسانه من الأخف و هو الفتحة إلى الأثقل و هي الضمة و يعد النبر في هذه الحالة ظاهرة لغوية جاءت لإبعاد الثقل من البنية.

[2]- مالت القبائل البدوية إلى ظاهرة التسكين لأن السكون أخف من الضم و جواز القراءة به يدخل في سعة الكلام ينظر- علم الدين- اللهجات العربية في التراث- ج:1- ص: 241.

الصوتية المنجزة عن اختلافات اللهجات و تنوعها، فالقراءة لم تكن مبتدعة و إنما توارثها الصحابة والأتباع عن النبي صلى الله عليه و سلم جيلا عن جيل، فضبطوا قواعد تلاوتها خشية الإخلال بالقرآن و اللحن فيه فكان الاهتمام بالقراءات اهتماما علميا حصر في مدى موافقة القراءة للغة العربية بوجه من الوجوه و مدى صحة سندها للرسول صلى الله عليه و سلم و مدى موافقتها للمصحف العثماني " فكل قراءة وافقت هذه الضوابط لا يجوز ردها" [1]، و رغم ضبط أداء القرآن الكريم باللغة النموذجية "إلا انه أبيح في قراءته أن يخرج عن ذلك الأنموذج تيسيرا كما يسر الله على الناس في الدين" [2] و قد أدرك الرسول صلى الله عليه و سلم ، و هو العارف بأمته " أن الأمة العربية لا تستطيع أن تقرأ كتاب الله إذا نزل بلغة واحدة، لأن لغة العرب لهجات مختلفة " [3].

فيكون- إذا — من العسير ، و من المستعصي أن يكلف الناطق بهذه اللغة ، بالعدول عن لغته و الانتقال إلى اللغة النموذجية، فهذا من التكليف بما لا يستطاع ، فأيا كانت لهجة المسلم، و أيا كانت صفاته الكلامية التي تعود عليها فإنه يستطيع بأي حال من الأحوال أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات جهازه الصوتي عند ممارسته للكلام[4]. و من هنا تعد القراءات القرآنية ، و إن شذت، ينبوعا ثريا و مصدرا هاما في تعريفنا بلهجات العرب " لأن القرآن الكريم بلغاتهم جميعا نزل لا بلغة قبيل

---

[1]- ابن الجزري- النشر في القراءات العشر — ج:1- ص: 208 .

[2]- ينظر: علم الدين الجندي- اللهجات العربية في التراث — ج:1- ص: 105.

[3]- المرجع نفسه و الصفحة .

[4]- ينظر : إبراهيم أنيس- في اللهجات العربية - ص : 56.

دون قبيل "*" [1] و القرآن الكريم يعد المصدر الثري الذي يضبط فيه الباحث مختلف وجوه الأداء التي تتحد بمختلف مواقع النبر، و ضابطها التنغيم بتنوع نغماته، و هذا المصدر أو في من غيره لدراسة اللهجات العربية بتشكلاتها الصوتية المختلفة و ما يتأتى عنها من تنوع في تشكيل الإيقاع، فتكون القراءات القرآنية الحقل الخطيب الذي ينطوي على تاريخ العربية و أصول منابعها [2].

و يقسم إبراهيم أنيس القراءة تسهيلا و تيسيرا منطلقا في ذلك من قوله صلى الله عليه و سلم : " أنزل القرآن على سبعة أحرف" [3] إلى نوعين [4]:

أولهما : القراءة الفردية التي تكاد لا تتجاوز بضع آيات من القرآن الكريم، يقوم بها أفراد من المسلمين في جميع بقاع الأرض على قدر ما تسمح به عاداتهم في النطق، فيتأتى عن ذلك تشكيل إيقاعي خاص يميزه اختلاف مواضع النبر و ما ينجز عنها من تتابع نغمي يوافق انتقال النبر .

ثانيهما: تتمثل في القراءات النموذجية التي سجلها علماء التجويد ، و جعلوا منها فنا متميزا لأصول و سموه بعلم القراءات ، يجمع بين نوعين من النبر حددهما أنظمة اللسان العربي [5].

---

*- من القبائل التي نزل القرآن بلغتها، هوازن ،و قريش ،و هذيل، و اليمن، وكنانة ، و تميم و قيس..، ينظر: إبراهيم أنيس- في اللهجات العربية ص: 81-156 ، و بخيت محمد- الكلمات الحسان في الحروف السبعة و جمع القرآن- لبنان – بيروت – دار الرائد العربي - 1403 هـ- 1982 م-ص : 56- و بكري شيخ أمين – التعبير الفني في القرآن الكريم- ص: 92- و أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- فتح الباري- بيروت – دار المعرفة للطباعة و النشر-ج:9- ص: 9-10.

[1]- ينظر: علم الدين الجندي- اللهجات العربية في التراث – ج:1- ص: 106.

[2]- المرجع نفسه – ص: 108.

[3]- ابن الجزري- النشر - ج:1- ص:19.

[4]- إبراهيم أنيس – في اللهجات العربية – ص: 57- 58.

[5]- النظام الصوتي (القاعدي و الاستعمالي)، النظام الصرفي (بما يحمل من جذر و أوزان صرفية) ، و النظام النحوي (بما يحدث فيه من تغير في مستوى التركيب أثناء التقديم و التأخير) .

و يبقى ما جاء من تسهيل و تيسير لقراءة القرآن الكريم، لا يدخل باب التسجيل و إنما لا يتعدى حدود القراءة و الأداء [1].

2-أهمية القراءة ترتيلا في تحقيق ظاهرتي النبر و التنغيم :

تتعلق القراءة و كذلك الأداء بالنطق ، و يقومان على اختلاف أوجه اللغة أو اللسان الواحد [2] و منه على ما يقوم عليه النظم من تقلّب في الصور اللفظية في بعض أدائه الصوتي بحسب ما يلائم الأحوال في مناطق العرب .

و قد سئل أنس – رضي الله عنه عن قراءة الرسول صلى الله عليه و سلم ، فقال كانت مدّا، ثم قرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" يمدّ الرّحمن و يمدّ الرحيم [3] و لا يخرج هذا المدّ ترتيلا عن تحقيق أصوات المدّ و إعطائها حقوقها من حيث صفاتها و مخارجها و مقاييسها و هي أصوات لها أهميتها في تحقيق ظاهرتي النّبر و التّنغيم إذ اللغة تمّ بناء صيغها و تنوع معانيها أساسا على هذه المدود ، و نضيف إلى هذا أن قراءة الرسول صلى الله عليه و سلم لم تخرج أيضا عن إعطاء الأصوات الساكنة حقها حين دخولها التشكيل الصوتي ، و إكسابها صفات عرضية سرعان ما تزول بزوال الأسباب العرضية، و عليه اختلفت المدة في مقاييسها المحصورة بين المقياس الطبيعي و المقياس الفرعي، و هذا المدّ من الناحية القياسية له دوره في ثبت النغمة

---

[1]- ينظر- بكري شيع أمي-، التعبير الفني في القرآن – ص: 83.

[2]- قصد علماء العربية و القراءات القرآنية قديما باختلاف أوجه اللغة الواحدة ، منطلقين في ذلك من إشارة علي كرم الله وجهه إلى معنى الحديث " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا بما تيسر منه " فالمراد بالحرف عنده، الوجه و السبب فيه التوسعة و التيسير فقال " أنزل القرآن موسعا فيه على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه، يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه كأنه قال : أنزل على هذا الشرط و على هذه التوسعة" ، و القصد من هذا التيسير هو إتاحة الفرصة لكل من أراد أن يقرأ القرآن ، و يتمعن في قراءته تيسيرا في الحروف، و أصواتها و المقاطع الصوتية و تراكيبها ، و يتأتى عن هذا الاختلاف التنوع و التنويع – ينظر : ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج:1- ص:23، و ينظر: علم الدين الجندي- اللهجات العربية في التراث- ص: 55- و محمد علي الصابوني- البيان في علوم القرآن – قسنطينة -دار البعث- ط.2- 1986- ص: 24.

[3]- ينظر: ابن الجزري – النشر في القراءات العشر – ج:1- ص: 208.

و نوعية النبر فيها، فما ذهب إليه الرسول صلى الله عليه و سلم في كيفية قراءة القرآن ما كان إلا للمحافظة على تبيان كلام الله مع التأني فيه تطبيقا لقوله عزّ و جلّ : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [1] أو كما قال عليه السلام : " إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما نزل " [2] و ذلك " بإعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ و تفكيك الحروف ، أي بيانها و إخراج بعضها من بعض بالسكتة ، و الترسل ، و السر و التؤدة، و ملاحظة الجائز من الوقوف ، و لا يكون غالبا معه قصر و لا اختلاس و لا إسكان متحرك ، و لا إدغامها ...." [3] . فما جاء من تبيان لكيفية القراءة و أدائها عن طريق التلقي و المشافهة من فيه صلى الله عليه و سلم ، ثم صحابته ، ثم تابعيهم ، لم يكن إلا لإعطاء التلاوة حقها بإشراك اللسان و العقل و القلب في هذه العملية التي تخضع إلى ميزات نجدها ترددت في تعاريف ظاهرتي النبر و التنغيم .

أما ظاهرة النبر ففيها تبيان و إشباع دون تقصير مع ملاحظة الجائز من الوقوف الذي يحدد أنواع النغمات ، و أما ظاهرة التنغيم، ففيها السكتة و الترسل و السر و التؤدة دون إغفال الجائز من الوقوف ، و هي عمليات تشترك فيها الأعضاء الثلاثة من لسانو عقل و قلب . أما حظ اللسان فتصحيح الأصوات بالتجويد ، و أما حظ العقل فتفسير المعاني بالترتيل، و يبقى حظ القلب للاتعاظ و التأثر .

---

[1]- سورة المزمل ، الآية 4 .

[2]- أخرجه ابن خزيمة في صحيحه .

[3]- ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج:1- ص: 205 .

علم التجويد
علم الترتيل
اللـــغة
علاقة علمي التجويد و الترتيل بظاهرتي النبر و التنغيم
الوقوف على ميزات النبر
على مستوى الأصوات الزائدة
عن طريق الأصوات الزائدة
عند تحقيق الظواهر الصوتية الذاتية أو العرضية
تحقيق الأصوات
ترويض اللسان
الأداء السليم
الوقوف على ميزات التنغيم
موسيقى داخلية : تحددها صفات الأصوات (النغم)
موسيقى خارجية: يحددها النسج الصوتي كلية في مستوى التراكيب (التنغيم)
ضبط الزمن
حضور العقل
تفسير المعاني و تحديد الدلالات
تحقيق الأداء و الغرض
مراتب التلاوة : تحقيق، و حذر و تدوير
نوعية الأداء: غرض الآية
إيقاع القراءة: تحديد منشأ القارئ(فطرته و بيئته)
ضبط الإيقاع
حضور القلب
فهم المعاني و الدلالات
1
2
3
موسيقى القرآن

1- يصل القارئ من خلال علمي التجويد و الترتيل الإيقاعيين إلى " القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها، و لا لوك، و لا تعسف و لا تكلف، و لا تصنع، و لا تنطع " [1].

2- متى أدى المقرئ حق قراءته فإنه " لا يخرج عن طباع العرب و كلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات و الأداء " [2].

3- تتحدد عند إعطاء القراءة حقها و مستحقها ، مواضع النبر و التنغيم، فيكون بذلك " بلوغ نهاية الإتقان و التجويد، و وصول غاية التصحيح و الترشيد" [3]، و هذا النوع من القراءة يعني بلوغ النهاية في إتقان القرآن الذي يبين أنواع الموسيقى " موسيقى الشعر، حيث نغمة الوزن و الاهتزاز النفسي، و موسيقى النثر، حيث الإيقاع العميق الذي يحدثه التوزيع و حسنه بين الحروف ذاتها و الكلمة و العبارة و الآية و السورة ، و موسيقى الحس، حيث مشاركة الحواس لاهتزازات النفس و قوة إرهافها لتموجات الموسيقى أيا كان مصدرها، و موسيقى الروح حيث النشوة الهادئة النابعة من مجموع أنواع الموسيقى ..... فالقرآن اكتمال لنماذج موسيقية حية في تراكيب خالدة للغة العرب ."[4] .

فمتى راعينا مواضع النبر و التنغيم في السياق الصوتي نحصل على الأداء السليم دون تفريط أو إفراط في الظواهر النبرية لذلك قيل إن التجويد " ليس بتمضيغ اللسان، و لا بتقعير الفم، و لا بتعويج الفك و لا بترعيد الصوت، و لا بتمطيط الشدّ، و لا بتقطيع المدّ، و لا بتطنين الغنّات ، و لا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر عنها الطباع، و تمجّها القلوب و الأسماع " [5].

---

[1]- ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج:1- ص: 213.

[2]-المرجع نفسه و الصفحة .

[3]- ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج:1- ص: 213 .

[4]- عمر السلامي - الإعجاز الفني في القرآن- ص: 222- الشيخ عبد الله بن إبراهيم حمودة السناوي- مفتاح التجويد للمعلم المستفيد-مكة - مكتبة النهضة العربية- ص: 2.

[5]- ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج:1- ص: 213.

الحرف من الحرف الذي بعده " .[1] ، والفصل هنا هو إعطاء المقطع الصوتي حقه مع ما يجاوره من مقاطع صوتية أخرى كانت أقوى منه في الصفات أو أضعف ، وترتكز قراءة التحقيق على ظواهر صوتية عرضية معينة من أهمها الهمز والإظهار والفتح والمد فهذه القراءة هي فن يمكن في الصوت للنطق به على حال صيغته من غير إسراف ولا تعسف ويلتقي التحقيق من هذا الوجه مع صفات ذاتية وعرضية ، فيها ارتكاز وشدة عند تحقيق الصوت المفخم أو الشديد أو المطبق أو المجهور ، وهي صفات مهمة في تحقيق نبر الشدة .

2- علاقة حدر القراءة بأنواع النبر والتنغيم :

من مميزات هذا النوع من القراءة – الحدر – الإسراع في الأداء مع تخفيف واختلاس وإدغام و " مراعاة الوقت والابتداء وجوبا وامتناعا وحسنا وقبحا على ما يأتي بيانه من محاسن القراءة تزيدها رونقا وبهاء " [2]، وقد سئل الأهوازي عن الحدر فقال: " هو القراءة السمحة العذبة الألفاظ التي لا تخرج القارئ عن طباع العرب العرباء ، وعما تكلمت به الفصحاء بعد " [3] ويلتقي الحذر من هذا الوجه في القراءة مع صفات ذاتية وعرضية فيها لين وخفة من أثر الإسراع في القراءة بمراعاة الوقوف الواجب والإعراب اللازم ، مع تمكين الأصوات من حيث صفاتها داخل السياق ، وينطبق هذا على تخفيف الهمز وإدغام ما تقارب وتماثل وقصر المدود غير اللازمة .

---

[1] – ابن الجزري– النشر في القراءات العشر– ج:1– ص: 205 .

[2]– محمد مكي نصر – نهاية القول المفيد في علم التجويد – مصر– مطبعة مصطفى البابي الحلبي –د.ط– 1349 هـ ص : 15

[3]– ابن الجزري– النشر في القراءات العشر– ج:1– ص: 207 .

3- علاقة تدوير القراءة بالنبر والتنغيم :

وهي قراءة وسط بين التحقيق والحدر ، تمثل ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه : " لا تنثروه — القرآن- نثر الدقل ولا تهذوه هذ ([1]) الشعر " [2] فقراءة القرآن الكريم غير قراءة الشعر فإن كانت تراعى في الشعر الأوزان والتفعيلات بتكرارها وتكرار مقاطعهما الصوتية ، فإن القرآن الكريم تراعى في قراءته الوقوف الواجبة والمدود اللازمة والغنات الوافية ، فيُؤْتى بها على تؤدة و طمأنينة قصد التأمل والتدبر بإشراك الأقطاب الثلاثة اللسان والعقل والقلب، وبهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على كيفية الأداء الصوتي بقراءة سهلة غير مكلفة ، عذبة حافظة لعلامات الوقف ، تعطي النسيج الصوتي القرآني رونقا موسيقيا حاملا لنبرات ونغمات متزنة ، ومتمايزة تسهم في تبيان القراءة السليمة التي يجب إتباعها واحترام قوانينها لأنها تسهل على القارئ ترويض لسانه بأقل جهد ، وتسهم أحكام التجويد ومراتب الترتيل في إعطاء القرآن نبرة خاصة تتنوع بتنوع أحكام التجويد ، ونغمة خاصة تتنوع بتنوع الاختلافات الصوتية والأدائية في مستوى القراءة ومراتب ترتيلها.

ب- مقاييس الأوزان الزمنية وعلاقتها بمراتب التلاوة :(المدود والغنات)

1-المدود (الألفات والحركات) :

ضبط علماء الأداء أزمنة نطق الأصوات في القرآن الكريم ضبطا بلغوا فيه شأوا في الإتقان تناقله مَنْ بَعْدهم بدقة لما لهذا النقل من أمانة تتأتى عنها سلامة القراءة .

---

[1]- الدقل : هو أردء أنواع التمر ، و الهذ : سرعة القطع و سرعة القراءة في الشيء . ينظر :ابن منظور — لسان العرب - مادة : دقل ، و هذ .

[2]- ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج:1- ص: 207 .

1.أ- الألفاف :

استعمل أهل الأداء المتقدمون الوحدة القياسية الألف لتقدير زمن المد (أ=2ح) وعبروا بهذا القياس عن الفترة الزمنية المستغرقة في نطق حركة الألف المدية أو الواو المدية أو الياء المدية في مثل قال ، يقول ، قيل وذلك من قبل شخص سوي النطق ذي طبيعة سليمة فصيح اللغة جيد التلقي فلا يزيد فيها عن مقدارها المحدد ولا ينقص [1]

1.ب- الحركات :

وهي وحدة قياسية يقدر بها زمن المد ، ووزنها يساوي نصف وزن الألف (ح=½ أ) استعملها المتأخرون عوضا من الألف ؛ وذلك لتقدير زمن المد ، دائما، وهي نوع من القياس الزمني يحسب الكمية المستنفذة في المدود .

والتمثيل الآتي يوضح أنواع المدود المسببة لظاهرة التنغيم [2]

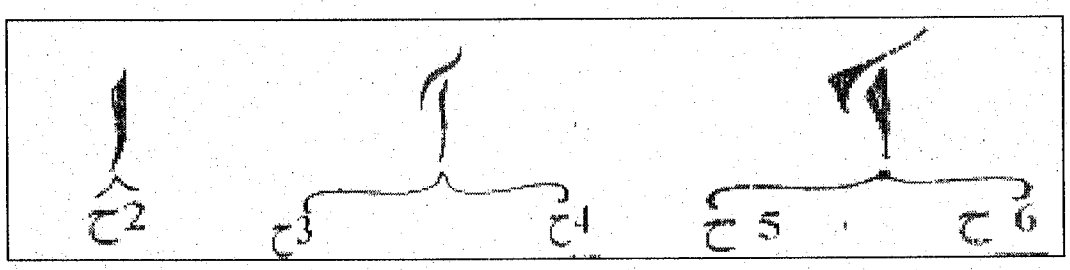

ويرى حسنى شيخ عثمان في مسألة القياس أنها " مسألة سماعية ذوقية تتحدد وتستقيم بكثرة السماع وجودة التلقي من القراء المجودين ، والنطق و الرياضة والتمرين " [3]، وقد بين محمد مكي نصر كيفية مد الصوت فقال :"هو أن تمد صوتك بقدر النطق بحركتين إحداهما حركة الحرف الذي يسبق حرف المد ، ومثاله قولك (بَبَ) ، فحركة الباء الأولى هي حركة الحرف الذي سبق المد ، وحركته الثانية ، هي حرة حرف المد ، نحو (قال ، يقول ، قيل) فحركة القاف هي إحدى الحركتين ،

---

[1]- ينظر: حسني شيخ عثمان - حق التلاوة - ص : 156

[2]- ينظر :المرجع نفسه - ص : 237

[3]- ينظر: حسني شيخ عثمان - حق التلاوة - ص : 156

والألف في " قال " والواو في : يقول " والياء في قيل ، هي الحركة الثانية " [1] ، ونعني بذلك أن (قـــا = ق / ـــَ / ـــا =قـــ/ ـــَ / ـــَ)، فيراعي المقرئ أو المرتل انطلاقا من هذه الأوزان الزمنية المراتب الثلاثة للتلاوة من تحقيق و حذر وتدوير بسرعة الأداء أو بطئه فيقع ضبط وزن المد الطبيعي ومساواته مع وزن كل مد طبيعي آخر في القراءة الواحدة وهنا يكسب التشكيل الصوتي طول نفس واحد في مدوده المتنوعة ، فلا " يجوز للقارئ أن يمد في وزن مد طبيعي عن مد وزن طبيعي آخر و لا أن ينقص منه ، فلو قرأ نحو : (آتوني) وجب أن يساوي بين وزن زمن نطق الألف المدية (الأولى)، ووزن زمن نطق الألف المدية (الثانية) ، ووزن زمن نطق الواو المدية ووزن زمن نطق الياء المدية " [2]، فالزيادة والنقصان في وزن المدود الطبيعية قد يوقع القارئ في لحن خفي [3] و من هنا كان اهتمام القدامى بهذا النوع من الأصوات ، فمتى راعى المرتل أداءه لأوزان أزمنة المدود الطبيعية ، فإنه سيلاحظ أن ذلك يتناسب تناسبا دقيقا مع أدائه لأوزان أزمنة الصوامت المجاورة لهذه المدود و هذه المقاطع الصوتية مسببة لحدوث النبر على مستوى مواضعها أو عن طريقها للمقاطع الصوتية الموالية لها.

---

[1]-محمد مكي نصر ، نهاية القول المفيد ، ص : 166

[2]- حسني شيخ عثمان - حق التلاوة - ص : 156.

[3]-اللحن الخفي : وهو خطأ يطرأ على اللفظ - ينتبه له العالم بالقراءة ، فقط ، لأنه لا يخل بالمعنى و لا باللغة . ويكون هذا الخطأ في زيادة زمن الغنة أو في زيادة وزن المد أو عن ما لا غنة فيه أو تفخيم المرقق .

الصوامت	المصوتات (المدود)
سرعة نطق أزمنة الأصوات المشددة	سرعة أداء المدود الفرعية
سرعة نطق أزمنة الأصوات المتحركة	سرعة أداء المدود الطبيعية
أوزان نطق أزمنة الأصوات المشددة	أوزان أداء أزمنة المدود الفرعية
أوزان نطق الأصوات المتحركة	أوزان أداء أزمنة المدود الطبيعية

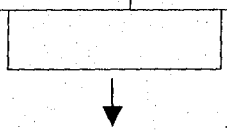

اللغة العربية لغة

إيقاعية

2-الغنات :

و تتحدد هذه الصفة المركبة بما يقع من ضغط معين يلزم الميم و النون بحسبها صوتين يحملان الغنة بوصفها صفة ذاتية فيهما، كما قد تظهر هذه الصفة المركبة في التشكيل الصوتي حين تتجاور الأصوات تآلفا و انسجاما فيما بينها، فيتسبب عنها الإدغام و الإخفاء الحاملان لهذه الصفة، و الغنة من المقاييس المهمة في تحديد ظاهرة النبر من حيث الشدة و التنغيم من حيث الرنة الموسيقية ، و متى ظهرت الغنة في النطق وجب استمرار ظهور صوتها بما يعادل وزن المد الطبيعي (الألف أو الحركتان) و هذا عند وجوب كمالها [1] و قد حصرها الشيخ عثمان في مراتب خمس [2].

---

[1]- ينظر: حسني شيخ عثمان- حق التلاوة - ص: 160.

[2]- تكون وجوب ظهور الغنة : - عند إدغام النون الساكنة أو التنوين في النون أو الميم – عند إدغام الميم الساكنة في مثلها نحو قوله تعالى : "كم من فئة قليلة" (249) البقرة ، - عند إدغام المتجانسين الصغير المصحوب بالغنة في الباء و الميم، - عند إدغام اللام الشمسية في النون نحو قوله تعالى : " يخرجهم من الظلمات إلى النور " (257) ينظر - رواية حمدي غرابة - منهاج التلاوة - ص: 112، و حسني الشيخ عثمان - حق التلاوة - ص: 245.

-تتأتى في مراتبها الثلاثة الأولى كاملة و يتوجب استمرار صوتها وزن زمن المد الطبيعي (الألف أو الحركتان) .

-و تتأتى في مرتبتها الرابعة و الخامسة صفة ملازمة ، إذ بقاؤها هو بقاء لأصلها، و يساوي وزن مدّها حركة واحدة (1/2 ا) و يمثل البيان التالي وزن مدّ الغنة تنازليا أي من أعلى وزن إلى أدناه .

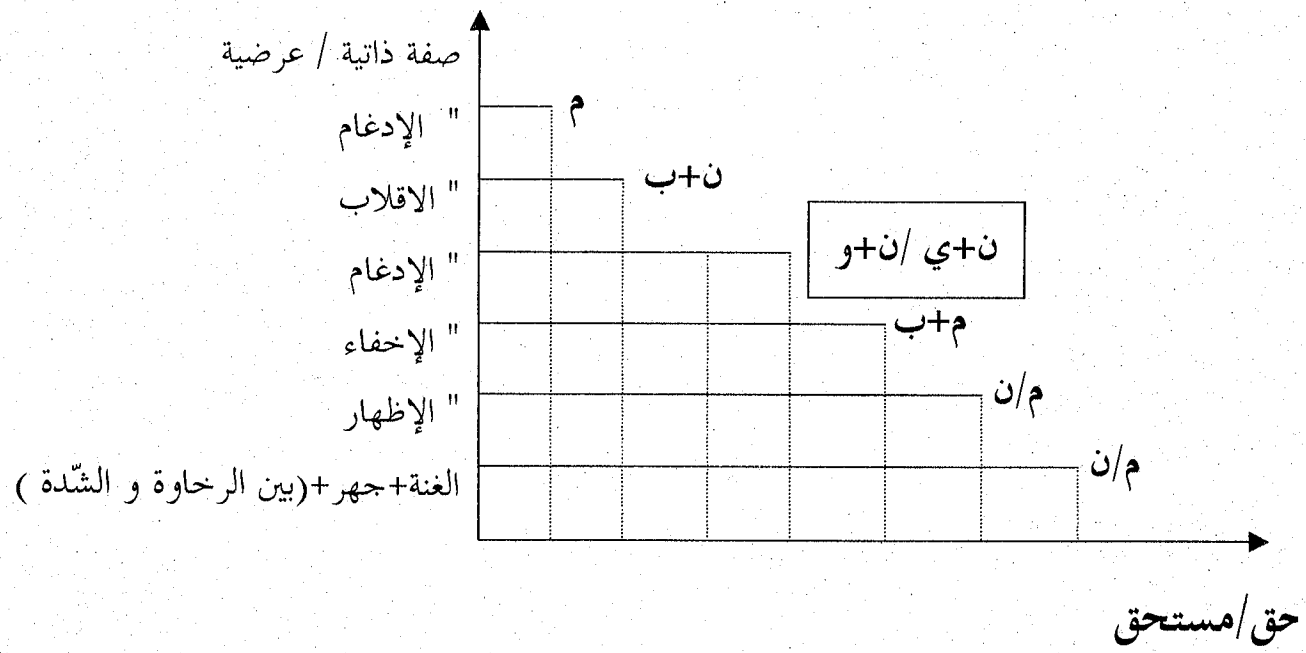

الصّوت

- حالة تشديد النون و الميم، و النون أغنّ من الميم (إدغام المثلين)

حالة قلب الباء ميما .

- حالة إدغام النون الساكنة أو نون التنوين الساكنة بأحد هاذين الصوتين الواو و الياء.

- حالة إخفاء الميم الساكنة عند الباء مع استمرارية التصويت بغنته.

- حالة ظهور النون الساكنة أو الميم الساكنة.

- الحالة الطبيعية للنون الساكنة و الميم الساكنة .

يوضح البيان في جميع هذه الحالات درجات الغنّة في حق الصوت و مستحقه، و يحدد هذا الوضوح النسبي مواضع النبر في حالة الإدغام و الإظهار و الإخفاء ، و الشدة بالإضافة إلى الحالة الطبيعية .

3- علاقة القراءات القرآنية بظاهرتي النبر و التنغيم :

لو أمعنا النظر في اللهجات العربية، لوجدنا اختلافاتها تنحصر في الظواهر الصوتية التي ما كان ورودها في القراءات القرآنية إلا رخصة من رخص الله جل جلاله حتى لا يشق على عباده ، فهناك من القراءات ما يمال فيها أو يفتح ، و هناك منها ما يهمز أو يسهل ، و هكذا مع باقي الظواهر الصوتية العرضية كالإدغام و الإظهار و المدّ و القصر ... و هذا ما أكده أبو عمرو الداني بقوله : " اعلموا أن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يُمكن لفظه ، و يُوفى حقه من المنزلة التي هو مخصوص لها، و لا يبخس شيئا من ذلك، فيتحوّل عن صورته و يزول عن صيغته ، و ذلك عند علمائنا في الكراهة و القبح كلحن الإعراب الذي تتغير فيه الحركات و تنقلب به المعاني "[1]، و حقيقة الاختلاف الكامن في القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع و تغير لا اختلاف تضاد و تناقض ؛ و يبارك ابن الجزري هذا التنوع بقوله " تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاث أحوال: اختلاف اللفظ و المعنى واحد ، اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه واحد لا يقتضي التضاد، فنرى في الأول فيما يطلق عليه أنه لغات فقط (الصراط و السراط)، (عليهمْ وعليهمُوا) ، و(تؤده وتــوده) ، (القدُس والقدْس) ، و (يحسِب ويحسَب) ، أما الثاني فنراه في (مَالك ومَلك) والمراد في القراءتين ، الله ، فالمعنى واحد وأما الثالث ففي (يكذّبون ويكذبون) ، (ننشرها وننشزها) "[2].

---

[1]- أبو عمرو الداني- التيسير في القراءات السبع- بيروت- دار الكتاب العربي- د.ط - 1404 هـ/1984 م- ص: 77.

[2]- ابن الجزري - النشر في القراءات العشر – ج:1 - ص : 49

وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التنوع واستحسنه لأنه كلما سمع إلى أحد المختلفين قال " أحسنت " أو " أصبت " أو " هكذا نزلت " ، ونلاحظ هنا تصويب النبي صلى الله عليه وسلم لكل قراءة مع قطعه بأنها هكذا قد نزلت ، ففائدة الاختلاف جاءت للتسهيل ، والتهوين والتخفيف ، وإذا أمعنا أكثر في هذه الاختلافات الصوتية والأدائية و تعدد القراءات مشهورها وشاذها ، وطرق الترتيل لوجدنا أنا القرآن الكريم من حيث أداؤه في نهاية البلاغة (النغم) وكمال الإعجاز في نظمه ونسقه ، هدفه " استيعاب القرآن لتراكيب النسق البليغ من حيث توفر الأصوات الثلاثة الضرورية لذلك : هي صوت النفس وصوت العقل ، وصوت الحس والصوت الأخير أبلغهن شأنا " [1]، وهذا كله يمنح القارئ سهولة الحفظ ، ويسر النقل لأن النسج الصوتي حامل لنظم موسيقي هام بلغت خاصيته الموسيقية " ذروتها في التركيب القرآني الرائع حيث تتناسق المعاني والنغمات والفكرة والجرس أحسن تناسق " [2] ، آت من ظواهر صوتية مشهورة شاعت بين القبائل العربية وتأصلت بينهم ، فاتخذوا منها نماذجهم في فن القراءات القرآنية .

---

[1]-الرافعي - إعجاز القرآن – ص: 149 – 250 .

[2]-السبارك ، خصائص العربية ، ص ك 39

الباب الثالث

الدراسة التطبيقية :

الأداء والأسلوب

في القرآن وقراءاته .

أولا التعريف بالمحلل الصوتي

ثانيا دراسة الأمثلة التطبيقية

الباب الثالث : الدراسة التطبيقية الأداء والأسلوب في القرآن وقراءاته

نحاول في هذا الجزء من الدراسة التطبيقية أن نبرز دور الأداء في تحديد نوع الأسلوب في اللغة العربية ، و كانت عينة الدراسة من القرآن الكريم و قراءاته المختلفة مع أداءات متنوعة حسب الطريقة التالية :

تم تسجيل الآيات القرآنية بأداءات مختلفة للأساليب : خبر واستفهام وأمر و تعجب ...الخ باتباع المراحل التالية :

- تسجيل الآيات القرآنية بقراءاتها المختلفة على شريط سمعي باستخدام تقنيات التسجيل المختصة لتصفية الصوت من التشويش داخل مركز متخصص للتسجيلات .
- للحصول على الأداءات المختلفة للأساليب تمّ التّمرن والتدرب على هذه الأداءات مرارا من قبل عدّة أشخاص ، وفي النهاية تمّ اختيار نموذجين هما : أداء الطالب الباحث و أستاذ متخصص في اللغة العربية .
- تمّ تحويل التسجيل من الشريط السمعي إلى قرص ليّن سمعي (Cd Rom Audio) لاستخدامه في جهاز الإعلام الآلي (الكومبيوتر) .
- تحويل التسجيل المسموع في القرص الليّن (Cd Rom Audio) إلى نوع خاص يدعى (Mode Wave) للتّمكّن من استعماله في البرنامج المعد خصيصا للتحليل الصوتي (المحلل الصوتي speech analyser) التي يعطينا الصورة المرئية (الموجة الصوتية ، المنحنى البياني ، الطيف...إلخ) إنطلاقا من الصورة الصوتية .

شملت الدراسة التعريف بالمحلل الصوتي (speech analyser) أولا ، ثم الأمثلة التطبيقية ثانيا .

أولا: نبذة عن البرنامج التطبيقي محلل الصوت(SPEECH ANALYSEUR)[1]

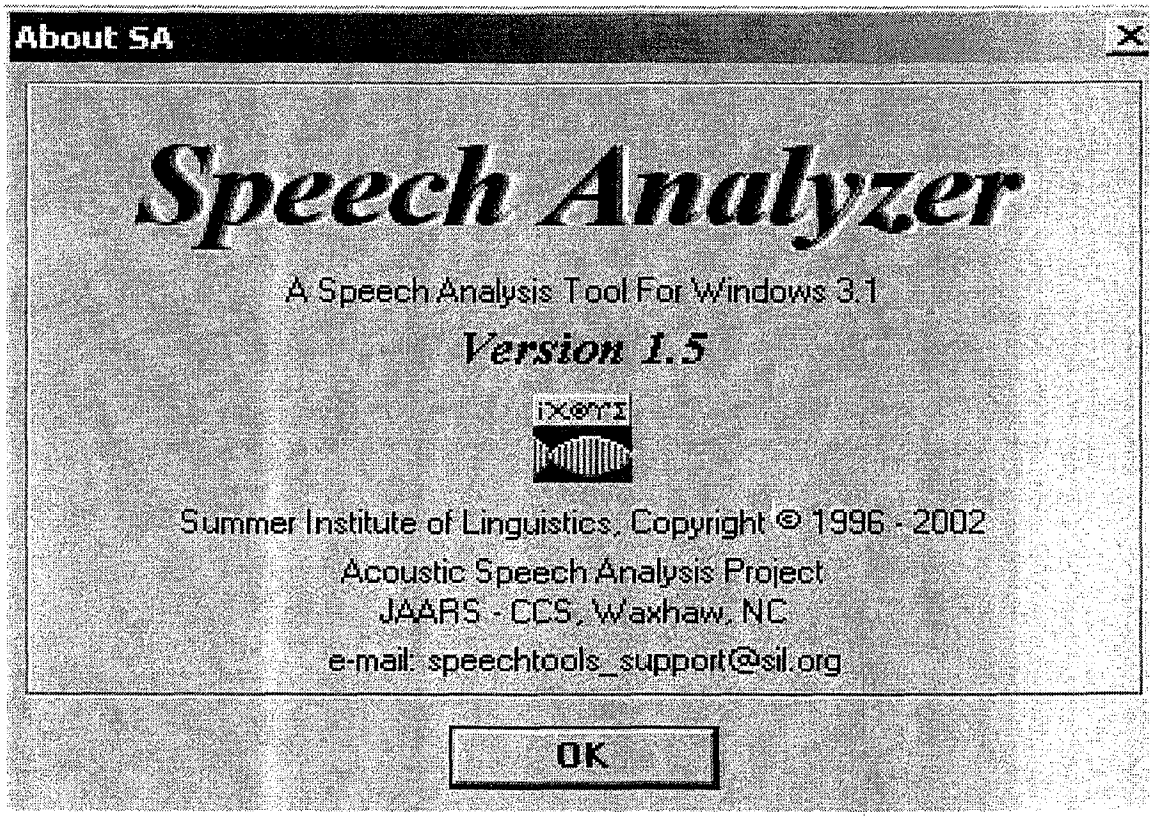

صورة عن واجهة البرنامج المعتمد في الدراسة التطبيقية.

[1]- هذه ترجمة خاصة حاولت فيها إبراز خصائص البرنامج المستعمل في هذه الدراسة التطبيقية.بالاستعانة بأهل الاختصاص ، وأصرّح بوجود صعوبة كبيرة في ذلك لأن اللغة الأصلية المستعملة في التعريف بالبرنامج لغة عالية التقنية مما اضطرّنا إلى الإبقاء على بعض المصطلحات كما هي .

- محلل الصوت (الكلام) (SPEECH ANALYSEUR) واحد من برامج نظام التشغيل نوافذ windows ويعتبر مكوّنا لأدوات الصوتية.

محلل الصوت (الكلام) موجه لمساعدة العاملين أو الملتزمين بتحليل الصوت (الكلام), وهو نافع لتحليل اللغات النغمية (التي فيها نغمة) ، يمكنه التدخل كقاعدة وحيدة (STAND ALONE) أو اعتمادا على المسيّر الناطق (SPEECH MANAGER) و هو ملف يعتمد على معطيات صوتية.

كما توجد أداة أخرى من أدوات الكلام هي: IPA HELP الذي يعني مساعد الأبجدية الصوتية العالمية والذي يزود بدوره بمساعدتين هما , " ON LINE CHORT"وهي الجداول البيانية أو الرسوم البيانية ، والملفات الصوتية المرافقة لصفات ومميزات (IPA) .

إذا انتاب اللغوي (Linguist) الشك و لم يتأكد من كيفية وصف صوت ما وتكييفه يمكنه أن ينقر على الاختيارات المحتملة للحصول على الصوت المرجع أو المحتمل والإنصات إليه من أجل اختيار حسن للمميزات المناسبة لتمثيل ذلك الصوت. النظام متوفر على مجموعة خاصة من الأصوات الكلامية المنطوقة , الشيء الذي يمكن استعماله بدليل الإنسان المساعد (WITH KEY MAN) قصد وصف وتكييف الأصوات بطريقة سريعة .

يمكن نقل المعطيات أو تحويلها إلى حامل الصندوق (Shoe Box) أو إلى (EXCEL) ، وأنماط أخرى من التحويلات يمكن تضمينها على شكل XML أو أو جداول بدلالة الزمن (TIME TABLE).

كما يمكن إصدار معلومات التحليل الموسيقي كأنصاف ملفات أحادية الأصوات أو على شكل إشارات أو رموز ضمن ملف النصوص ، وإعطاء معلومات أو معطيات الشرح والتعليق (MiDi) ، والمعلومات النصية وهي مشتركة مع التحليل الموسيقي قابلة للتعبير عنها وشرح معناها ، ولتسهيل العملية أُدْرِجت دراسة صوتية في برنامج خاص من أجل تحويل ملف CECIL القديم إلى ملفات Wav الجديدة في نظام النوافذ (windows) .

يحتوي **محلل الصوت (الكلام)** (SPEECH ANALYSEUR) على عدة أجزاء مختلفة التطبيق نذكرها موجزة في ما يأتي:

- المساعد (المعين) على العمل (ON LINE HELP)

ت. يحتوي المساعد (المعين) على العمل (ON LINE HELP) على تطبيقين هما :

1- مشرف المحلل الصوتي (SA Tutor) .

2- مشرف إضافي للمسيّر الناطق (SM Tutor)

يساهم (ON LINE HELP) في البحث في نبرات الصوت اللفظية ، ودليل لعلم الأصوات أو السمعيات ويتضمن بيانات وملفات الأصوات ، وكثير من الرسومات البيانية لتمثيل الأصوات الكلامية ، يمكن الوصول إليها كلها من خلال قائمة المساعدة (HELP MENU).

إضافة إلى هذا يحوي العديد من الخصائص منها :

- ضبط المتغيرات التي يمكن أن لا توجد داخل نظام المشرف SA أو SM ويمكن العثور عليها ضمن المحتويات التي هي واحدة من مميزات قائمة المساعدة (HELP MENU). وهذه طريقة جيدة للبحث في مختلف مزايا وخصائص المحلل الصوتي (SA) .

* عرض ملفات WAV ونسخ أو وصف الأبجدية الصوتية العالمية – DISPLAY OF WAV FILES AND IPA TRANSCRIPTION

يمكن لـــ المحلل الصوتي SA أن يعرض ملف الكلام برفقة إمداد Wav ومزوّد بطريقة تسمح له بإضافة النسخ أو وصف الترتيب الحالي للأبجدية الصوتية العالمية IPA إلى الشكل التموجي للكلام باستعمال نسخة الأبجدية الصوتية العالمية IPA لسنة 1996 .كما يوجد دعم لإضافة علم اللفظ الحالي : إملاء ونصوص مشروحة أو نصوص بهوامش للشرح والتحليل .

تتم حماية نسخ IPA TRANSCRIPTION والنصوص داخل تركيبة أو بنية RiFF الموجودة . بملف wav والتي لا تتدخل بمجرد التشغيل العادي لملف wav المتواجد ب WINDOWS ، هذا يعني أنه يمكن للملف أن يُعْرَض من خلال أي برنامج ضمن WINDOWS . من دون أي مشكل أو عائق ، بينما ملفات wav التي تم تحريرها عن طريق المحلل الصوتي (SA) ، لا تستعمل إلاّ للقراءة (CAN BE READ ONLY) ، وهذا من أجل وقاية المعطيات الصوتية وحمايتها من التغيير الذي قد يحدثه عليها محرر الأشكال المتموجة (WAV FORMEDITORS) عندما تتم عملية إضافة مميزات الأبجدية الصوتية العالمية IPA إلى الملف .

يمكن عرض نتائج التحليل من خلال ستة نسخ مختلفة عن طريق نظام النوافذ WINDOWS ، كل واحدة من هذه النسخ تسمح للمستعمل أن يعرض واحد من الأنماط التالية :

1- WAVEFORME (شكل الموجة) .

2- MAGNITUDE (الحجم).

3- PITCH (درجة التموج) .

4- ZERO CROSSING. (عدم وجود علامة X)

5- SPECTROGRAM (الطيف أو الشبح)

6- FORMANTS IPA CHARTS (مكون الأبجدية الصوتي العالمي)

* محلل درجة التموج (ANALYZING PITCH) نقدي وجد حاسم لفهم اللغات النغمية .

يمكن لمحلل الصوت (SPEECH ANALYSEUR) أن يعرض صور طيفية من خلال سلم التدرج الرمادي أو من خلال 256 لون WITH FORMANTS OVER LAID.

ويوجد لائحة للعرض (STATUS BAR)

أ = تعرض مضمون المعنى للمعطيات الواردة من خلال النسخ (GRAPHS) متضمنة الدرجة بالهرتز (PITCH IN HERTZ) أو أنصاف نغم أو أنصاف نبرات .

ب = كما تعرض بالثواني الزمن الكائن بين كل صوت ، والزمن الكلي للعملية .

يمكن للنسخ (Graphs) أن تطبع (INPRIMER) وتُدرج ضمن المراجع من خلال الصفات المميزة الملف المراجع .

هناك تدعيم من أجل إيجاد أو إحداث قرص للتعامل مع مدة التسجيلات قصد تخفيض السرعة أو رفعها أثناء إعادة تشغيل ملف الكلام (SPEECH FILE)

* المحلل الموسيقي (MUSIC ANALYSIS)

التحليل الموسيقي خاصية جديدة تبدأ بـ Release 12 (تحرير).

يمكّن من تحليل أشكال أو نماذج الوزن أو الإيقاع ، إضافة إلى طبقات الصوت ، ونغماته وتموجاته وترجحاته ، متضمنا أنصاف مسطحات ، أو أنصاف تموجات ، وتحدبات .

ث. المحلل الموسيقي به مدرج موسيقي مزود بإمكانات (قدرات) **MiDi** لوصف الموسيقى وإعادة بثها (**Play Back**) في أكثر من **100** صوت إذا رغبت في ذلك.

ج. ولشرح النسخ (**Graphs**) الناتجة عن تحليل الموسيقي تمّ تزويد نظام النوافذ

ح. (**WINDOWS**) بجمل متسلسلة للتعليق على النتائج البادية على النسخ

خ. (**Graphs**).

كما يمكن للمحلل الصوتي (SA) أن يحول التسجيلات إلى رموز كتابية على (Staff Graphs) .

* **تعديل وتسديد الموجات ، أو التعديل والتسديد عن طريق الموجات**

W.w wave warping :

ميزة أخرى بصدد المعالجة والتطوير تسمح للغوي Linguist بضبط :

- مدى الصوت ومقداره (Magnitude).
- الدوام أو المدة (DURATION).
- الدرجة (Pitch).

و إلى أن يلاحظ المتكلم الأصلي (NATURE SPEAKER) للغة أن لـــها معنى أو يلاحظ بأن الـــمعنى قـــد تغير و من خلال هذا نكـــتشف ضوابط أو حدود الصوتيات أي (PHONETICS LIMITS).

* بعد هذه النبذة عن المحلل الصوتي (SPEECH ANALYSEUR) نقدم عينة من صورة تبين كيفية استعمال البرنامج والوظائف التي يؤديها ومنها :

إظهار الطيف ، والمنحنى ، وكذلك الخطان العموديان للتمكن من تحديد بداية المنطوق ونهايته ، مع إبراز ذبذبته ، والتناوب ، والدورات التي تحدث ، والزمن الذي يستغرقه الصوت ...الخ

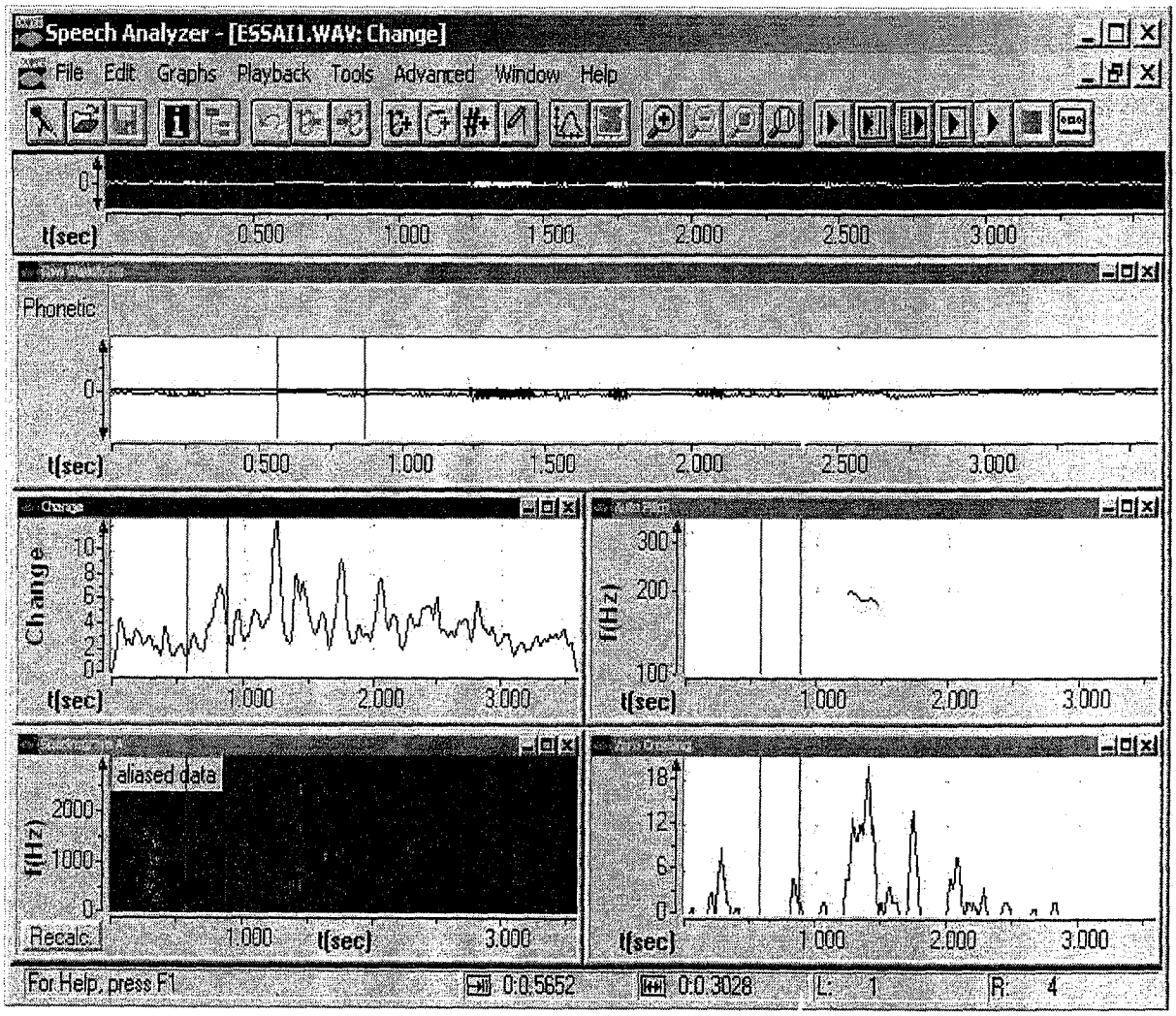

نلاحظ في الصورة الأصلية للأشكال الناتجة عن التحليل أن المعطيات عن المعلم المتعامد والبيانات كُتبَت من اليسار إلى اليمين وباللغة الأجنبية (الإنجليزية) ، وحرصا منّي – وأنا أتعامل مع الحرف العربي والقرآن الكريم بقراءاته المختلفة – اضطررت إلى العمل على تغيير النمط من اليمين إلى اليسار لأنّه يستحيل أن أكتب الآية القرآنية على غير هذا النسق ،فكان الجهد مضنيا لتعدد الأشكال

وإعادة كتابة البيانات من رموز وأرقام ، مع كتابة الآية القرآنية تبعا للتقطيع الوارد في كل شكل من الأشكال موضوع الدراسة .

ثانيا : الدراسة التطبيقية لأداء أساليب القرآن وقراءاته

إن كل صورة من الصور الآتية دراستها تتشكل من ثلاث أجزاء[1] :

1 – يمثل الجزء الأعلى صورة صوتية للآية القرآنية بأسلوب معين بدلالة الزمن ز (ثا) بكيفية مكثفة وهو عرض مبسط للموجة الصوتية .

2 – ويمثل الجزء الثاني المنحى البياني الصوتي للآية القرآنية بالأسلوب ذاته مبرزا درجة التغيرات على المستوى العمودي والمشار إليه (تغيرات) وهو التردد الأساس ، ودلالة الزمن على المستوى الأفقي بالثانية (ثا) .

3 – أما الجزء الثالث فيمثل الصورة الطيفية أو الشبحية لصوت الآية بالأسلوب ذاته على معلم متعامد ، يظهر العمودي منه تغيرات التردد بوحدة الهرتز (Hz) والأفقي الزمن بالثانية [2].

---

[1] – يرى محمود فهمي حجازي : أنه بظهور علم اللغة الحاسوبي فُتح مجال كبير لبحوث في اللغة من جوانب مختلفة وبوسائل متقدّمة من اجل تقديم حقائق علمية جديدة ومن أجل قضايا الواقع اللغوي وآفاق المستقبل.
ينظر: محمود فهمي حجازي –علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة – القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر – ط.2 –1995- ص:93،و94.

[2] – ينظر: منصور بن محمد الغامدي – الصوتيات العربية – السعودية – الرياض- مكتبة التوبة –ط .1- 1421-2001م – ص :136و 137 .و مرفت محمد أحمد فشل – الغنة في حالة إدغام النون في الياء والواو في تلاوة القرآن الكريم " دراسة تجريبية " مقال بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية – جامعة الكويت – العدد الخامس والستون – السنة الرابعة عشر – سنة 1999م ص: 57 وما بعدها .و

-PATRICE BELLOT ET MARC EL .BEZE – CLASSIFICATION ET SEGMENTATION DE TEXES PAR ARBRES DE DECISION (RVEU TECHNIQUE ET SCIENCE INFORMATIQUE TRAITEMENT AUTOMATIQUE DU LANGAGE NATUREL . VOLUME 20 - N° = 3/2001- P .404

دراسة الأمثلة التطبيقية :

إن كل صورة من الصور الآتية دراستها تتشكل من ثلاث أجزاء[1] :

1 – يمثل الجزء الأعلى صورة صوتية للآية القرآنية بأسلوب معين بدلالة الزمن ز (ثا) بكيفية مكثفة وهو عرض مبسط للموجة الصوتية .

2 – ويمثل الجزء الثاني المنحى البياني الصوتي للآية القرآنية بالأسلوب ذاته مبرزا درجة التغيرات على المستوى العمودي والمشار إليه (تغيرات) وهو التردد الأساس ، ودلالة الزمن على المستوى الأفقي بالثانية (ثا) .

3 – أما الجزء الثالث فيمثل الصورة الطيفية أو الشبحية لصوت الآية بالأسلوب ذاته على معلم متعامد ، يظهر العمودي منه تغيرات التردد بوحدة الهرتز (Hz) والأفقي الزمن بالثانية [2].

---

[1] – يرى محمود فهمي حجازي : أنه بظهور علم اللغة الحاسوبي فُتح مجال كبير لبحوث في اللغة من جوانب مختلفة وبوسائل متقدّمة من اجل تقديم حقائق علمية جديدة ومن أجل قضايا الواقع اللغوي وآفاق المستقبل.
ينظر: محمود فهمي حجازي –علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة – القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر – ط.2 –1995- ص:93،و94.

[2] – ينظر: منصور بن محمد الغامدي – الصوتيات العربية – السعودية – الرياض- مكتبة التوبة –ط .1- 1421-2001م – ص :136و 137 .و مرفت محمد أحمد فشل – الغنة في حالة إدغام النون في الياء والواو في تلاوة القرآن الكريم " دراسة تجريبية " مقال بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية – جامعة الكويت – العدد الخامس والستون – السنة الرابعة عشر – سنة 1999م ص: 57 وما بعدها .و

-PATRICE BELLOT ET MARC EL .BEZE – CLASSIFICATION ET SEGMENTATION DE TEXES PAR ARBRES DE DECISION (RVEU TECHNIQUE ET SCIENCE INFORMATIQUE TRAITEMENT AUTOMATIQUE DU LANGAGE NATUREL . VOLUME 20 - N° = 3/2001- P .404

أولا :

قال تعالى : ﴿ إنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى . . . ﴾ [1]

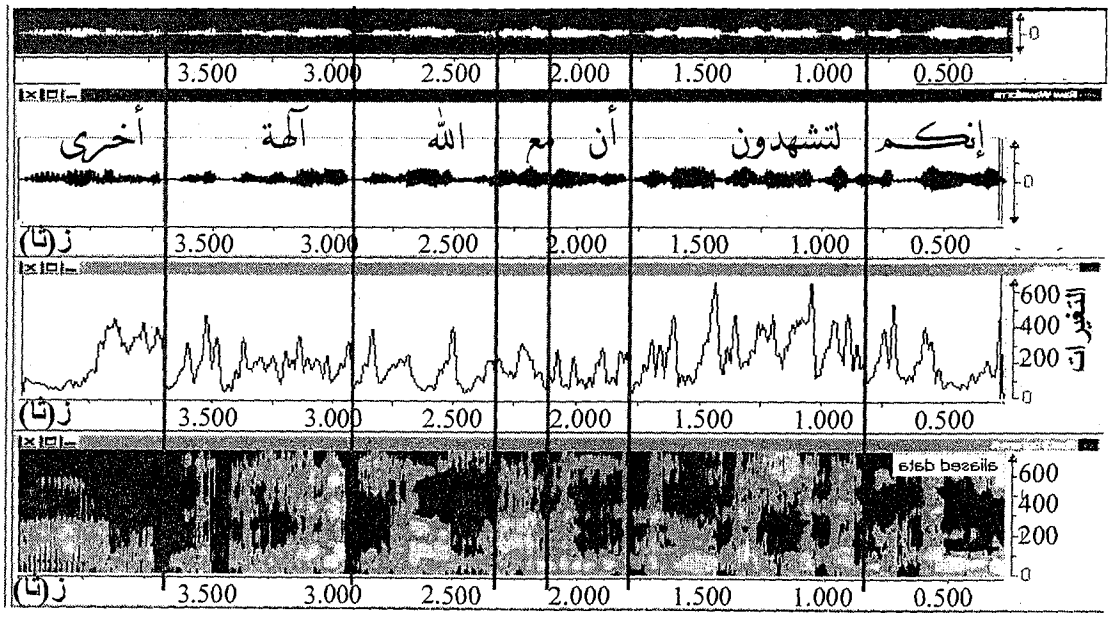

(شكل 1- أ)

[1] سبقت الإشارة إلى هذه القراءة القرآنية ، ينظر : ابن الجزري – النشر في القراءات العشر – ج:1- ص: 370.

أ – الأداء في الأسلوب الخبري : (شكل 1– أ)

(1)

هي دراسة وصفية للثابت في الأسلوب الخبري لاعتباره مرجعا ، وبالتالي فهو موضوع التقابل مع باقي الأساليب والأداءات لتحديد التباينات من الواقع اللغوي في الأسلوب الخبري والواقع اللغوي في الأساليب والأداءات المختلفة الأخرى كما ستُبيِّنه الأشكال فيما يأتي :

- وقد أمكننا تسجيل التعليقات الآتية على هذا الأداء .

إن الزمن المستغرق لقراءة الآية القرآنية بصيغة الخبر هو 4 ثواني (400 ميلي ثانية) – وإن أعلى مستوى لدرجة التغييرات وقع في الكلمة الثانية من الآية – لتشهدون – إذ بلغت دورتها 680 وحدة ، عند اللحظة 0.80 ثا (800 ميلي ثانية) ويمكن كتابة ذلك حسب الزوج المرتب بدلالة الزمن والتغييرات ، والذي نرمز له (ز ، و) وباستعمال الوحدات (ثانية ، وحدة) ورمزهما (ثا ، و) ، (0.80 ثا ، 680 و) على المعلم المتعامد كما في الشكل أدناه .

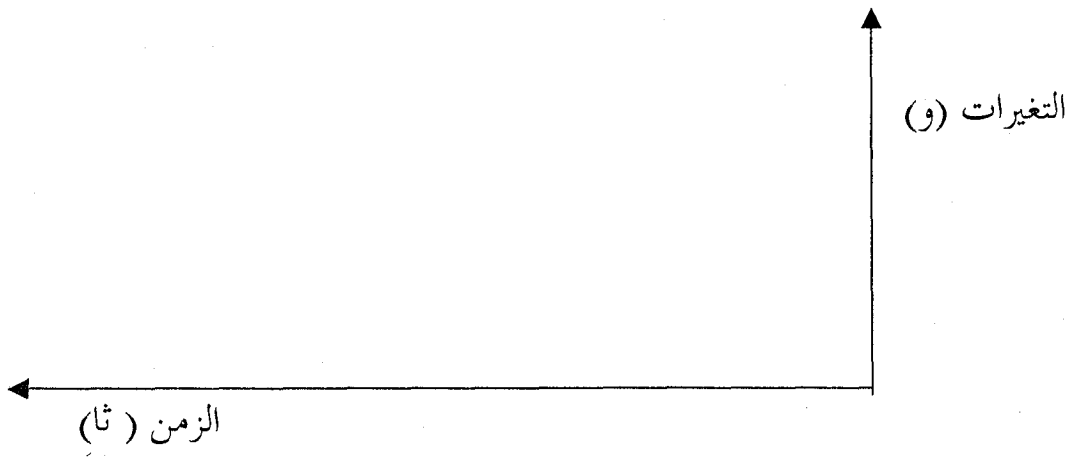

شكل المعلم المتعامد (التغيرات بدلالة الزمن)

نلاحظ وقوع صعود في درجة التغييرات في بداية الآية القرآنية خصوصا في الكلمتين (إنكم) ، و(لتشهدون) ، إذ سجلت أعلى قمة في التغييرات (680

وحدة) في اللحظة – (0.80 ثا) ، و (540 وحدة) في اللحظة الزمنية 0.480 ثا) أي (0.480ثا ، 540 و) ولعل مرد ذلك إلى وجود النبر في إنكم . والتوكيد في لام لتشهدون .

وهذا ما يظهر جليا في الصورة الطيفية (الشبحية) بشكل كثيف[1] .

أما آخر كلمة في الآية فظهر فيها صعود ثم نزول في درجة التغير وانتهت بمستوى ثابت تقريبا ، إذ كان أعلى مستوى للتغييرات هو (440 وحدة) في اللحظة 3.65 ثا . (3.65 ثا ، 440 و) وأن أقل مستوى كان عند اللحظة 4 ثا ، وبلغ 40 و ، (4ثا 40و)

والخلاصة أن أداء الآية فيه صعود في البداية ثم انخفاض تدريجي مع القرب من النهاية وهذا يفسر ما ذُكر من أنّ أسلوب الخبر يأخذ المستوى الثابت ، إذ يبدأ التردد الأساسي منخفضا نسبيا ثمّ يزداد في منتصف الجملة ليصل إلى أقل مستوى (انخفاض) بنهاية الجملة[2]. يُسمَّى هذا الأداء بالنغمة الهابطة (Falling Tone) وسُمِّيت كذلك للاتصافها بالهبوط في نهايتها على الرغم مما قد تنتظمه من

---

[1] – ينظر: عصام نورالدين – علم الأصوات اللغوية – الفونيتيكا – لبنان – بيروت – دار الفكر اللبناني – ط .1 – 1992م – ص : 123 ، و 124 – 143 ، ومحمد صالح الضالع – التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية – القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – ط .1 – 2002 – ص: 60 وما بعدها .

[2] – وهذا ما أشار إليه كل من . F.DANON Boileau et Morel

ينظر : ومنصور الغامدي– الصوتيات العربية – ص :135،و

MARIE .NOIELLE GARY – PRIEUR LES TERMES CLES : 47 ET 48 DE LA NGUISTIQUE P

- PHILIPPE DELSARTE ET ANDRE THAYSE – LOGIQUE.POUR LE TRAINTEMENT DE LA LANGUE NATURELLE – PARIS – : 124ET 125. HERMES SEIENCE PUBLICATIONS – 2001-P

-GENEVIEVE JOLY –FICHES DE PHONETIQUE – PARIS- ARMAND COLIN EDITEUR – 1999 – P : 204,ET 205

تلوينات جزئية داخلية ، وتظهر الجمل التقريرية ونعني به تلك الجمل التامّة ذات المعنى الكامل غير المعلّق[1] .

[1] - كمال بشر – علم الأصوات- القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (طبعة جديدة ومنقّحة)- د.ط –2000م- ص:534،و535.

ب – الأداء في الأسلوب الإنشائي (الاستفهام) : (شكل 1– ب)

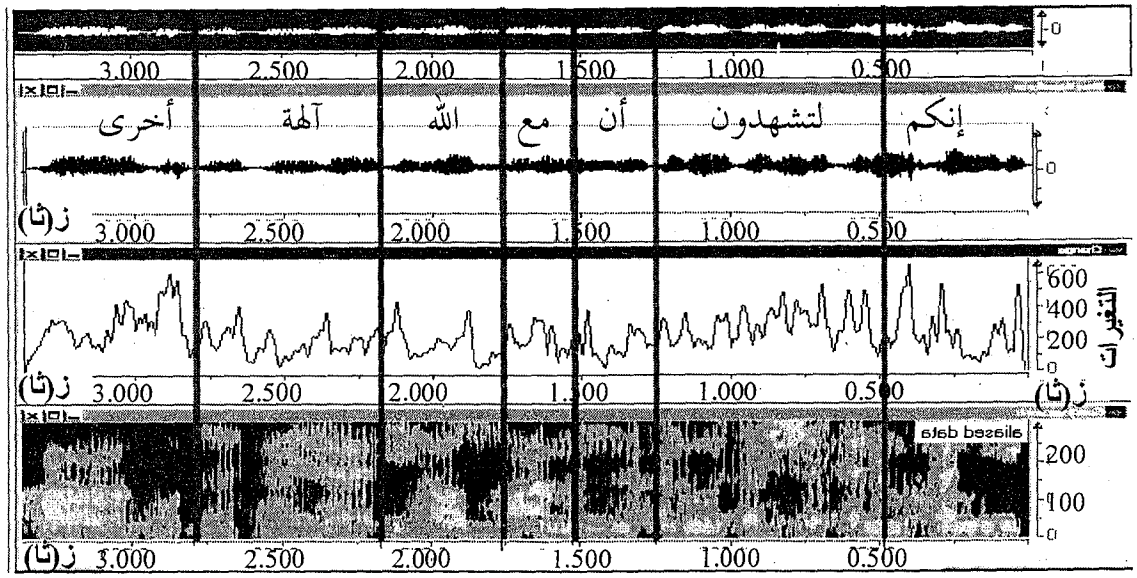

(شكل 1– ب)

ب – الأداء في الأسلوب الإنشائي (الاستفهام) : (شكل 1– ب)

إن الزمن الكلي للأداء في الاستفهام نقص قليلا عن سابقه حيث تم تسجيل 3.60ثا بفارق 0.4ثا ، وأن أعلى درجة تغير هي 680وحدة وهذا يعني أنها تساوت مع سابقتها غير أن التباين حدث في الكلمات ، ففي الخبر كان في الكلمة الثانية (لتشهدون) في اللحظة 0.80 (680،0.80و) وفي الاستفهام وقع في الكلمة الأولى (إنكم) في اللحظة 0.425ثا (0.425ثا،680و) .

إن الفرق بين الشكلين أ و ب واضح في نقاط ثلاث في الكلمة الأولى (إنكم) من حيث الزمن ودرجة التغير ، إذا بدأ التردد في الصعود واضحا في الاستفهام ، ثم في الكلمة الثانية (لتشهدون) حدث انخفاض في وحدة التغير في الاستفهام ، وفي الكلمة الأخيرة(أخرى) عاد في الارتفاع إذ بلغ 610 وحدة ، و حافظ على ذلك إلى قرب نهاية الجملة ، و الجزء الثالث (الصورة الطيفية الشبحية) للاستفهام تبرز ذلك – في بدايتها و نهايتها – و هذا ما يفسر التباين الحاصل في الأداءين ، " إن جملة الاستفهام تنتهي بارتفاع ملحوظ للتردد الأساس ،" وهي ما يُطْلق عليه النغمة الصاعدة ، وسُمِّيَت كذلك لصعودها في نهايتها بالرغم من تنوع أمثلتها الداخلية الجزئية ومن تطبيقاتها الجمل الاستفهامية التي تستوجب الإجابة بلا أو نعم ..."[1]

و يظهر الفرق فيه كذلك على مستوى الكلمة فالمقطع الأول غالبا ما يكون تردده الأساس أعلى منه في القطع الثاني [12] و هذا ما حدث في الشكل ب .

---

[1] – ينظر : المرجع نفسه –ص: 537.

[2] - MARIE PRIEUR- les termes clés de la linaguistique p – 48

و منصور الغامدي – الصوتيات العربية – ص : 135 .

[3]– كمال بشر – علم الأصوات – ص: 538.

ج- الأداء في أسلوب التعجب : (شكل 1- ج)

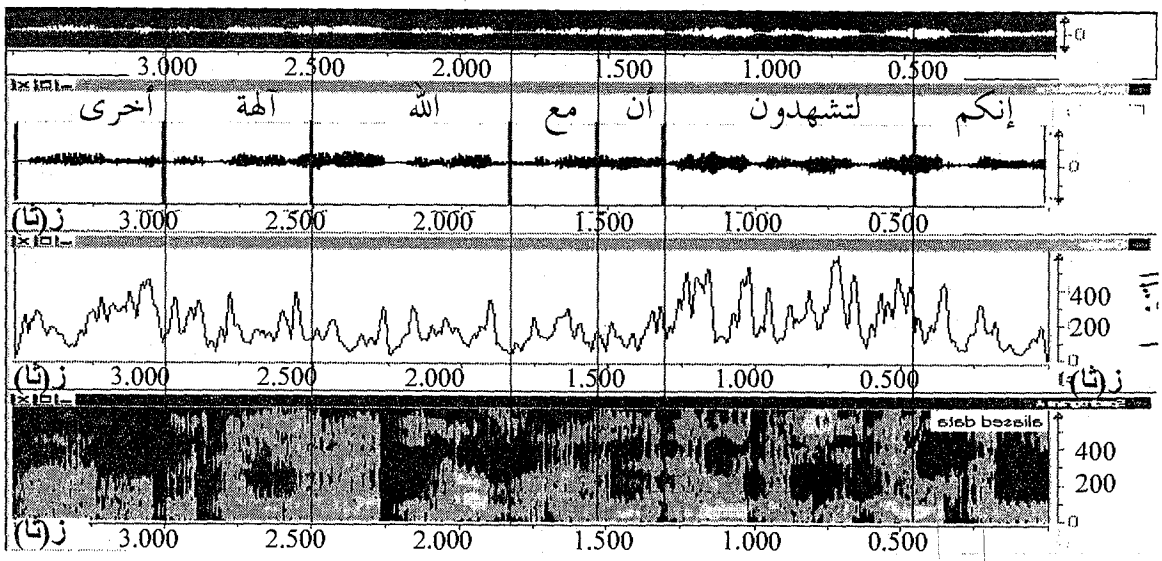

(شكل 1- ج)

ج- **الأداء في أسلوب التعجب : (شكل 1- ج)**

الزمن الكلي للأداء في صيغة التعجب هي 350 ثا و هو أقل وقت سجل في الأداءات الثلاثة ، وأن قمّة التغير بقيت في الكلمة الثانية بدرجة 640 وحدة ، مشابهة للشكل أ (الأداء الخبري) ، وحدث تغير في زمن الكلمة (أنّ) ولعل مردّه إلى سرعة الأداء في النبر ، ونشاهد تباينا واضحا في الكلمة الأخيرة إذ فيها صعود جلي في البداية ثم انخفاض وكأنه يجمع بين مميزات الأداء الخبري في نهايته و الأداء الاستفهامي في بدايته ، وهذا ما أشار إليه كمال بشر بقوله: "قد تظهر النغمنان الصاعدة والهابطة معا في منطوق واحد "[1].

1- ينظر : كمال بشر – علم الأصوات – ص : 453

ثانيا :

قال تعالى : ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [1].

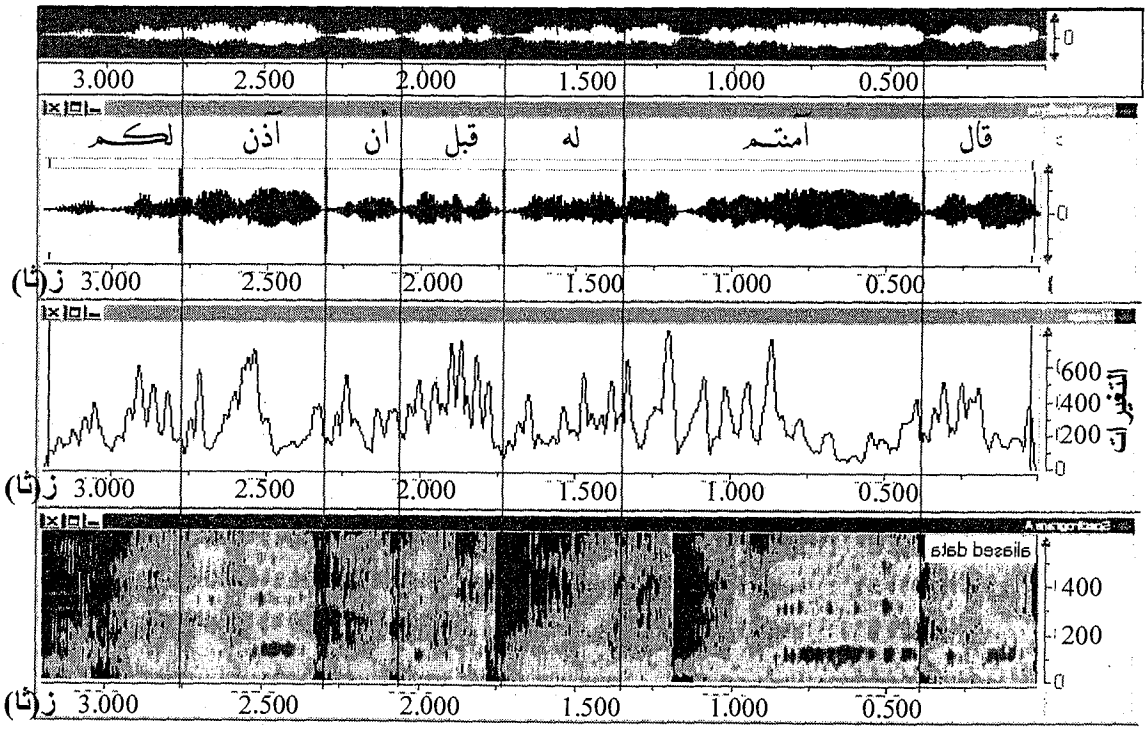

[1]- سورة الشعراء من الآية 49

أ- الأداء في أسلوب الخبر : (شكل 2- أ)

إن زمن الأداء في هذا الأسلوب هو : 3.410 ثا ، وأن أعلى قمة للتغيرات حدثت في الكلمة الثانية (آمنتم) وبلغت 800 وحدة ، عند اللحظة 1.208 ثا

(1.208 ثا ، 800و) وهي سعة الذبذبة ، وسُجِّل أدنى تغير عند اللحظة 0.6248 ثا ومقداره 40 وحدة ، (0.6248 ثا ، 40 وحدة) ، ونشاهد على طول الموجة الصوتية ما يأتي :

صعود خفيف في بداية الكلمة الأولى (قال) ثم بداية انخفاض في الكلمة الثانية إلى أن تصل إلى سعة الذبذبة الزمنية (40 وحدة) ثم يتواصل الصعود إلى أعلى قمة في الكلمة نفسها (800) ، ويضاهيه في الارتفاع ما حدث في الكلمة الرابعة (قبل) ، ثم يعود المنحنى إلى الانخفاض في نهاية الآية (الجملة) .

وهذا ما يبين أن الأسلوب الخبري في عمومه يأخذ المستوى الثابت إذ يبدأ التردد الأساس في الانخفاض تدريجيا ليصل إلى أقل انخفاض بنهاية الجملة[2] .

---

[2] - منصور الغامدي – الصوتيات العربية . ص : 135 ، و

MARIE PRIEUR – Les termes clés de la linguistique- P : 48

ب – الأداء في الأسلوب الإنشائي (الاستفهام) : (شكل 2– ب)

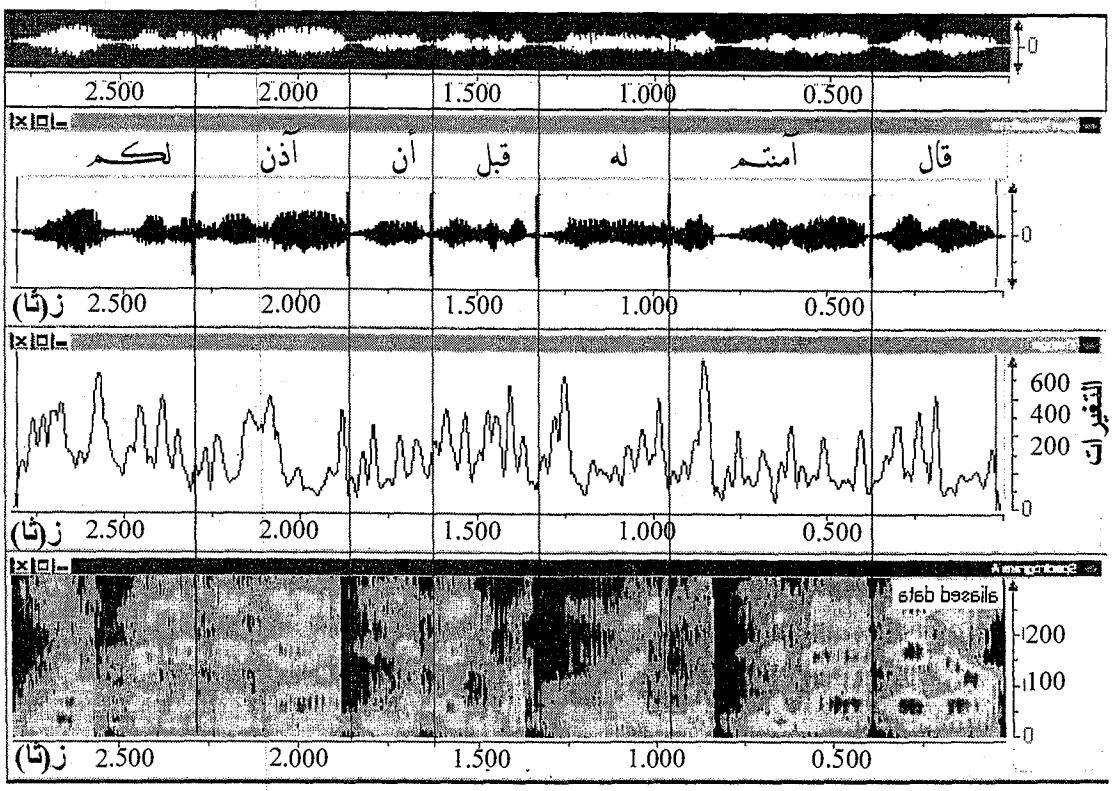

(شكل 2– ب)

ب – الأداء في الأسلوب الإنشائي (الاستفهام) : (شكل 2– ب)

نلاحظ تقلصا في مدة الأداء في الأسلوب الاستفهامي 3,00 ثا بالمقارنة مع الأداء في الأسلوب الخبري – المرجع – ، وأن أعلى قمة (سعة الذبذبة) بقيت في الكلمة الثانية من جملة الآية القرآنية (آمنتم) كما هي : 800 وحدة في اللحظة الزمنية 0.8748ثا ، (0.8748 ثا ، 800و) ، وأن أخفض تغير للذبذبة هو 40 وحدة عند اللحظة0.6872 ثا ،(0.6872 ثا ، 40 و).

إن التباين واضح بين الأداءين في الكلمة الثانية آمنتم ، إذ فيها صعود في الأول ونوع من الثبات في الثاني ، وفي الكلمة الأخيرة تراه ينتهي بالتصاعد مقارنة بسابقه ، وهذا ما يميّز الأسلوب الاستفهامي إذ ينتهي تردده الأساسي بارتفاع ملحوظ[1]

[1]– المرجعان السابقان والصفحتان

ثالثا :

قال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ [1]

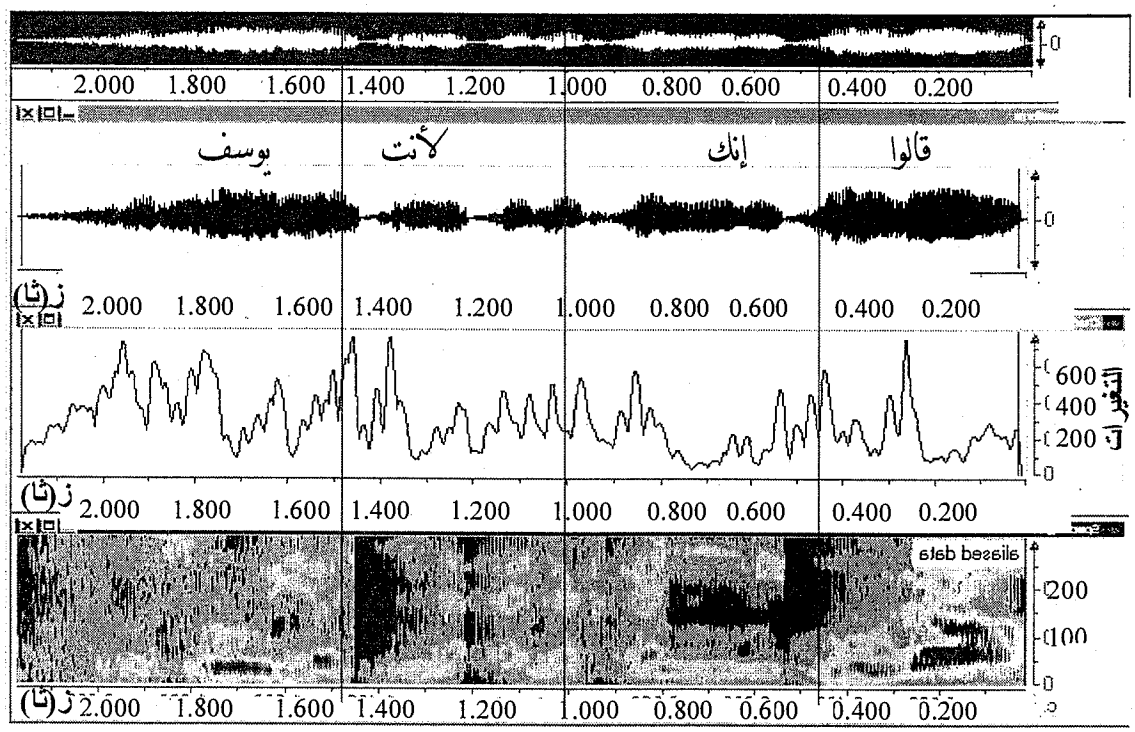

(شكل 3- أ)

[1] – سورة يوسف الآية 89 وهي قراءة ابن كثير وأبي جعفر وقد سبق تخريجها ، ينظر : ابن الجزري- النشر – ج:1-ص:272.

أ- الأداء في الأسلوب الخبري : (شكل 3- أ)

إن زمن الأداء الكلي هو : 2.180 ثا ، وأن أعلى قمة للتغييرات (سعة الذبذبة) هي 800وحدة ووقعت في الكلمة الثالثة (لأنت) عند اللحظة 1.460ثا ، (1.460ثا ، 800 وحدة) ، وأن أدنى تغيّر هو : 40وحدة وحدث في الزمن : 0.745ثا . (0.745 ثا ، 40 و) .

إن التغييرات الحادثة في هذا الأداء تبدأ منخفظة تم تصاعدت ثم هبطت إلى أدنى درجة لها في الكلمة الثانية (إنك) عند اللحظة (0.745ثا) ثم عادت للارتفاع ووصلت ذروتها في الكلمة الموالية في درجة 800 وحدة ، ثم عاد المنحنى للانخفاض تدريجيا مع نهاية الجملة ، وكأنه ينتهي مثلما بدأ تقريبا .

ب – الأداء في الأسلوب الاستفهامي : (شكل 3– ب)

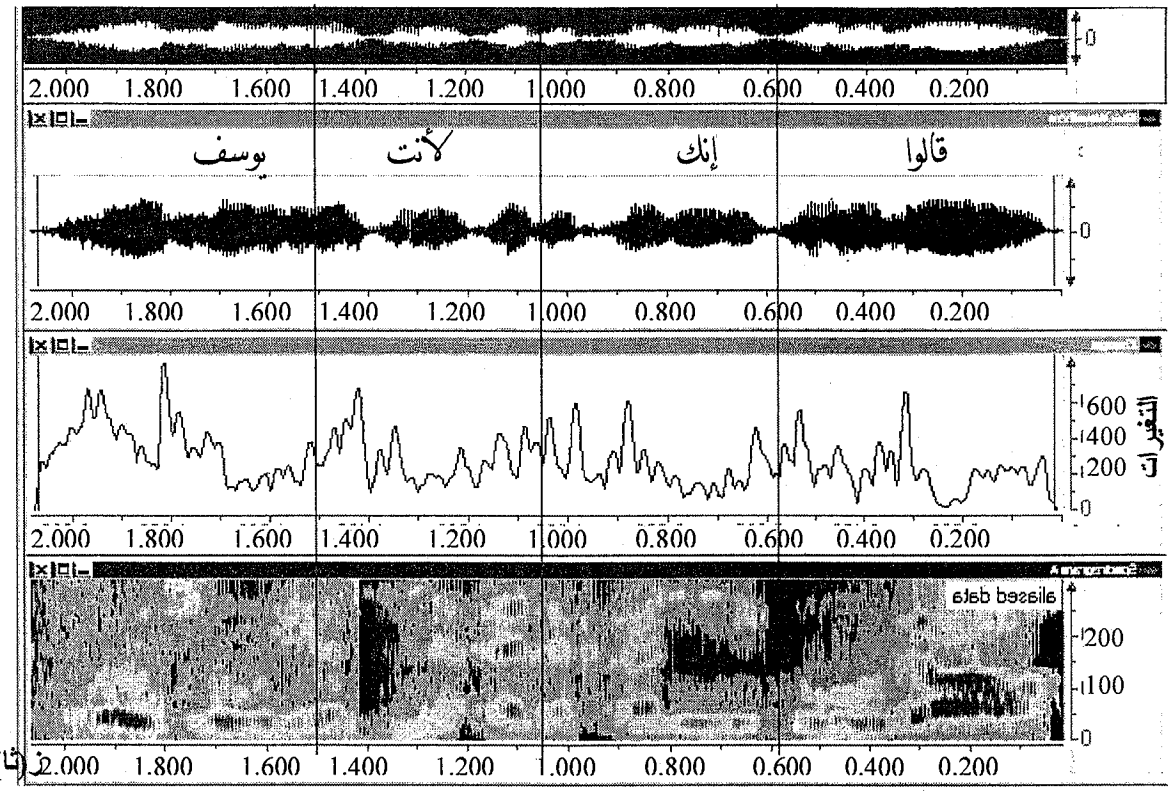

(شكل 3– ب)

ب – الأداء في الأسلوب الاستفهامي : (شكل 3– ب)

يمكننا – بعد مقارنة أداء هذا الأسلوب بسابقه(المرجع)– تسجيل الملاحظات التالية :

1. تراجع في مدة الأداء إذ بلغت 2.070ثا ، وأن أعلى قمة (سعة الذبذبة) حدثت في الكلمة الأخيرة عكس سابقتها وكانت ذروتها 840وحدة بزيادة طفيفة عند اللحظة 1.815ثا ، (1.815ثا ، 840و) ، وأن أدنى تغير كان 20 وحدة عند اللحظة 0.245ثا ، في الكلمة الأولى (0.245ثا ، 20و).

إن المنحنى البياني للاستفهام بدأ منخفضا وتوالى في الارتفاع والصعود حتى بلغ ذروته في الكلمة الأخيرة وانتهى بارتفاع واضح (ينظر : الموجة الصوتية المكثفة في الشكل 3 – ب) .

وهذا ما يفسر بوضوح كون الأداء في الاستفهام يحتاج إلى نبرة صوتية عالية تميزه عن غيره من الأساليب .

رابعا :

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [1]

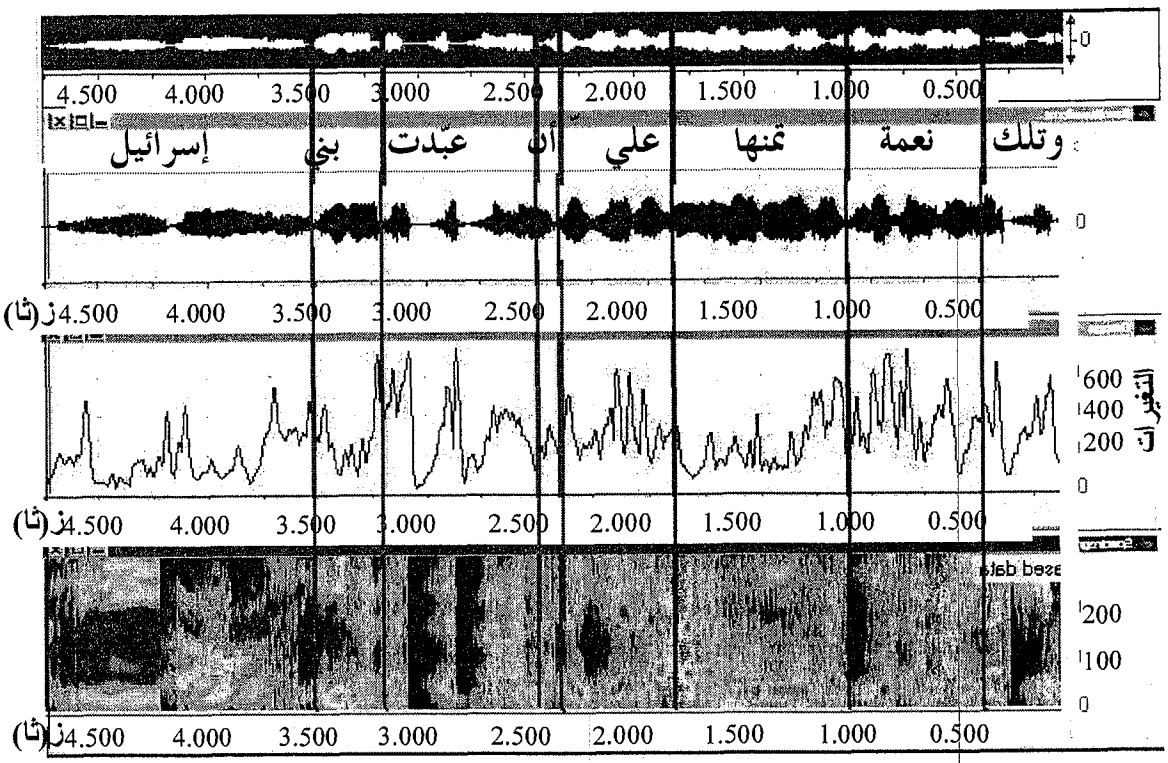

(شكل 4- أ)

[1] - سورة الشعراء الآية 22.

أ- الأداء في الأسلوب الخبري : (شكل 4- أ)

زمن الأداء الكلي هو : 4.900ثا ، وسعة الذبذبة هي :780وحدة حدث في الكلمة (عبّدت) في اللحظة 2.840ثا .(2.840 ثا ، 780 وحدة) وأدنى سعة هي 20 وحدة عند نهاية الأداء في اللحظة 4.90ثا.(4.90 ثا ، 20 و) . بدأ الإيقاع للمنحنى مرتفعا ما نوعا في الكلمتين الأولى والثانية ثم عاد للتناقص والتموج صعودا ونزولا فبلغ ذروته في اللحظة 2.480ثا ، وأدناها في اللحظة 4.90ثا .

ب – الأداء في الأسلوب الاستفهام : (شكل 4– ب)

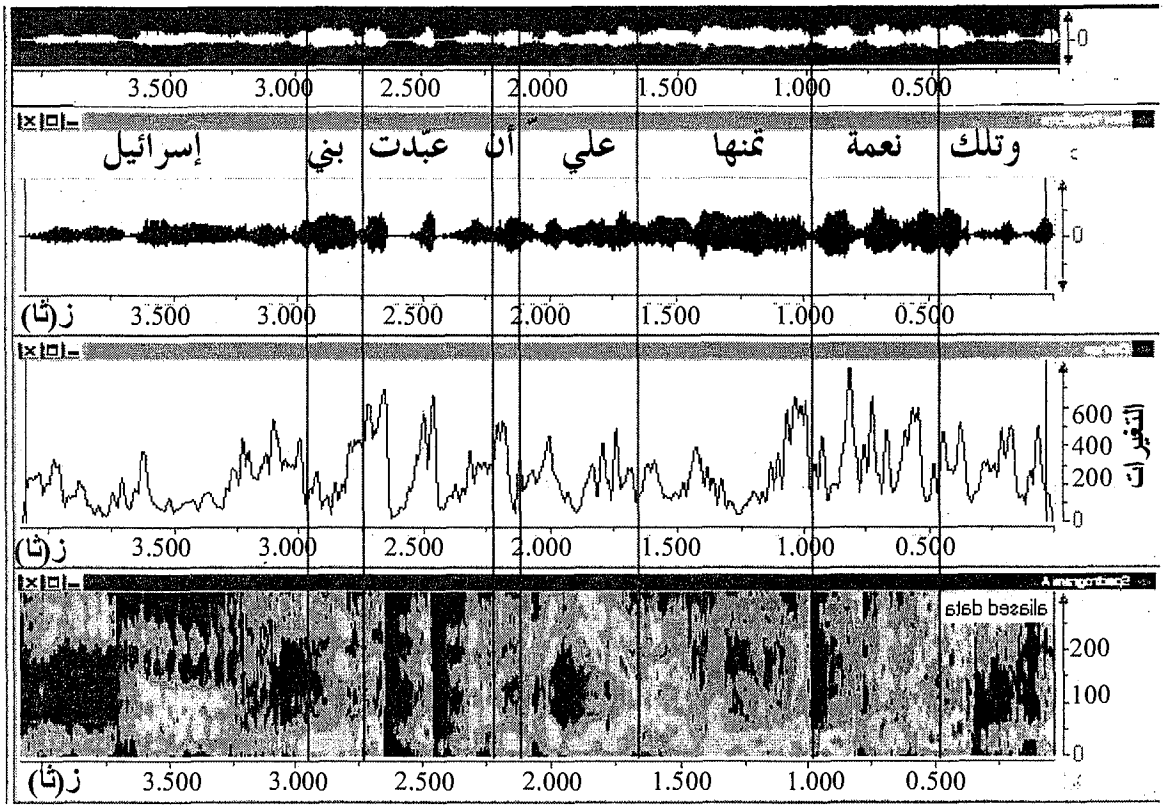

(شكل 4– ب)

ب – الأداء في الأسلوب الاستفهام : (شكل 4– ب)

نقص الزمن في هذا الأداء فكان 4.120 ثا بفارق 780 مليثانية ، وأن سعة الذبذبة زادت بمقدار ضئيل فكانت 810وحدة ، أي بفارق 30وحدة وأنها كانت في الكلمة الثانية (نعمة) بدل كلمة (عبدت) في الأداء الخبري .

كانت بداية المنحنى متقاربة ومتوسطة ، ووقع تباين واضح في كلمة (إن) بين الأداءين إذ أنها بدت ذات تردد عال في الاستفهام عكس الخبر ، ولعل هذا راجع إلى مقدار الضغط الذي وقع على اللفظة أثناء الأداء (النبر) لتحقيق الاستفهام ، وهذا ما يبدو واضحا في الموجة الصوتيةأعلى المنحنى بشكل أكثر كثافة ، ثم انتهى المنحنى بارتفاع متوسط تميز عن سابقه وهذا ما يكرس أن الاستفهام تصاعدي النغمة .

خامسا :

قال تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [1]

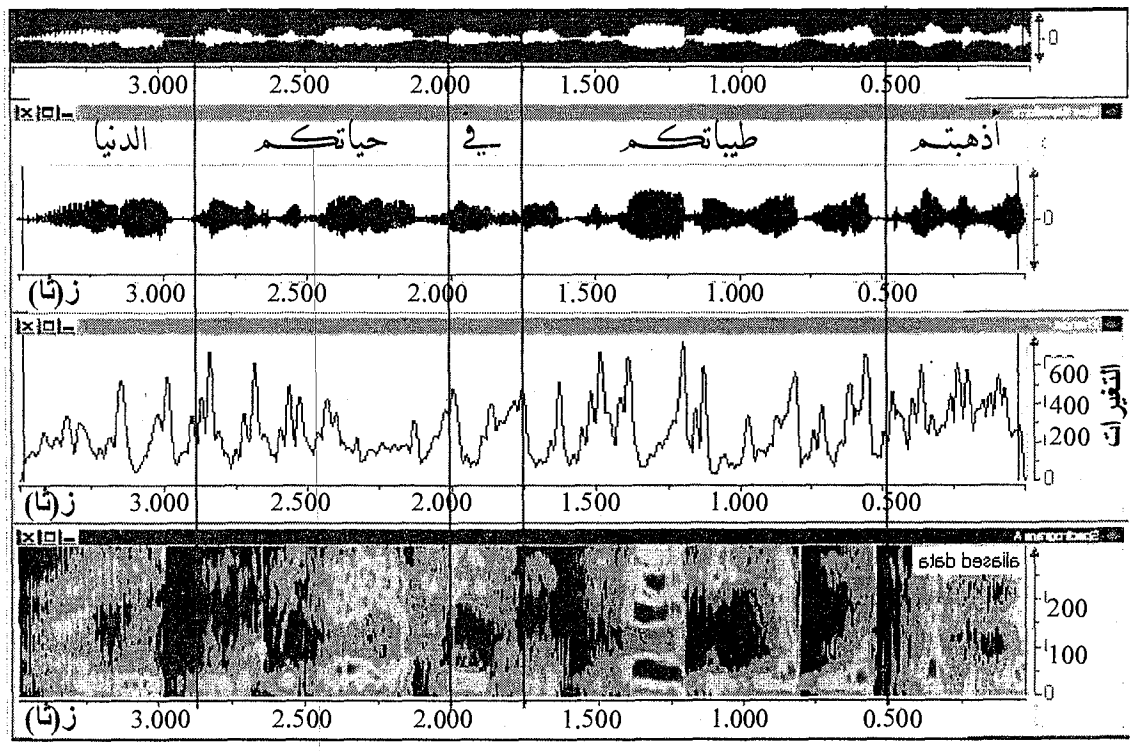

(شكل 5- أ)

[1]– سورة الاحقاف الآية 20

أ – الأداء في الأسلوب الخبري : (شكل 5– أ)

استغرق الأداء زمنا قدره : 3,490 ثا ، وأن أعلى قمة (سعة الذبذبة) وصلت درجتها إلى 740وحدة في اللحظة 1,210 ثا (1,210 ثا ، 740 و) وأدنى تغير للموجة هو 30 وحدة في اللحظة 1.085ثا (1.085 ثا ، 30 و) .

وإن منحنى التغييرات بدأ في الصعود تدريجيا وبلغ أوجه في الكلمة الثانية (طيباتكم) عند القمة 740وحدة ، وفي اللحظة 1.210ثا، تم حدث له تموجات نزولا وصعودا في الكلمة الثالثة وبداية الكلمة الرابعة ، ثم عاد للصعود في نهايتها .

أما في نهاية الجملة (الآية القرآنية) فأخذ في الانخفاض تدريجيا وهو ما أشرنا إليه سلفا أن الأسلوب الخبري يأخذ طابع الثبات .

ب – الأداء في الأسلوب الاستفهامي : (شكل 5- ب)

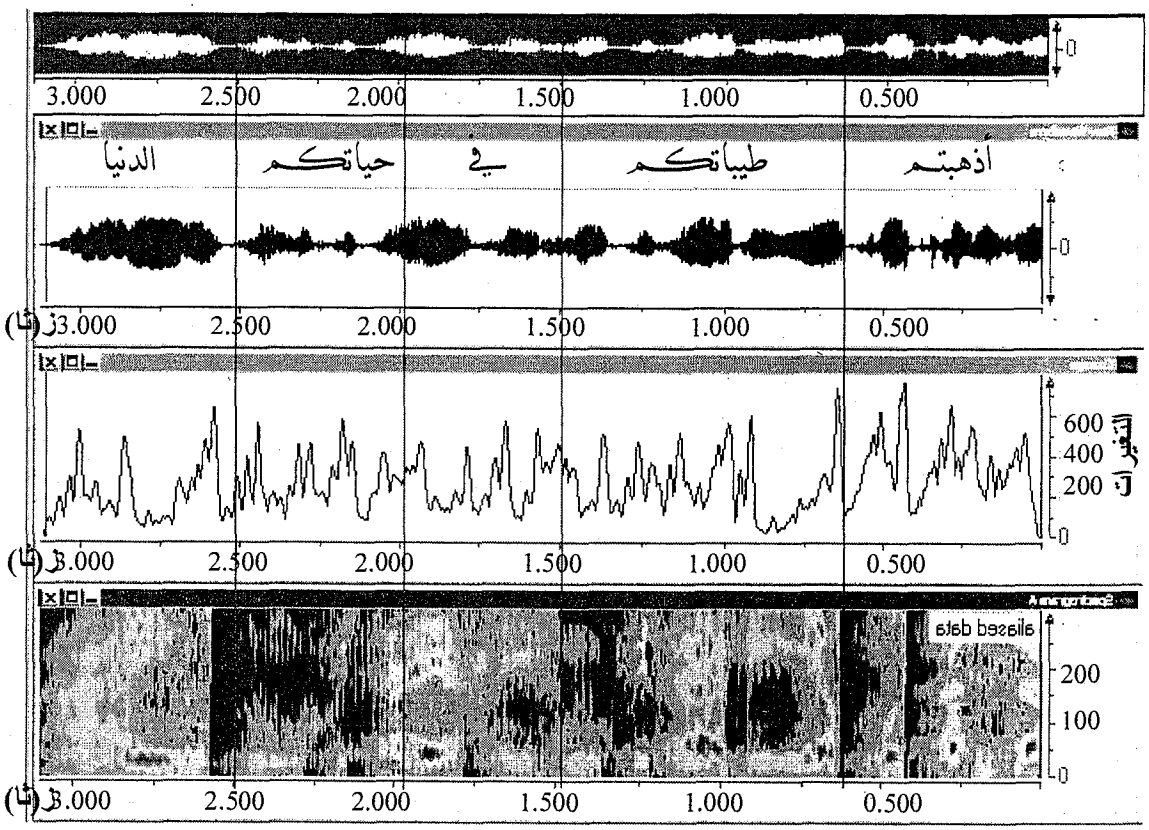

(شكل 5- ب)

ب – الأداء في الأسلوب الاستفهامي : (شكل 5- ب)

مدة الأداء الزمني تقلصت عن سابقتها فسجلت التجربة 3.104 ثا

(1)وإن أعلى سعة للذبذبة كانت 800وحدة في اللحظة الزمنية 0.440 ثا (2)(0.440 ثا ،800 و) ، وأن أدنى تغير كان 25 وحدة في اللحظة 0.875 ثا، (0.875 ثا ، 25 و) .

حدث تباين واضح بين المنحنين فقد أخذت الكلمة الأول (**أذهبتم**) زمنا أكثر في الأداء الثاني الاستفهامي ومردّ ذلك إلى النبر الذي حدث على الكلمة كلها وخصوصا على حرف الهمزة ، وهو ما يفسر ارتفاع التردد الأساسي في هذه الكلمة كما أن التغيرات كانت واضحة في الكلمة الثانية (**طيباتكم**) من حيث الانخفاض وعودة التغيرات إلى الارتفاع في الكلمة الثالثة (**في**)مع زيادة في زمن الأداء ويرجع ذلك إلى الضغط (النبر) الذي حدث على الكلمة ويبدو ذلك واضحا في الصورة الصوتية المسجلة في التجربة.

ونلاحظ أن تموجات المنحنى بدأ منخفضا ثم أخذ في الارتفاع [1] ليبلغ حدا واضحا في نهاية الأداء للآية[2]

[1]– ينظر:منصور الغامدي – الصوتيات العربية – ص : 137.

[2]– ينظر:نهاية الموجة البسيطة أعلى الشكل 5 – ب .

سادسا :

قال تعال : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [1]

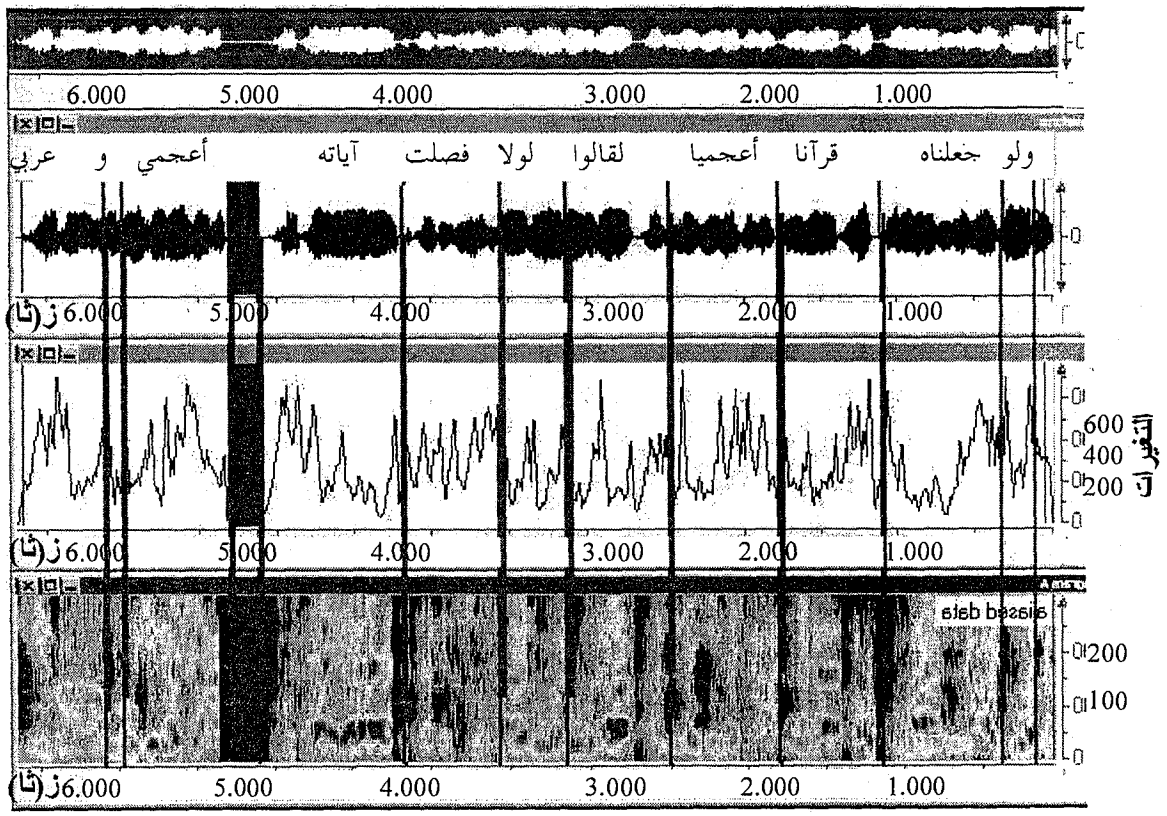

(شكل 6-أ)

[1]– سورة فصلت الآية 44 ،وهي قراءة هشام عن ابن عامر وقد سبق تخريجها ، ينظر : ابن الجزري – النشر في القراءات العشر – ج : 1 – ص : 366

أ – الأداء في الأسلوب الخبري : (شكل 6–أ)

إن هذا الأداء شبيه بسابقيه في الأساليب الخبرية إذ يغلب عليه طابع التصاعد في البداية والتناقص في نهاية الجملة (الآية) وأن سعة الذبذبة وصلت إلى الدرجة 780 وحدة في اللحظة 3.605 ثا (3.605 ثا ، 780 و)، ونشاهد وجود فراغ ناجم عن التوقف الاضطراري للنفس في اللحظة 5.045ثا .

(3) ب- الأداء في الأسلوب الاستفهامي : (شكل 6- ب)

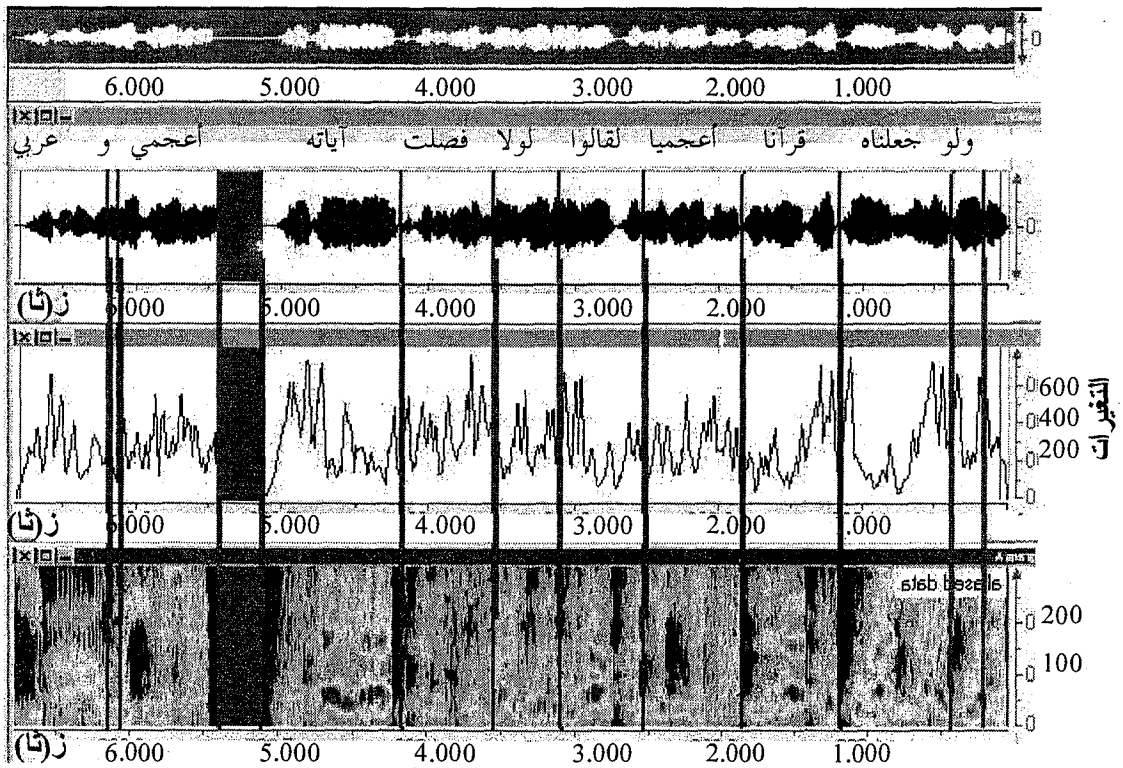

(شكل 6- ب)

ب- الأداء في الأسلوب الاستفهامي : (شكل 6- ب)

نلاحظ تناقص في الزمن الكلي مقارنة بسابقه ، وكذا في التردد الأساسي إذ بلغ 750وحدة فقط ، في اللحظة 2.460ثانية (2.460 ثا ، 750 و). ويغلب على الشكل (6 - ب) الطابع التصاعدي للمنحنى ، ويتضح ذلك في الكلمة (**أعجمي**) الذي وقع فيها ضغط (نبر) أكبر لأداء التنغيم الاستفهامي ، وهذا ما جعل الموجة الصوتية أكثر كثافة في الجزء الأخير منها في الشكل نفسه .

سابعا :

قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [1]

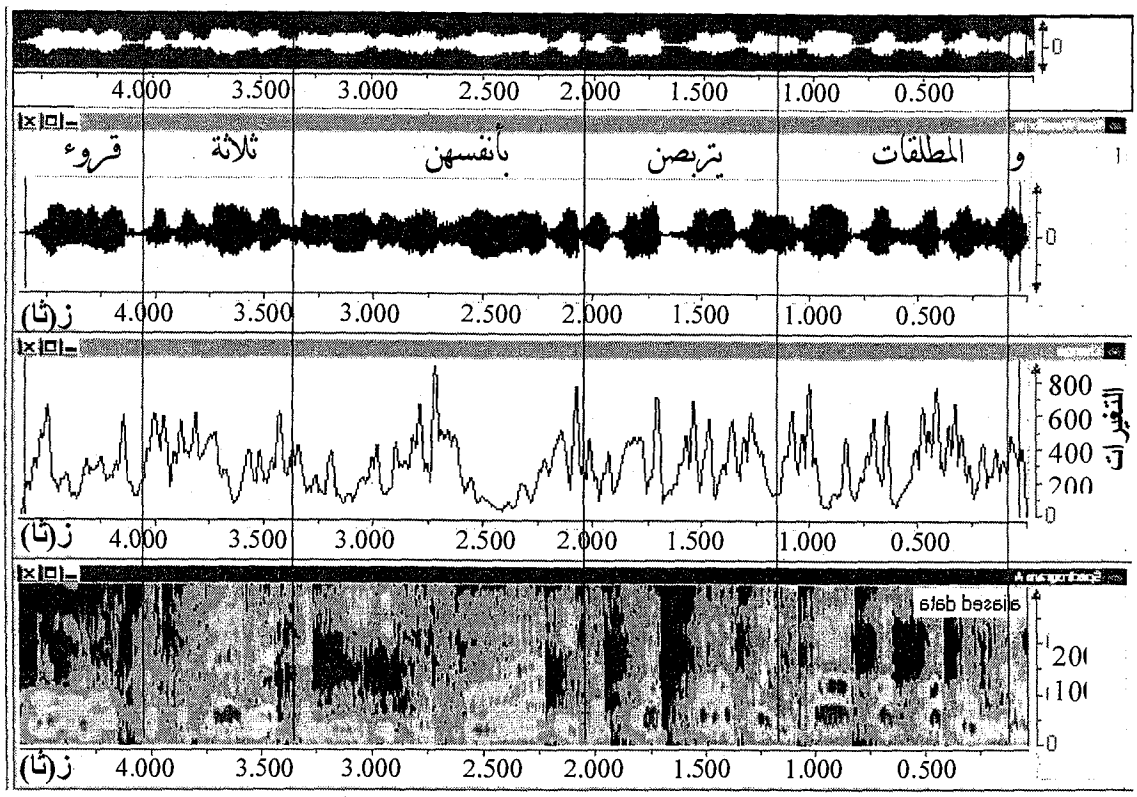

(شكل 7- أ)

[1] – سورة البقرة الآية 228.

أ – الأداء في الأسلوب الخبري : (شكل 7– أ)

استغرق هذا الأداء مدة زمنية قدرها 4.565 ثا ، وبلغت سعة الذبذبة أوجها وقيمتها : 880 وحدة ، في اللحظة 2.730 ثا (2.730 ثا ،880 و) ونلاحظ أن تموج المنحنى غلب عليه طابع التوسط في الصعود أحيانا ثم انتهاؤه بالانخفاض التدريجي، وأن كلمة (**بأنفسهن**)حازت أعلى درجة للتغييرات ومدة زمنية أكبر .

ب- الأداء في الأسلوب الإنشائي (الأمر) : (شكل 7- ب)

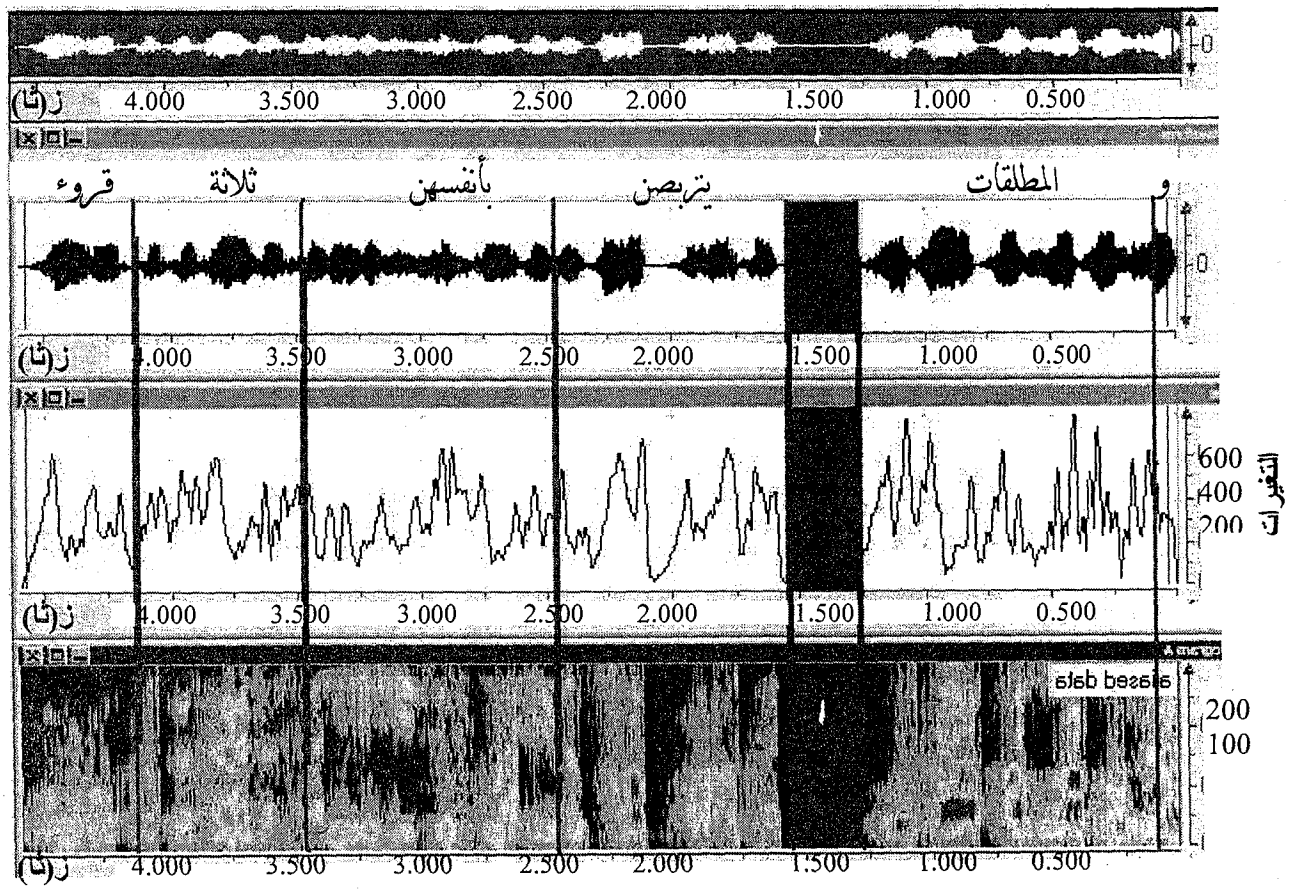

(شكل 7- ب)

ب- الأداء في الأسلوب الإنشائي (الأمر) : (شكل 7- ب)

لا نكاد نجد فرقا بين المدة الزمنية المستغرقة في هذا النوع من الأداء وسابقه ، لكن نلاحظ أن وجود فراغ بعد الكلمة الأول (**والمطلقات**) رُسِمَ في الشكل بلون أخضر ، وهذا الفراغ كان للتوقف وأخذ النفس للضغط(نبر) على الكلمة الموالية لأحداث تنغيم الأمر هما جعل المنحنى يأخذ شكلا مميزا يظهر فيه التباين الحاصل مع سابقه ، وأن كلمة (**يتربصن**) التي حدث فيها الضغط أخذت زمنا زائدا قليلا عن مثيلتها في الشكل السابق (7 – أ) ، وأن أوج التغييرات كان أقل منه ، إذا اكتفى بسعة قدرها 820 وحدة في الكلمة الأولى أثناء اللحظة 0.450 ثا ، (0.450 ثا، 820 و) ، إن أسلوب الأمر بدأ في أدائه بنغمة تصاعدية واضحة في الشكل وانتهى بانخفاض ، ولعل ذلك راجع إلى كون صيغة الأمر مورست أداء على اللفظتين الأولى والثانية وظهر فيها الضغط جليا .وهذا يعني أسلوب الأمر يكون التغير فيه تبعا لموضع الضغط (النبر)الحادث أثناء الأداء .

ثامنا :

قال تعالى : ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ [1]

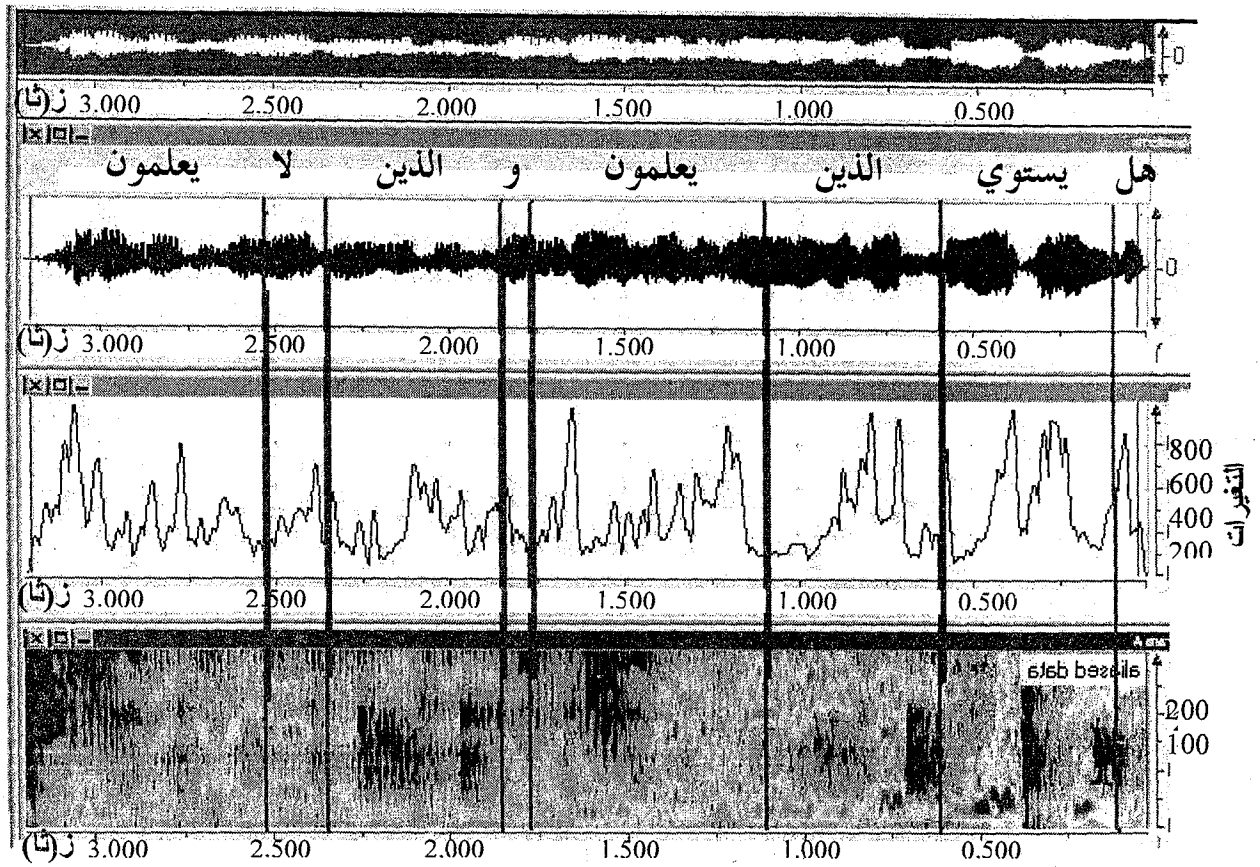

(شكل 8- أ)

[1]– سورة الزمر من الآية 9 .

غلب على الأداء الأول(**شكل 8**– أ) الاستفهام طابع الصعود منذ البداية [2] وإلى نهاية المنحنى ، ومدته الزمنية قاربت 3.500 ثا ، بينما نلاحظ أن الأداء الثاني .

[2]– منصور الغامدي – الصوتيات العربية – ص : 135.

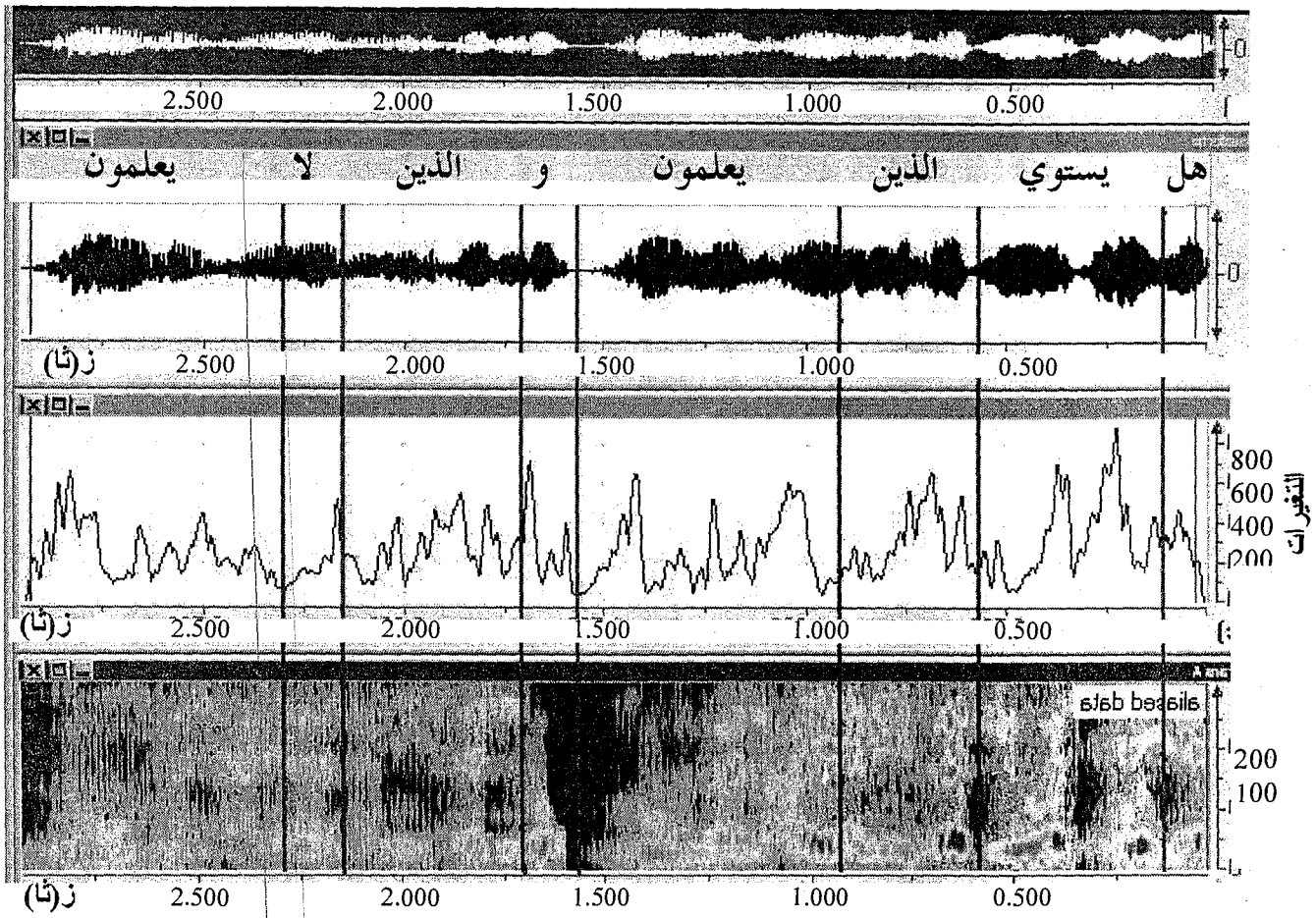
هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون
2.500
2.000
1.500
1.000
0.500
ز(ثا)
800
600
400
200
التردد
aliased data
200
100

(شكل 8- ب)

(**شكل 8- ب**) في التعجب بدأ متوسط الصعود وبلغ أوجه في الكلمة الثانية (**يستوي**) والتي حدث عندها الضغط لإحداث تنغيم التعجب المميز عن غيره من الأساليب وانتهى بوثيرة منخفضة إلى حد ما ، إذ يمكن القول أنه يشبه في تحليل منحاه ما سجلناه سابقا في تحليل منحيات الأساليب الخبرية .

بعد عرضنا للرسومات السابقة بأشكالها المختلفة ، وتحليل الموجات الصوتية لأداءات القراءات القرآنية باختلاف أساليبها يمكننا تسجيل الملاحظات التالية :

1- إن الجمل الخبرية أكثر طولا من حيث المدة الزمنية ، ويبدأ فيها التردد الأساسي منخفضا نسبيا ثم يرتفع منتصف الجملة ليصل إلى أقل انخفاض بنهايتها .

2- إن الجمل الاستفهامية تنقص عن سابقتها في المدة الزمنية بقليل ولعل مرد ذلك إلى سرعة الأداء التي يتطلبها الأسلوب الإنشائي (الاستفهام) في صيغته .

3- الجمل الاستفهامية تنتهي بارتفاع ملحوظ للتردد الأساس ، ويظهر الفرق في هذا التردد على مستوى الكلمة ، فالمقطع الأول غالبا ما يكون تردده أعلى من المقطع الثاني .

4- إن الجمل التعجبية تشبه ما سجلناه في الأسلوب الخبري عموما مع وجود فارق طفيف هو : أن التردد الأساس يعلو في وسط الجملة وينتهي بوثيرة متوسطة تظهر في المنحنى وكأنها تجمع بين خصائص نهاية منحنى الأسلوب الخبري وخصائص نهاية منحنى الأسلوب الاستفهامي.

5- إن الجمل في أسلوب الأمر تحتاج على ما يبدو فراغا للوقوف والتنفس لـــيُحدث المتكلم أثناء الاستئناف صيغة الضغط (النبر) على الكلمة المعنية ليظهر أسلوب الأمر جليا في الأداء ، وبدأ التردد الأساس في الصعود منذ البداية وانتهي بانخفاض واضح ، وهذا يعني أن أسلوب الأمر يكون التغير فيه تبعا لموضع الضغط (النبر) الحادث أثناء الأداء المظهر لصيغة الأمر .

تاسعا :

قال تعالى : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [1]

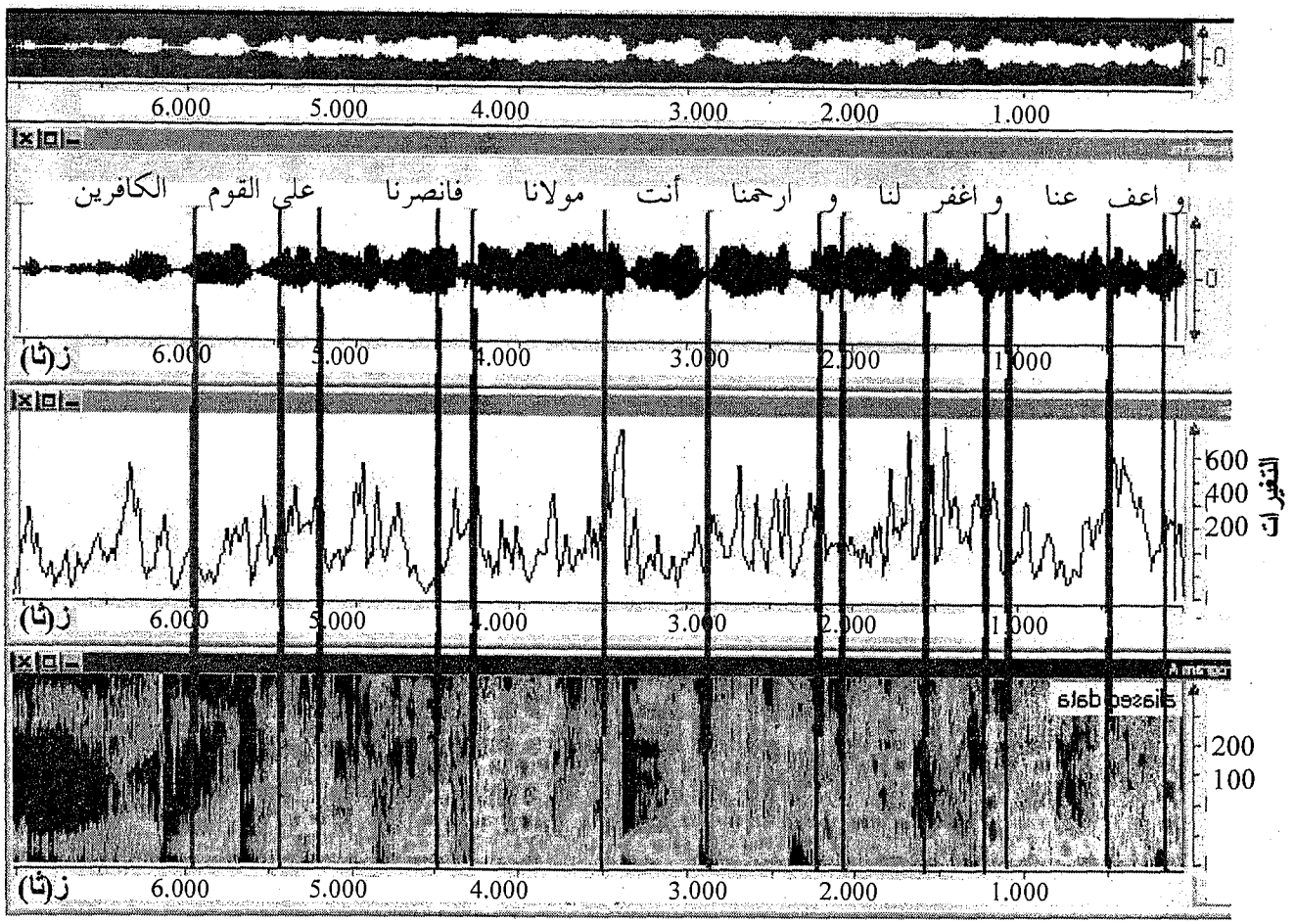

(شكل 9- أ)

[1]– سورة البقرة من الآية 286.

إن الأداء في قراءة هذه الآية تنوع في الأسلوب بين الخبر والنداء في الجملة الرابعة (**أنت مولانا**) ففي الصيغة الأولى (**شكل 9- أ**) أنت مولانا اعتراف وإقرار من العبد نحو خالقه بأنه هو الذي يتولى أمره دون غيره ، أما الصيغة الثانية

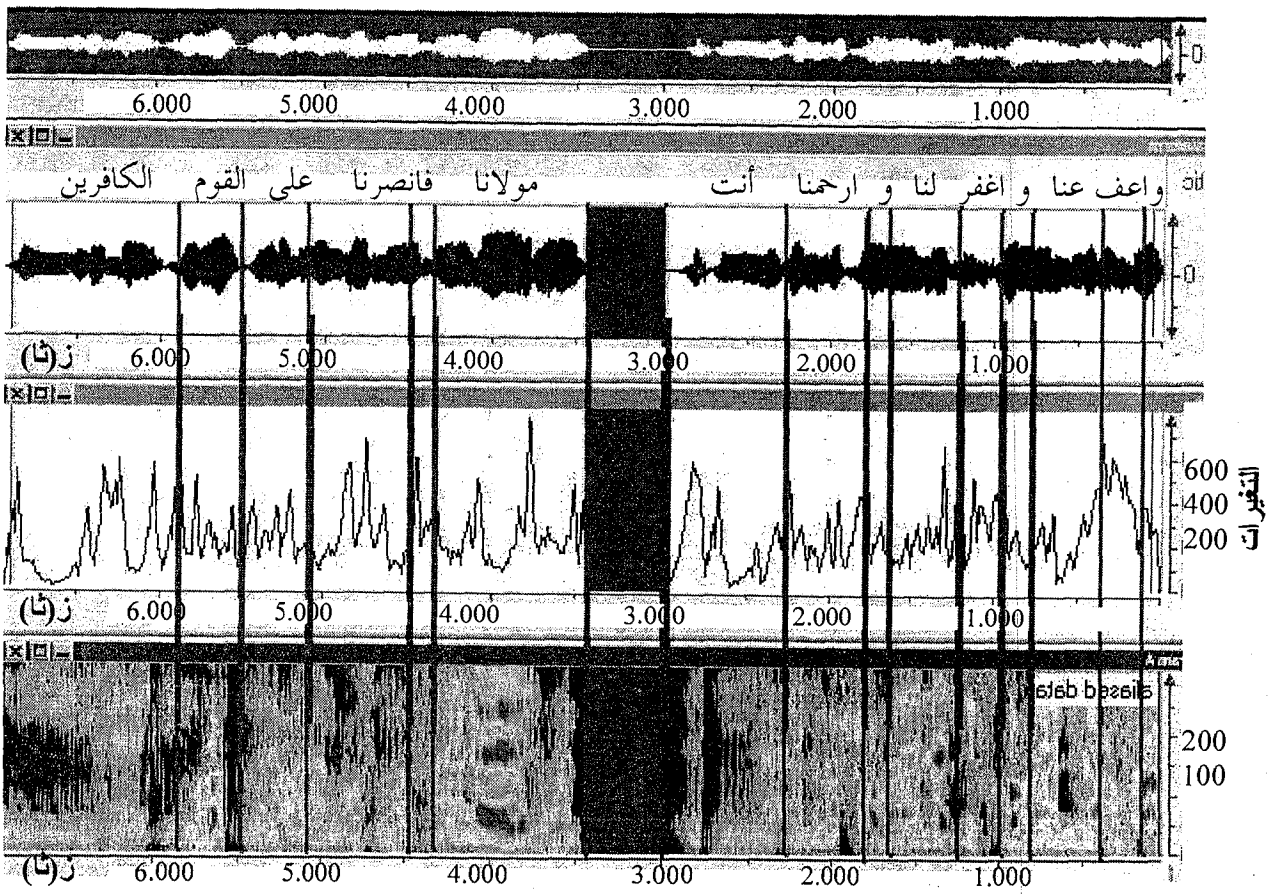
6.000
5.000
4.000
3.000
2.000
1.000
الكافرين على القوم فانصرنا مولانا أنت
واعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا
ز(ثا)
600
400
200
التغيرات
100

(شكل 9- ب)

(**شكل 9- ب**) والمعتمدة على تغيير مكان الوقف أثناء الأداء فتنقسم بموجبها الجملة الرابعة (**أنت مولانا**) فتنضم كلمة أنت إلى الجملة السابقة ، ومولانا إلى الجملة اللاحقة فتصبح وارحمنا أنت ، مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ، وهذا يغير الأسلوب الخبري إلى أسلوب النداء نُزِعَت منه أداة النداء ومعناه يا مولانا فانصرنا على القوم الكافرين [2]

إن تغيّر الأسلوب تبعا للأداء بدا جليّا في الشكل (9- ب) بأجزائه الثلاثة ، إذ نلاحظ الفراغ الحادث جراء الوقف و الممثّل باللون الأخضر في الشكل ، وان أعلى تردد للأساس حدث في كلمتي (لنا ، وأنت) في الأسلوب الأول وبلغت 710 وحدة ، وكانت قمة التردد الأساس في الأسلوب الثاني (النداء) في كلمة (مولانا) المنادى إذ وصلت درجة تغيره إلى : 820 وحدة وزاد زمن أدائها قليلا لوقوع زيادة في طول صوت اللام (لا) في الكلمة ذاتها .

---

[2]– أشار ابن الجزري إلى هذا الوقف وقال :" ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بيض القراء أو يتأوّله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفا أو ابتداء ينبغي أن يعتمد الوقف عليه ، بل ينبغي تحري المعنى الأتم والوقف الأوجه وذلك نحو الوقف على " وارحمنا أنت" والابتداء "مولانا فانصرنا ". ينظر : ابن الجزري – النشر في القراءات العشر – ج :1- ص : 231 ، و السامرائي إبراهيم – من أساليب القرآن – بيروت- مؤسسة الرسالة- ط.2- 1407هت-1987م-ص :41،و42. .

عاشرا :

قال تعالى : ﴿ ثُـــمَّ

جَـــآءُوكَ يَحْـــلِفُونَ بِٱللَّـــهِ إِنْ أَرَدْنَـــآ إِلَّآ إِحْسَـــٰنًا وَتَوْفِيقًـــا ﴾ [1]

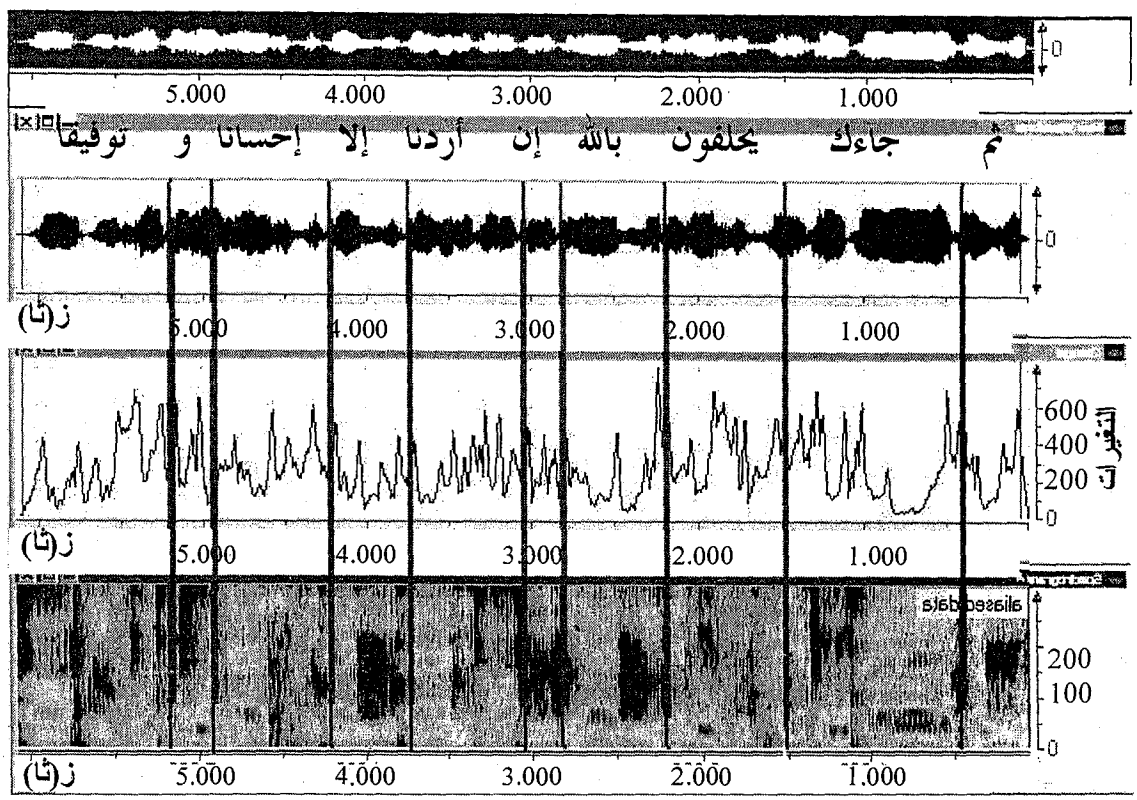

(شكل 10- أ)

[1]– سورة النساء من الآية 62 .

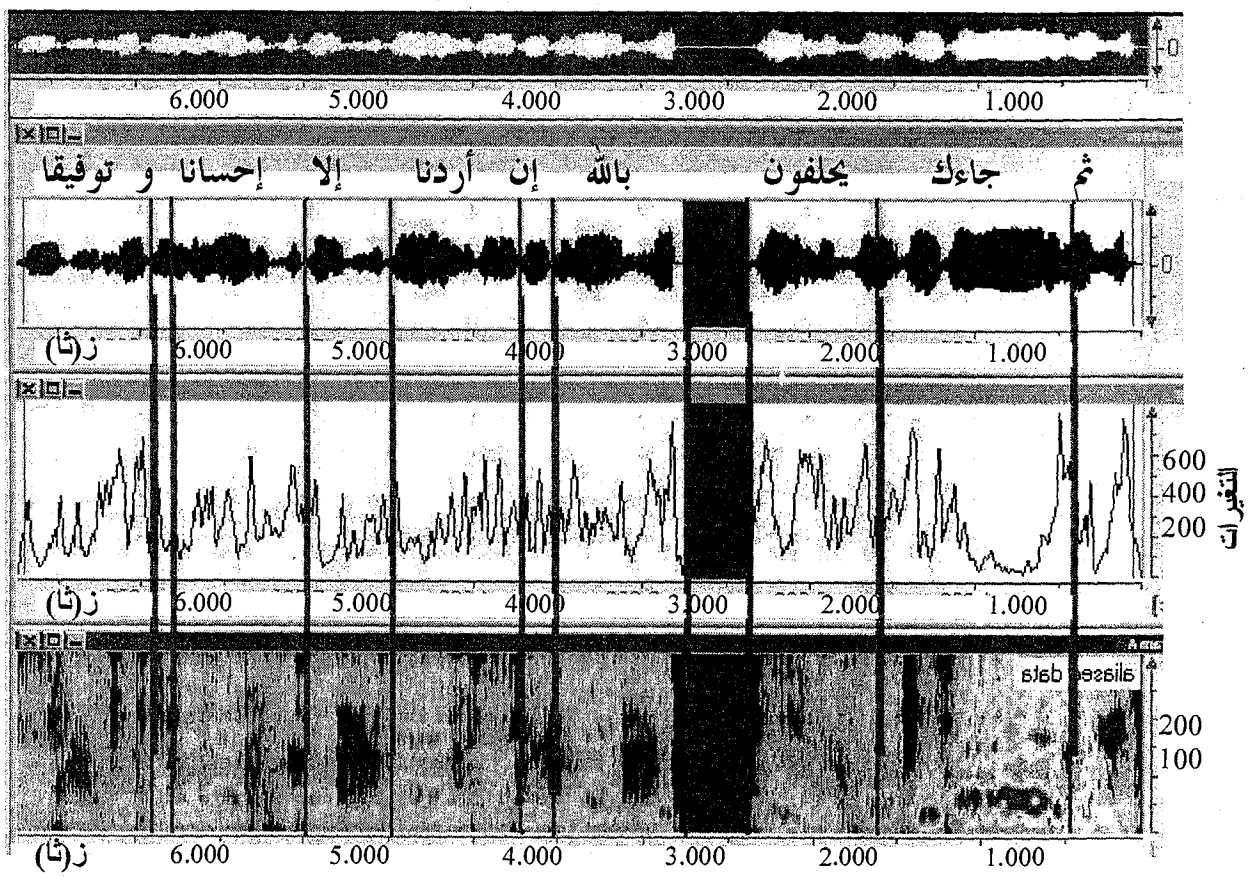
6.000
5.000
4.000
3.000
2.000
1.000
ثم جاءك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا و توفيقا
(ثا) ز
600
400
200
التغيرات
200
100

(شكل 10- ب)

لعل الملاحظات المسجلة أثناء التحليل التاسع لآية البقرة تتكرر هنا ، إذ بطريقة الأداء والوقف يتغير المعنى من الأسلوب الخبري إلى أسلوب القسم ، إذ تم في الأداء الثاني (**شكل 10- ب**)الوقف على كلمة (**يحلفون**) ثم الابتداء بصيغة القسم (**بالله**)[2] وهذا ما بدا واضحا في الشكل (10 – ب) في الجزء الممثل باللون الأخضر ، مع ارتفاع في حدة التردد الأساس في كلمة (**بالله**)والتي استعملت للقسم هاهنا ، و بلغت التغييرات فيها مقدار 840 وحدة تقريبا ، بينما اكتفت في الأداء الأول (**شكل 10- أ**) بدرجة 450 وحدة .

---

[2]– ينظر ابن الجزري – النشر في القراءات العشر – ج : 1- ص : 231

حادي عشر :

قال تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [3]

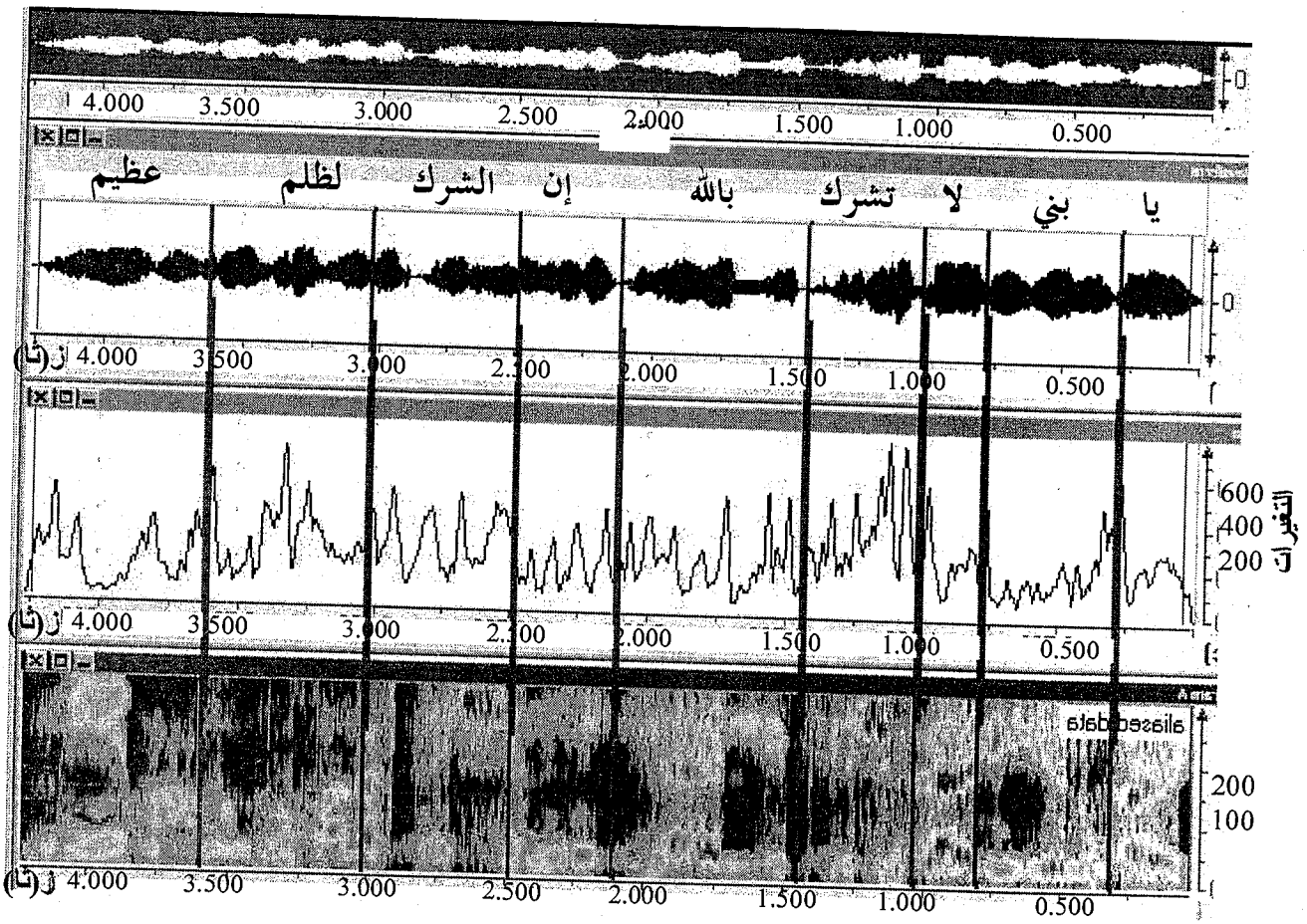

(شكل 11- أ)

---

3 _ 4 _ سورة لقمان من الآية 13.

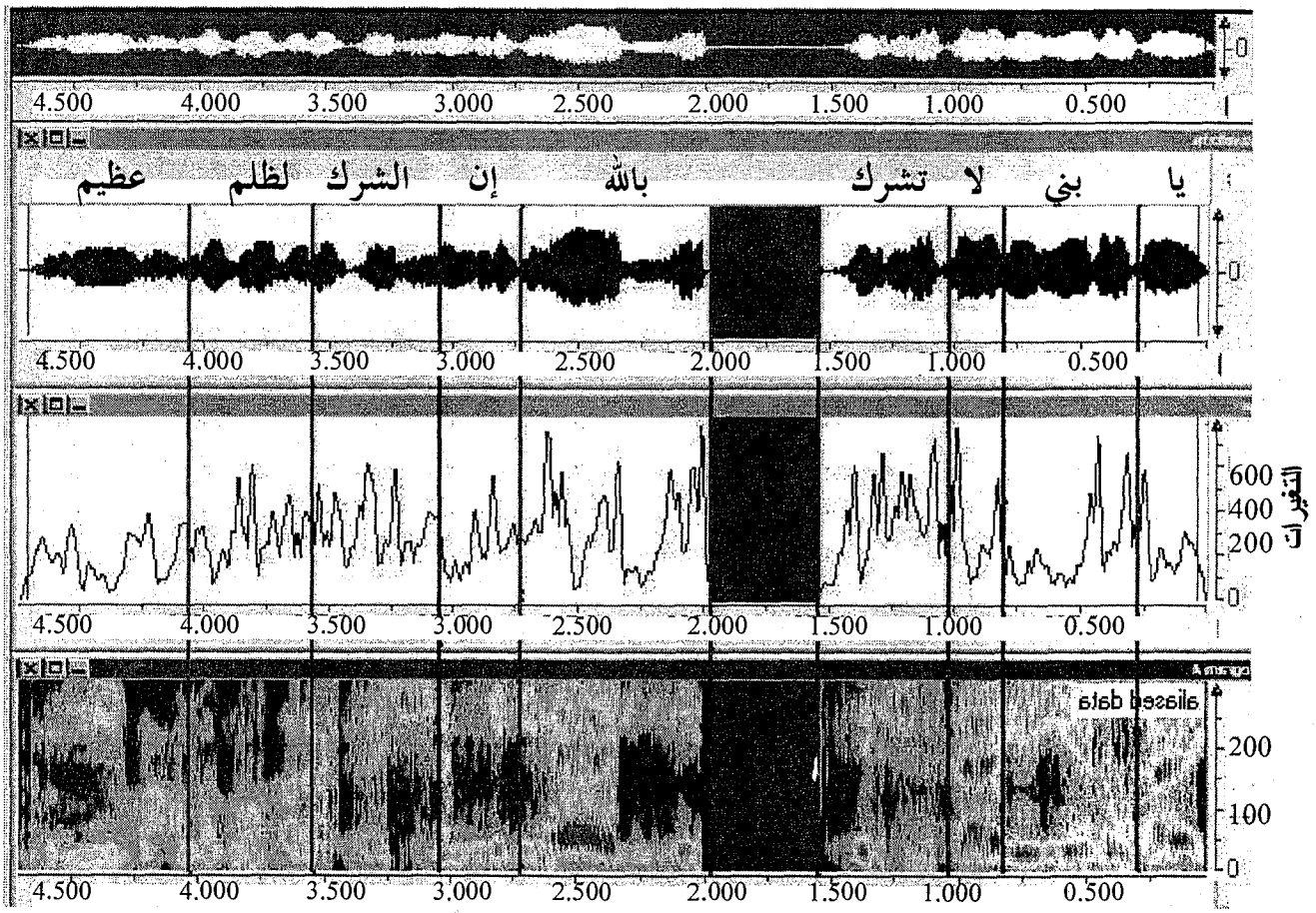
4.500 4.000 3.500 3.000 2.500 2.000 1.500 1.000 0.500
يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم
600
400
200
0
التغيرات
aliased data
200
100
0

(شكل 11- ب)

والتعليق ذاته يمكن قوله أثناء التحليل الحادي عشر لقوله تعالى : ﴿ يا بني لا تشرك بالله وإن الشرك ظلم عظيم ﴾[4] إذا بلغ التغير أوجه في كلمة (**بالله**) في مجموعها بمقدار 840وحدة (**شكل 11– ب**) ، بينما كان في الأداء الأول (**شكل 11– أ**) دون وقف 450 وحدة ، وفي كلمة إن المؤكدة للقسم ، وانتهى التردد الأساسي في القسم بانخفاض ملموس عكس سابقه .

ثاني عشر : الأداء بين الوقف و السكت :

لتحليل هذه الأشكال نمهد إلى ذلك بتعريفات كالتالي :

أ – **تعريف الوقف** : عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، لا بنية الإعراض [1] ، فهو إذا قطع الصوت مع تسريب الهواء ، وهذا ما نشأ عنه ما يسمى بالنغمة المنحدرة في أغلب الأحيان .

ب – **تعريف السكت** : هو عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس [2] ، وقد اختلفت ألفاظ الأئمة القراء بما يدل على طول السكت وقصره ، فعن حمزة الزيات : أنها سكتة يسيره ، وعن الأشناني : أنها سكتته قصيرة ، وعن الكسائي : سكتة مختلسة من غير إشباع ، وعن ابن غلبون : وقفة يسيره ، وعن مكي ابن أبي طالب : وقف خفيفة ، وسمّاها ابن شريح وقيفة .

وقد اتفقت ألفاظهم على أن السكت زمنه دون زمن الوقف عادة ، وهم في مقداره بحسب مذاهبهم في التحقيق والحدر والتوسط حسبما تحكم المشافهة ، ويعلم ذلك بالعادة وعرف القراء [3] ، وقد ورد في القرآن أربعة مواضع للسكت على رواية حفص عن عاصم ، الأول في سورة الكهف في الآية الأولى

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾

وفي سورة يس من الآية 52

---

[1]– ينظر ابن الجزري – النشر في القراءات العشر – ج : 1–ص : 240

[2]– المرجع نفسه والصفحة

[3]– يقول ابن الجزري :" وما أجمع عليه أهل الأداء من المحققين من أن السكت لا يكون إلا مع عدم التنفس سواء قل زمنه أو كثر " ينظر بان الجزري – النشر – ج : 1–ص : 242

﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾

وفي سورة القيامة من الآية 27

﴿ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴾

وفي سورة المطففين من الآية 14 .

﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾

وينشأ عن هذا السكت بهذا التعريف ما يسمى بالنغمة المستوية الذي سرعان ما تعود للارتفاع بعد استئناف القراءة :

وهذا العرض هو الذي يظهر لنا في تحليل الأشكال الأربعة للسكت الوارد في القرآن والتي سجلت في التطبيقات بصوت المقرئ عبد الرحمن الحذيفي [1].

---

[1] – الشيخ عبد الرحمن الجذيفي إمام وخطيب المسجد النبوي إلى يومنا هذا مقرئ مشهور ،وله تلاوة كاملة للمصحف الشريف مسجلة على قرص الليزر وقد أخذنا منه – من القرص – تلاوة السكتات الأربع .

* علامة السكتة .

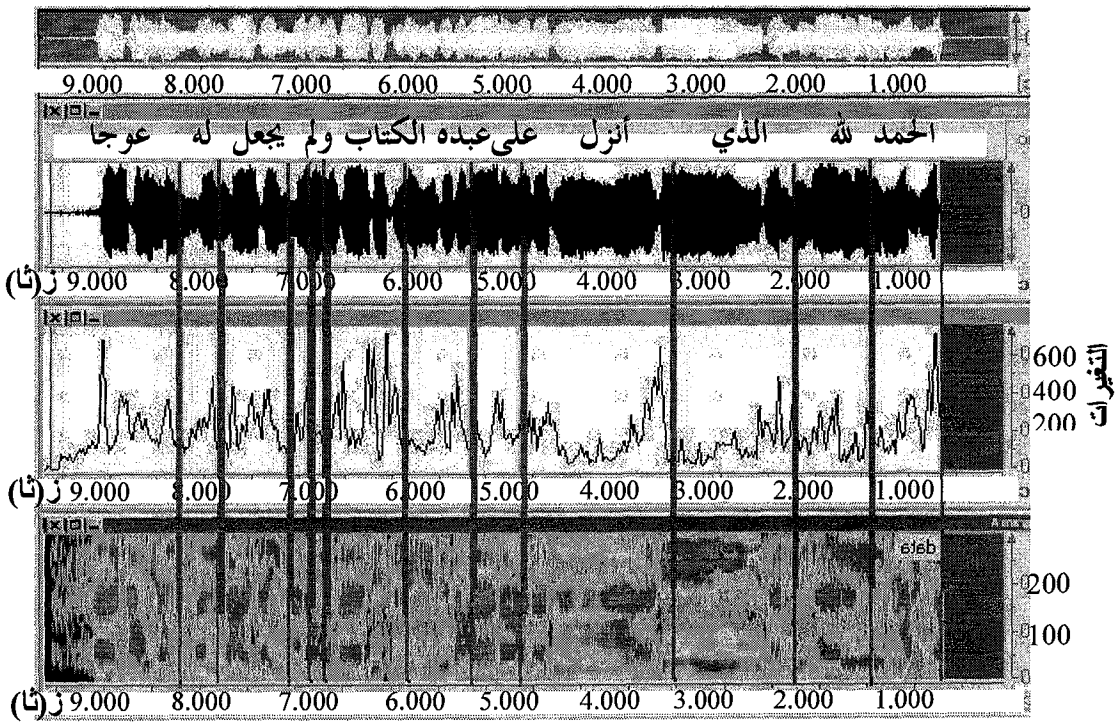
9.000 8.000 7.000 6.000 5.000 4.000 3.000 2.000 1.000
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
ز(ثا)
600
400
200
200
100

(الشكل 12 – أ-1)

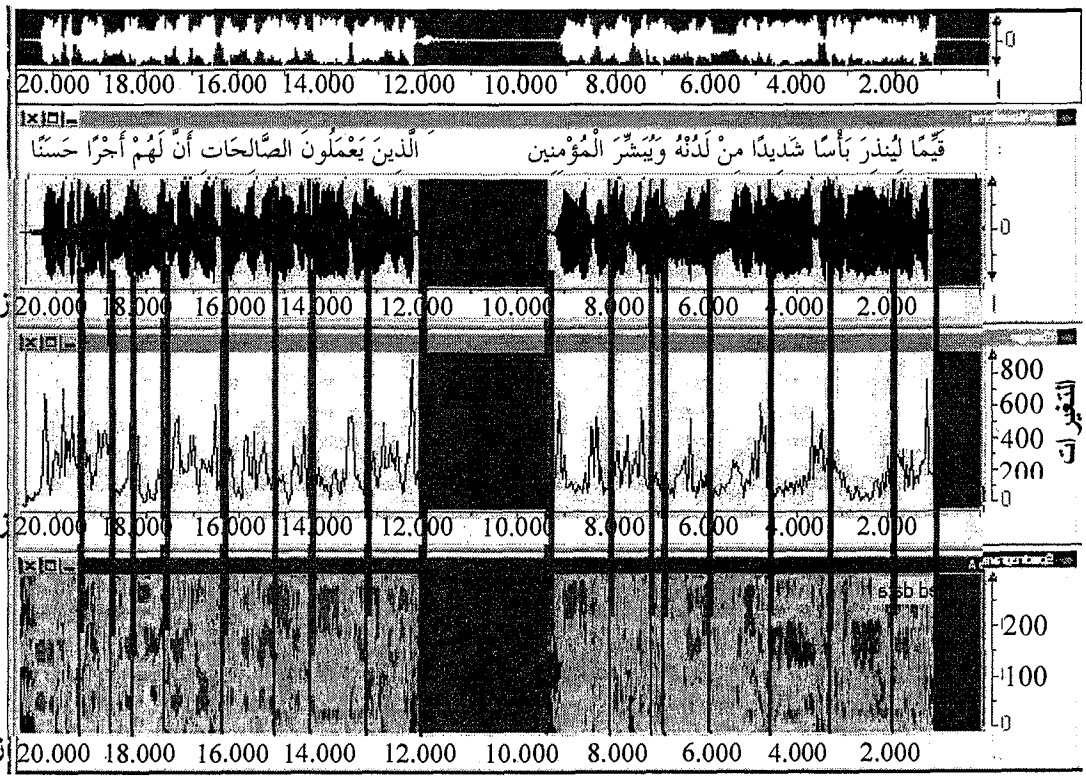
قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا
20.000 18.000 16.000 14.000 12.000 10.000 8.000 6.000 4.000 2.000
(ثا)ز
800
600
400
200
0
200
100

(الشكل 12 – أ-2)

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ
عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

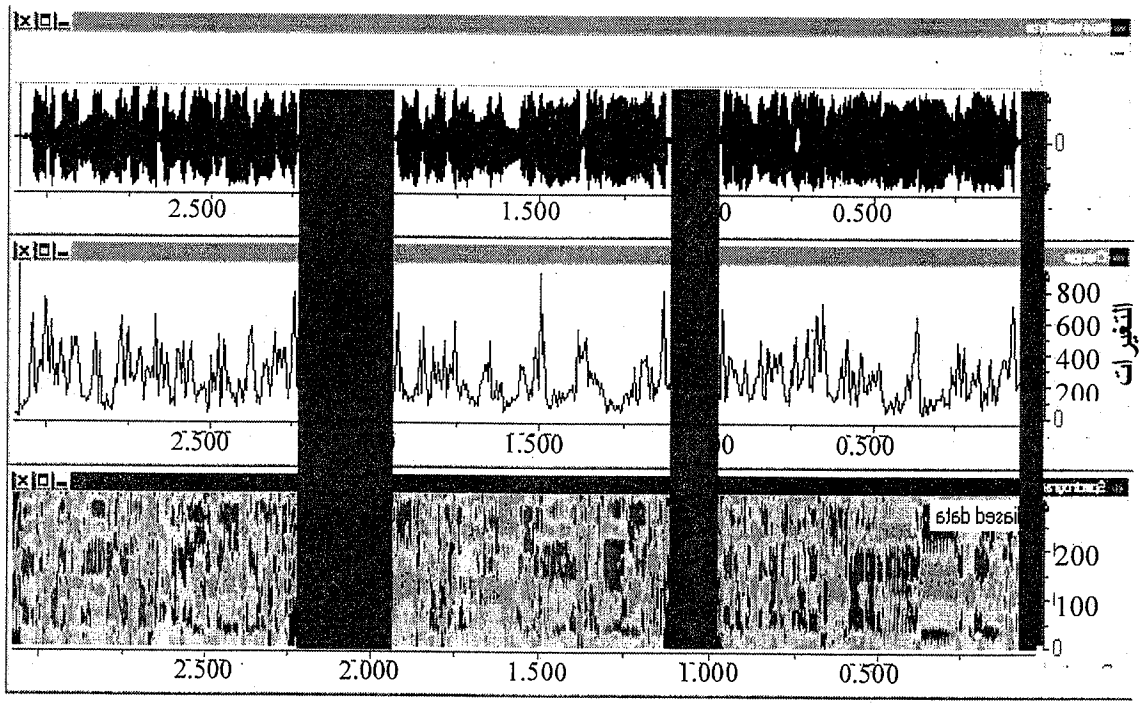

(الشكل 12 – أ)

(مجموع: الشكل 12 أ-1 و الشكل 12 أ-2)

ففي الشكل (12- أ) الخاص بالسكتة والوقف في سورة الكهف من قوله تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾[2]

فالسكت على "قيما" يعطي نغمة مستوية عادت إلى الارتفاع ، ووجه هذا السكت هنا قصد به بيان أن (**قيما**) ليس متصلا بما قبله من الإعراب،

وإنّما هو منصوب لفعل محذوف والتقدير : أنزله قيّما ، وقد يكون حالا من الكتاب أي أنزل الكتاب في حال كونه قيّما[1] .

وكذا في قوله تعالى :

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[2]

---

[2]- سورة الكهف الآيتان 1،و2.

[1] - ينظر: صبري المتولي المتولي – التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم- القاهرة- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – ط.1- 19998- ص:289.

[2] - سورة يس الآية 52.

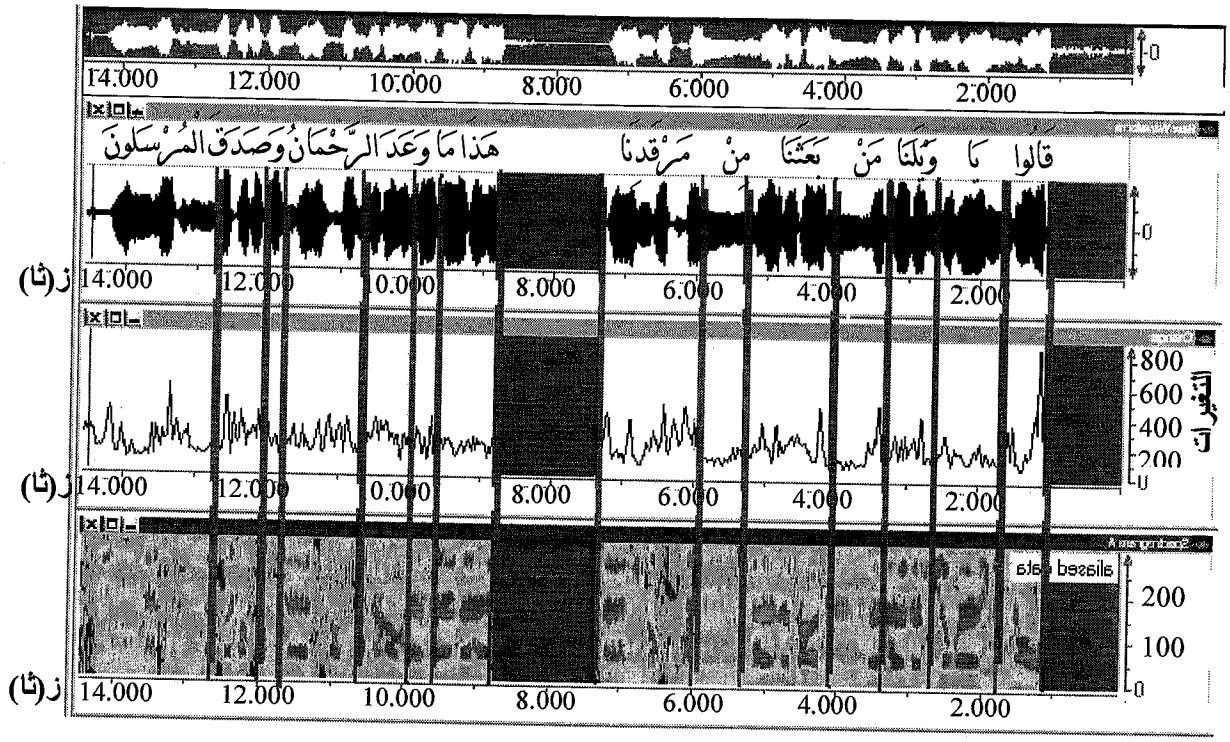
14.000
12.000
10.000
8.000
6.000
4.000
2.000
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمان وصدق المرسلون
(ثا)ز
800
600
400
200
0
التغيرات
200
100
0

(الشكل 12 – ب)

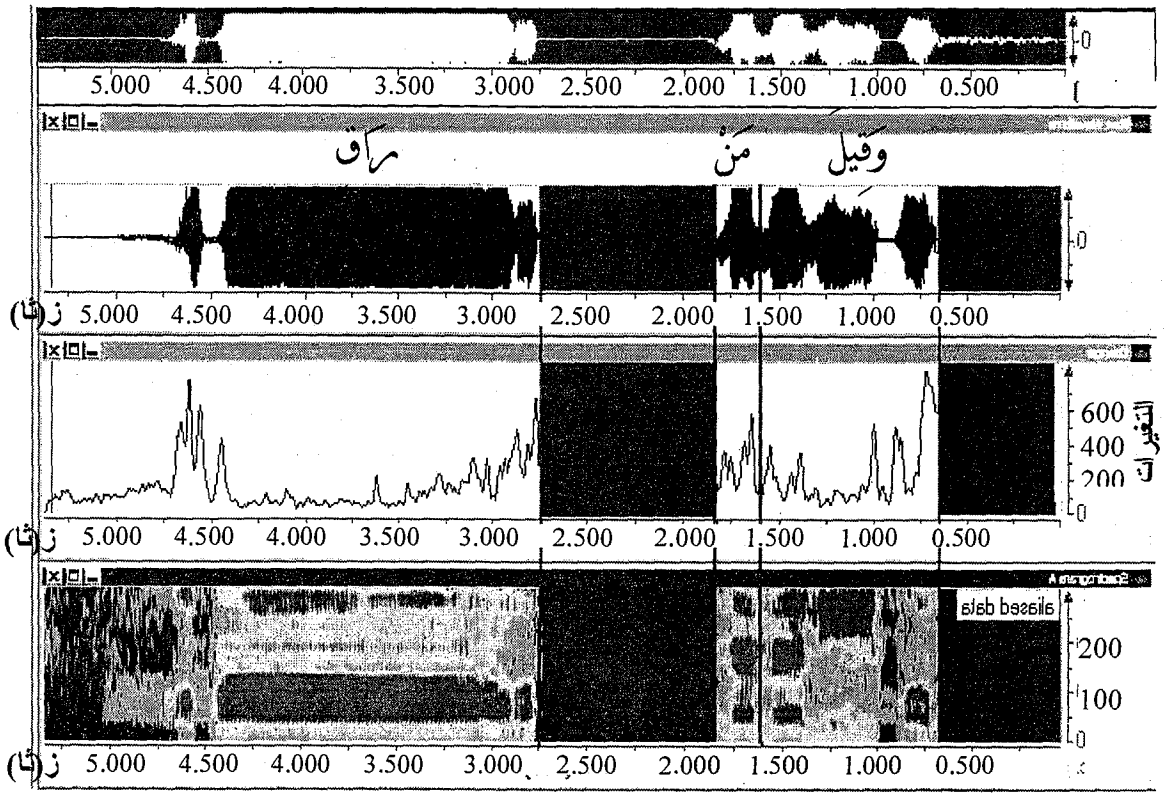
5.000 4.500 4.000 3.500 3.000 2.500 2.000 1.500 1.000 0.500
مَرَاق
وَقِيل
مَنْ
(ثا) ز
600
400
200
0
aliased data
100

(الشكل 12 – ج)

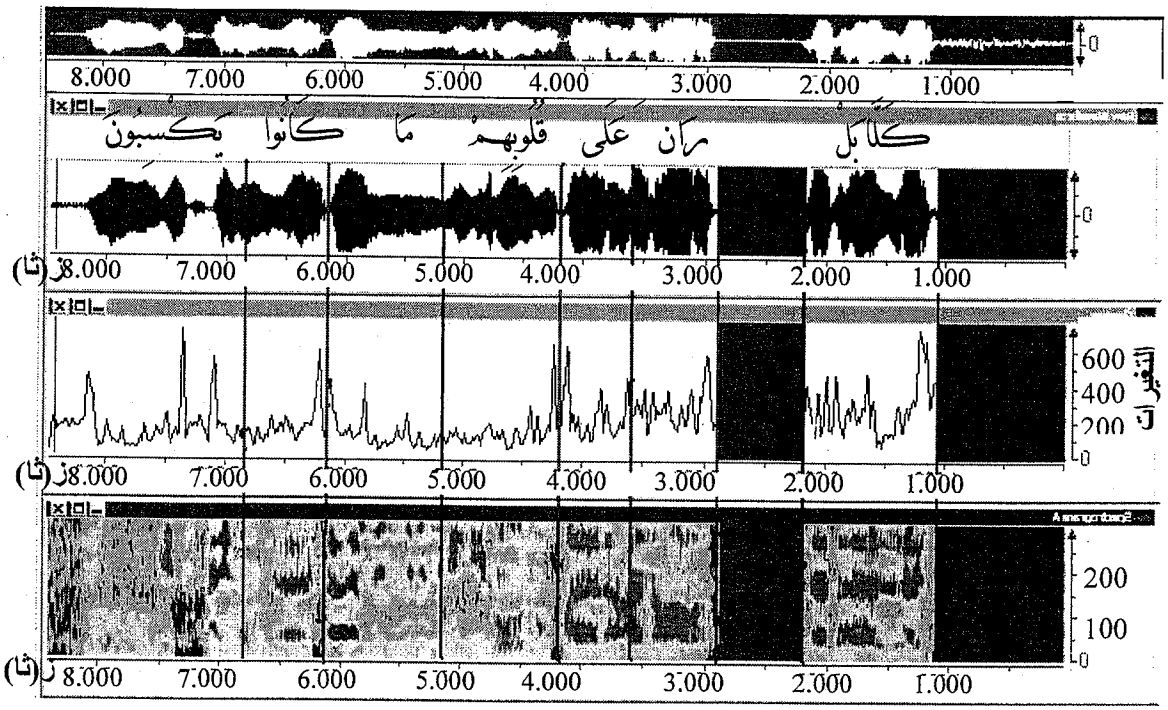
8.000 7.000 6.000 5.000 4.000 3.000 2.000 1.000
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
(ث)
600
400
200
0
التردد
200
100
0

(الشكل 12 – د)

إن السكت في (**مرقدنا**) بيان أن كلام قد الكفار قد انقضى ،وأن قوله تعالى:(**هذا ما وعد الرحمن**)، ليس من كلامهم [1] وقد بدا صعود التردد الأساس عند استئناف القراءة واضحا في الشكل (12 - :ب)و الشكل (12- ج) والشكل (12 – د) مما يؤكد ما أشرنا إليه من وجود النغمة المستوية أثناء أداء السكت [2].

ولا يفوتني أن نشير إلى أنّ زمن السكتة أقل من زمن الوقف وهذا ما سجلناه في الأداء الأول (الشكل 12- أ) إذا يظهر الفرق واضحا بين السكتة الأولى، والوقفة الثانية .

---

[1] – ينظر ابن الجزري – النشر – ج : 1 – ص : 275.

[2] – افترض الدكتور سيد بحراني أن :" مت تقاليد القصيدة العربية أن تنتهي أبياتها بتنغيم هابط ، فإذا تعلّق آخر البيت بالبيت التالي – في حالة التضمين – استبدل بالتنغيم الهابط لونا آخر من التنغيم ، هو التنغيم المستوي تبعا لنظام التنغيم في اللغة العربية " ينظر: سيد بحراني– التضمين في العروض و الشعر العربي – مجلّة فصول – القاهرة – أبريل سبتمبر 1987 ، وعلي السيد يونس – جماليات الصوت العربي (دراسات لغوية ونقدية) – القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – ط.1 – 2002- ص: 56،و57،و58.

الخاتمة وآفاق البحث:

إن حصاد قراءتنا لمضامين البحث بما تقتضيه الخطة التي نهجناها في المعالجة والدراسة ، أوصلنا إلى تسجيل النتائج التي فضّلنا أن نعدّها على الترتيب الآتي :

أوّلا : فمن فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة الإسلامية اختصاصها بالقرآن الكريم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تكفل الله بحفظه دون سائر الكتب ولـــم يكل حفظه إلينا قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [1] .

وقد تبين من البحث والدراسة أن الوحي هو المصدر الوحيد للقراءات المتواترة على اختلاف وجوهها ، وليس للأئمة القراء أدنى اجتهاد في اختراع أي وجه ، أو ترجيح متواتر على متواتر ، إذ تقرر أن القراءات سنة متبعة تُؤْخذ عن طريق التلقي والرواية ، وليست رأيا ودراية.

ثانيا : تأكيد أن القراءات جميعها حق ، واختلافها حق ، لا تضاد فيه ولا تناقض ، لأنه اختلاف تنوع وتكامل ، والاختلاف المنفي عن القرآن العظيم هو اختلاف التضاد والتناقض ، بل لقد تقرر أن تعدد القراءات هو ضرب من الإعجاز القرآني ، لا يستطيع أن يأتي به بشر قط من عنده ، ثم لا يستطيع أن يبلّغه على هذا الوجه الشامل إلاّ رسول من عند الله حقا لذلك لم يحط إمام واحد بكل القراءات.

ثالثا : لقد ثبت بعد مناقشة الاصطلاح الشائع حول التصنيف الثلاثي للقراءات متواتر وآحاد و شاذّ وتقديم الأدلة ، ترجحّ وجوب المصير إلى التسمية الثنائية وهي متواتر وشاذ فقط لأننا إزاء نص خاص وهو القرآن ، إما إثباته أو نفيه ، وأن المتواتر

هو القرآن يقينا وقطعا وهو الذي تثبت به الأحكام الشرعية والاستدلال به ، والتعبد به.

رابعا: آثر البحث مصطلح (الإخبار) الذي تردّد عند بعض العلماء مرادفا لمصطلح الخبر لعدم الـــتباسه بمصطلح النحاة وأهل الحديث ، كما أسلمته طبيعة التغاير القرائي إلى الاستعاضة عن مصطلح (الإنشاء) بذكر أنواعه المتعاقبة مع أسلوب الإخبار في القراءة ، كتعاقب الإخبار مع الاستفهام ، والإخبار مع الأمر ، والإخبار مع النهي.

وإذا كان الناظر في بلاغة الخطاب يُدرك بداهة أن لكل أسلوب من هذه الأساليب مقاما يقتضيه ، فإن تغاير طرائق التعبير في الموضع الواحد بين أسلوب وآخر كان مما استرعى نظر المتعاملين مع القراءات القرآنية منذ محاولاتهم الباكرة ، فراحوا يستشرفون أسراره ودواعيه ، ويعللون له بأوجه متنوّعة تشي حال اجتماعها باستقصاء مقامات الخطاب وتصوير أحوال المخاطبين في مقام القصّ والمحاورة ، مدركين في الوقت نفسه تلك الأغراض البلاغية التي تخرج إليها هذه الأساليب عن أصل معناها.

واسترعى نظرنا كذلك إدراكهم لتجاوب طرائق الأداء مع الصياغة في إبراز هذا الوجه أو ذاك ، وقد تجلّى ذلك في إلحاحهم في بعض المواضع التي تغايرت قراءاتها بين الإخبار والاستفهام ، على أن المعنى فيها محمول على إرادة الاستفهام ، اعتمادا على طريقة أداء الآية بنغمة معيّنة تُشعرنا بتقدير لفظ الاستفهام ومعناه ، وهذا الذي فطن إله علماؤنا ونصّوا عليه أحيانا هو ما اصطلح المحدثون على تسميته (بالتنغيم) الذي يقوم في الكلام المنطوق مقام العلامات في الكلام المكتوب ، لذلك كان لمسلك علمائنا القدامى حين ألحّوا على تقدير المحذوف ما يبرّره، إذ لم يكن لديهم –كما يقول الدكتور تمام حسان – نظام الترقيم كالذي نعرفه الآن ، فضلا عن أن التراث قد وصلنا مكتوبا تتضح فيه العلاقات بالأدوات ، لا منطوقا تتضح فيه العلاقات

بالنغمات ، فكان لزاما عليهم أن يستعيضوا عن ذلك بتقدير المحذوف والمحافظة على ذكره ضمانا لأمن اللبس.

خامسا: من خلال ما وصلنا من بحث لغوي قديم بخصوص اللهجات العربية والأداءات الشعرية والقراءات القرآنية تبيّن لنا أن للأداء دورا كبيرا في المحافظة على اللغة ، بل إنّ سلامة اللغة – وهي عبارة عن أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم– مرهون بحسن أدائها والتمرّس على ذلك ، ولعلّ من أهمّ مظاهر هذا الأداء التنغيم والنبر وقد وُجِدا عند القدامى بمصطلحات أخرى كالهمز ، والإظهار ، والتشديد وطول الصوت أو مطل الحركات وغيرها ، وقد كان للقرّاء قصب السبق في إدراك هذا الأمر إذ نصّوا على أنّ القراءة لا تُتلقّى إلاّ بالسماع والمشافهة .

إنّ الدرس اللغوي الحديث – خاصة في المستوى الصوتي منه– أفاد الكثير من الدراسات اللسانية المعاصرة وما توصّل إليه المحدثون في هذا الحقل وتعامل مع التنغيم والنبر في ثوبه الجديد وأمكننا تسجيل النقاط الآتية:

1 – إنّ النبر في تقدير القدامى يمثّل ظاهرة صوتية ، في حين لاحظه المحدثون على أنّه ظاهرة لغوية يجب دراستها لأنّها ذات تأثير في نسق اللغة المنطوقة .

2 – إن التنغيم والنبر من الظواهر السياقية الإيقاعية التي تحدث في المستويات الثلاثة للغة ، وهما ظاهرتان لا تحدّدهما علامة خطّية في اللسان العربي بقدر ما يحدّدهما المقام أي الدراسة فوق المقطعية أو التطريزية .

3 – إن التنغيم والنبر من الطاقات الكامنة ، لا يحقّقها إلاّ السياق اللغوي التّام الذي تكاملت فيه الرؤية بين الأنشطة الثلاثة (التشكيل الصوتي والتشكيل الإيقاعي و النشاط المعنوي).

4 – إن التنغيم والنبر من العوامل الأساسية في تحديد أنواع التّشكّلات الإيقاعية من حيث أنهما يتمتّعان بوظيفتين اثنتين ، وظيفة صوتية إيقاعية ، ووظيفة لغوية سياقية.

5 – إنّ النبر عند الشاعر يمثّل وسيلة هروب من بعض الكراهات حفاظا على الوزن الموسيقي ، وهو بهذا الشكل يخضع للذوق أكثر ممّا يخضع لشيء آخر ، والقرآن الكريم بقراءاته المتعددة المتواتر منه والشّاذ يؤكّد إعجازه التلاوي الاهتمام بالتشكيل الإيقاعي تجويدا وترتيلا.

6 – يصعب التمييز بين ظاهرتي النبر والتنغيم الإيقاعيتين ، عندما يعرّف النبر على أساس أنه ضغط وارتفاع ، أي أنّه جامع بين نبر شدّة ونبر موسيقى ، وهذا الأخير قد يُؤدي وظيفة التنغيم أو موسيقى الكلام .

7 – إن للتنغيم والنبر وظيفةً حيوية أثناء الأداء ، تبيّن الخصائص الصوتية والإيقاعية الدقيقة لأي لسان .

8 – إن التنغيم والنبر من الظواهر الصوتية الفيزيائية التي يمكن إخضاعها للتجربة المعملية (المخبرية) ، وهذا ما حاولنا تطبيقه في الباب الثالث وقد اكتفينا فيه بمدوّنة القرآن الكريم وقراءاته المختلفة بأداءات محدودة لبعض الآيات وهي تجربة حاولنا من خلالها ملامسة الدراسات التجريبية المعملية لعلم الأصوات وهي لا شك غير كافية ، لكن نزعم لأنفسنا السبق في هذا المجال في جامعات الجزائر عموما أو على الأقل في جامعة تلمسان .

– وقد جاءت نتائج الدراسة التطبيقية كما يأتي:

أ : إن الجمل الخبرية أكثر طولا من حيث المدة الزمنية ، ويبدأ فيها التردد الأساسي منخفضا نسبيا ثم يرتفع منتصف الجملة ليصل إلى أقل انخفاض بنهايتها.

ب : إن الجمل الاستفهامية تنقص عن سابقتها في المدة الزمنية بقليل ولعل مرد ذلك إلى سرعة الأداء التي يتطلبها الأسلوب الإنشائي (الاستفهام) في صيغته .

ج : الجمل الاستفهامية تنتهي بارتفاع ملحوظ للتردد الأساس ، ويظهر الفرق في هذا التردد على مستوى الكلمة ، فالمقطع الأول غالبا ما يكون تردده أعلى من المقطع الثاني .

د : إن الجمل التعجبية تشبه ما سجلناه في الأسلوب الخبري عموما مع وجود فارق طفيف هو : أن التردد الأساس يعلو في وسط الجملة وينتهي بوثيرة متوسطة تظهر في المنحنى وكأنها تجمع بين خصائص نهاية منحنى الأسلوب الخبري وخصائص نهاية منحنى الأسلوب الاستفهامي.

هـ : إن الجمل في أسلوب الأمر تحتاج على ما يبدو فراغا للوقوف والتنفس ليُحدث المتكلم أثناء الاستئناف صيغة الضغط (النبر) على الكلمة المعنية ليظهر أسلوب الأمر جليا في الأداء ، وبدأ التردد الأساس في الصعود منذ البداية وانتهي بانخفاض واضح ، وهذا يعني أن أسلوب الأمر يكون التغير فيه تبعا لموضع الضغط (النبر) الحادث أثناء الأداء المظهر لصيغة الأمر .

و : إمكان استثمار الدراسة التطبيقية باستخراج الخصائص البيانية للمنحنيات والطيف لتحديد نوع الأسلوب –خبري أو إنشائي- لفائدة الفئات الخاصة كالصم البكم ونكتفي بالصورة المرئية .

إن الدراسات التطبيقية في علم الأصوات مازالت في حاجة إلى تكثيف الجهود وتظافرها من مختلف التخصصات علّها أن تعطي نتائج أكثر دقّة وفاعلية لخدمة الحرف العربي في عصر العولمة والتطور السريع للتكنولوجيا.

إن هذه الرسالة إسهام متواضع في حقل الدراسات الصوتية ذات العلاقة بالقرآن الكريم وقراءاته المختلفة وتمثل جزءا من القضايا التي تتطلب الكثير من البحث والإثارة.

وقد بدا لنا – بعد هذا الجهد – أن نكلل بحثنا بهذه الاقتراحات .

1 – لعلّنا لا نغالي إذا قلنا أنّنا بحاجة إلى إعادة قراءة القرآن الكريم بطريقة أدائية تنغيمية حتّى يسهل علينا فهمه وتذوّق معانيه وهذا ما دعا إليه الدكتور كمال بشر وإن خالفه البعض [1].

2 – إننا بحاجة ماسة إلى وقفة علمية فاحصة أمام هذا الزخم الهائل من القراءات القرآنية متواترها وشاذها لإمكان الإفادة منه في مختلف التخصصات خصوصا في المجال اللغوي وإبراز الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

3 – استثمار الإعلام الآلي في علم القراءات بمحاولة إصدار برامج تجمع القراءات القرآنية أصولا وفرشا – أي كتابة – وصوتا لتسهيل عملية التلقين تعلما وتدريبا وإن كنا لا ننكر ضرورة التلقي مشافهة عن الشيخ.

4 – علينا أن نهتم بالقراءات القرآنية وأن نبحث عن مخطوطاتها وإحياء هذا التراث الخالد بالتحقيق العلمي الجاد لينتفع به المسلمون بل والبشرية ، إذ يمكن القول إن القراءات – متواترها وشاذها – هي من أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية– إن لم تكن أغناها على الإطلاق– التي تصلح للدراسات، والتي يلمح فيه الدارس صورة هذه اللغة في تاريخها الخالد .وإنّنا لنتطلّع إلى اليوم الذي نرى فيه تعميم تدريس القراءات

---

[1]– يقول سعد عبد الله : " ولست مع الدكتور كمال بشر في تلاوة القرآن الكريم على هذا النحو لأن ذلك يفسد جمال ترتيب الآيات فكيف نقرأ قوله تعالى : ﴿ قال ولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي ﴾ من الآية 260 من سورة البقرة ، أو قوله تعالى : ﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنّا لنراك في سفاهة وإنّا لنظنّك من الكاذبين ﴾ الآية 66 من سورة الأعراف . ففي الآية الأولى لو قرئت كما يلقى السؤال والجواب لخرجنا بها عن ترتيل القرآن الكريم ، وكذلك الآية الثانية فإنّ التنغيم يعني أن ينطلق مَقول القول بتنغيم صاعد يطغى على جمال النسق القرآني . والخلاصة أن القرآن الكريم بأحكام تجويده وترتيله يجب أن يبقى بعيدا عن أساليب الكلام المعتاد " ينظر: سعد عبد الله – الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين – ص: 58،و59.و نقول : إن أداء القرآن الكريم بطريقة تنغيمية يمكن استثماره على الأقل بوصفه قراءة تفسيرية لفهم معانيه بشكل أوضح ، وهذا لا يعني إطلاقا تعطيل تلاوته مرتلا ومجوّدا .

القرآنية بالشكل الكاف على غرار ما هو موجود في بعض الدول العربية والإسلامية، ويكفي الإنسان فخرا أنه يتعامل حينئذ مع كتاب الله فلعلّه يُكتب من خدّامه.

والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما .

وبالله وحده التوفيق والسداد.

الفهـــارس

فهرست الآيات القرآنية

الآيات القرآنية	رقمها	سورتها	الصفحة
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾	2-1	الفاتحة	100
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ	7	الفاتحة	158
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ	20	البقرة	160
هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ	31	البقرة	160
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾	76	البقرة	75
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا	83	البقرة	117
إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ	119	البقرة	125
۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ	124	البقرة	185
وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾	125	البقرة	109
فَسَيَكْفِيكَهُمُ	137	البقرة	156

135	البقرة	178	فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ
122	البقرة	228	وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ
125	البقرة	272	۞لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ
176	البقرة	286	وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ
23	آل عمران	26	قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ
74	آل عمران	37	وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
22	آل عمران	133	۞وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾
22	آل عمران	184	جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ
26	المائدة	99	مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
91	المائدة	106	فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾	19	الأنعام	77
وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	105	الأنعام	105
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا	115	الأنعام	69
قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ	123	الأعراف	78
أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ	3	التوبة	24
فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا	82	التوبة	106
جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ	100	التوبة	22
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ	76	يونس	98
أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا ۗ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ	77	يونس	94
فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ	81	يونس	92
أَنُلْزِمُكُمُوهَا	28	هود	156
قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ	89-90	يوسف	80
۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ	05	الرعد	87
وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا	33	الإسراء	20

وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم	64	الإسراء	106
قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا	75	مريم	103
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ	71	طه	78
وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا	112	طه	123
قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ	04	الأنبياء	111
ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً	3	النور	121
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	22	الشعراء	81
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ	49	الشعراء	78
لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ	66	العنكبوت	105
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾	18-19	سبأ	113
وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ	66	يس	107

أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾	151 – 154	الصافات	83
ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ	40	فصلت	106
لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾	42	فصلت	16
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ	44	فصلت	95– 96
وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾	30– 31	الدخان	97
أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ	16	الزخرف	83
أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ	20	الأحقاف	85
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ	36	ق	107
أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ	39	الطور	83
أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ	21	النجم	84
مُدْهَآمَّتَانِ	64	الرحمن	150 158
وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ	47	الواقعة	87

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم	-10 11	الصف	102
مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ			
فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ	10	الجمعة	136
وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا	13	الجن	123
إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾	-17 18	القيامة	4
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾	-29 30	المرسلات	107

فهرست المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

1- **إبراهيم أنيس**- الأصوات العربية- مصر-دار النهضة العربية-ط.1 -1961م.

2- **إبراهيم أنيس** – دلالة الألفاظ – القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية- ط.3- 1976 م.

3- **إبراهيم أنيس**- موسيقى الشعر –القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية - ط.3 – 1965 م.

4- **ابن الأثير ضياء الدين**-المثل السائر-ت:أحمد الحرفي ،وبدوي طبانة-القاهرة – مطبعة نهضة مصر – د.ط – 1379هـ - 1959م.

5-**أحمد أمين** –النقد الأدبي – الجزائر- وحدة رغاية- طبعة أنيس موفم- د.ط- 1992 م.

6- **أحمد درويش** – الأسلوب بين المعاصرة والتراث – القاهرة- مكتبة الزهراء- د.ط-د.ت.

7- **أحمد الشايب** – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – ط.6 – 1966م.

8- **أحمد مختار عمر**- البحث اللغوي عند العرب- عالم الكتب - ط.4 -**1402** هـ- 1982م.

9- **أحمد مختار عمر** – دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته – القاهرة- عالم الكتب- ط.1-1421هـ- 2001م.

10- **الإربلي علاء الدين** – جواهر الأدب في معرفة كلام العرب – تحقيق :حامد أحمد نبيل – القاهرة –مكتبية النهضة المصرية-د.ط-1984م.

11- **الألوسي شهاب الدين**– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-

بيروت – دار الفكر- د.ط – 1983م.

12- **الأشموني أحمد عبد الكريم** – منار الهدى في بيان الوقف والابتداء- القاهرة – مطبوعة مصطفى الحلبي- ط.2 –1973م.

13- **إدريس السفروشني** – مدخل للصواتة التوليدية –المغرب- دار توبقال للنشر- ط.1- 1987م-

14- **الإستراباذي** - شرح شافية ابن الحاجب - ت : محمد نور الحسن و محمد الزفزاف و محمد محي الدين عبد الحميد- بيروت - دار الكتب العلمية-1402 هـ-1982 م

15- **الأنطاكي محمد**-الوجيز في فقه اللغة-منشورات دار الشرق- ط.2- د.ت.

16- **الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب**-إعجاز القرآن- ت:أحمد صقر – القاهرة – دار المعارف - د.ط – 1954مو1972م.

17- **برند شبلنر**- علم اللغة والدراسات الأدبية-ترجمة وتعليق:محمد جاد الرب – القاهرة – الدار الفنية للنشر والتوزيع – د.ط – 1987م.

18- **البدراوي زهران** – أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث – مصر - القاهرة- دار المعارف – ط.1- د.ت.

19- **البطليوسي ابن السيد** – الاقتضاب في شرح أدب الكاتب- تحقيق:مصطفى السقا و حامد عبد المجيد- القاهرة- الهيئة العامة للكتاب- د.ط-1981-1983.

20- **أبو البقاء العكبري**-التبيان في إعراب القرآن –تحقيق: علي محمد البجاوي – بيروت –دار الجيل ط.2- 1987م.

21-**البنا محمد إبراهيم** -الإعراب سمة الفصحى- القاهرة- دار الإصلاح- د.ط- 1401 هـ-1981م

22- **البنا الدمياطي**- إتحاف فضلاء البشر-مصر- طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي- د.ط-د.ت-

23- **البنا الدمياطي** _إتحاف فضلاء البشر في القراءات الربع عشر _ مراجعة وتصحيح علي محمد الضباع – مصر-طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي- د. ط _ د . ت .

24- **البوطي محمد سعيد رمضان** - من روائع القرآن تأملات علمية و أدبية في كتاب الله عز و جل – بيروت – مؤسسة الرسالة –د .ط- 1416 هـ-

25- **بيار جيرو** – الأسلوب والأسلوبية – ترجمة: منذر عياش – لبنان – بيروت- مركز الإنماء القومي – ط.1- 1990م.

26- **التبريزي أبو زكرياء** _شرح القصائد العشر- تصحيح : عبد السلام الحوفي _ بيروت _ دار الكتب العلمية_ ط . 1 _ 1405هـ.

27- **التلمساني أبو عبد الله الشريف** – مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول-ضبط وتعليق : الشرف قصار-الجزائر-تيبازة - شركة النشر والإعلام- د .ط - د . ت.

28- **تمام حسان** – اللغة العربية معناها ومبناها- المغرب – الدار البيضاء – دار الثقافة للنشر – ط.1- 1978م.

29- **تمام حسان** – مناهج البحث في اللغة - المغرب – الدار البيضاء – دار الثقافة للنشر – د.ط-1407هت- 1986م.

30- **تمام حسان** -البيان في روائع القرآن-القاهرة- عالم الكتب – د.ط- 1412 هـ- 1994م.

31- **الجرجاني عبد القاهر**-دلائل الإعجاز في علم المعاني-ت: محمد رضوان الداية وفايز الداية-سوريا-دمشق- دار قتيبة- ط.1- 1403 هـ- 1983م.

32- **جرهارد هلبش** – تاريخ علم اللغة الحديث – ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحري –

مصر- القاهرة- مطبعة العمرانية للأوفست – ط.1- 2003م.

33- **ابن الجزري محمد** _ غاية التهاية في طبقات القراء _ بيروت_دار الكتب العلمية – ط. 1 _د . ت .

34- **ابن الجزري محمد**_منجد المقرئين ومرشد الطالبين- بيروت- دار الكتب العلمية _ ط . 2- _ 1400هـ _ 1980م

35- **ابن الجزري محمد**: النشر في القراءات العشر – لبنان – بيروت –طبع دار الكتب العلمية – د.ط – د.ت.

36- **ابن جزي أبو القاسم محمد المالكي**–تقريب الوصول إلى علم الأصول- تحقيق: محمد علي فركوس _الجزائر _ دار التراث الإسلامي _ط 1 _ 1410هـ_1990م .

37- **ابن جزي أبو القاسم محمد المالكي** _ تقريب الوصول الى علم الأصول _ ودراسة: محمد المختار الشنقيطي _ القاهرة _مطابع ابن تيمية _ ط. 1_1414هـ .

38- **ابن جزي أبو القاسم محمد المالكي**-كتاب التسهيل لعلوم التنزيل-بيروت- دار الكتاب العربي- ط.4 – 1973م.

39- **أبو جعفر بن النحاس**-شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات- بيروت _ دار الكتب العلمية _ ط . 1 _ 1405هـ .

40-**ابن جني أبو الفتح عثمان** – الخصائص – تحقيق :محمد علي النجار– بيروت-دار الكتاب العربي- ط . 2 – 1300هـ .

41- **ابن جني أبو الفتح عثمان**–المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها _ دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا _ لبنان _ بيروت- دار الكتب – ط.1-1419هـ- 1998م. -

42- **ابن جنّي عثمان** - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب- تحقيق:ناصف شلبي ،وعبد الحميد النجدي – القاهرة- نشر

المجلس الأعلى – د.ط – د.ت.

43–**حاجي خليفة مصطفى** ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ بيروت دار العلوم الحديثة ـ د . ط ـ د . ت .

44– **حسان بن ثابت**– ديوان حسان بن ثابت–تحقيق:وليد عرفات– بيروت–دار صادر– د.ط–د.ت.

45–**الحسن بن قاسم المرادي**– الجنى الداني في حروف المعاني – تحقيق: فخر الدين قباوة ،ومحمد فاضل– بيروت – منشورات دار الآفاق الجديدة– ط.2 –1983 م.

46– **حسني شيخ عثمان**– حق التلاوة – عمان – دار العدوي للطباعة والنشر والتوزيع – ط . 3 – 1401هـ .

47– **الحنبلي عبد الحي بن العماد**–شذرات الذهب في أخبار من ذهب– بيروت – دار إحياء التراث العربي – د.ط– د.ت .

48– **أبوحيان الأندلسي**– البحر المحيط–سوريا– دمشق–دار الفكر – ط .2 – 1403هـ .

49– **ابن خالويه الحسين بن أحمد** – الحجة في القراءات السبع – تحقيق– عبد العال سالم مكرم–بيروت– مؤسسة الرسالة– ط.5 – 1990م.

50– **ابن خالويه الحسين بن أحمد**–إعراب القراءات السبع وعللها–ت: عبد الرحمن العثيمين – القاهرة – مكتبة الخانجي – ط.1– 1992م.

51– **الخطابي أبو سليمان محمد بن محمد إبراهيم** – بيان إعجاز القرآن – تحقبق وتعليق:محمد خلف الله وغيره– مصر– دار المعارف – د.ط– د.ت.

52– **الخطيب القزويني** – الإيضاح في علوم البلاغة – لبنان – بيروت– دار الكتب العلمية – د.ط– د.ت .

53– **الخطيب القزويني**–الإيضاح في علوم البلاغة– شرح و تعليق :محمد عبد المنعم

خفاجي- بيروت- دار الجيل- ط.3- 1414هـ-1983 م .

54- **خفاجي محمد عبد المنعم وغيره** – الأسلوبية والبيان العربي – القاهرة – الدار المصرية اللبنانية – ط.1 – 1412هـ - 1992م.

55- **ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد** – مقدمة ابن خلدون — لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية – ط.1- 1413هـ- 1993م.

56- **ابن خلكان أحمد بن محمد أبو عباس**- وفيات الأعيان وأنباء الزمان – تحقيق : إحسان عباس- لبنان – بيروت – دار الثقافة- د.ط-د.ت.

57-**الخليل بن أحمد الفراهيدي** -كتاب العي – تحقيق : إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي- وزارة الثقافة والإعلام العراقية – د.ط –1980م.

58- **دراز عبد الله**– النبأ العظيم ـ بيروت ـ دار العلم – ط. 4 – 1971م.

59-**دراز عبد الله** –النبأ العظيم- الكويت-وبيروت-دار القلم-د.ط-1400هـ.

60- **داود عبده** – دراسات في علم أصوات العربية - الكويت مؤسسة الصباح - ط.1- 1979م.

61- **أبو ديب كمال**– في البنية الإيقاعية نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم العروض المقارن- بيروت- دار العلم للملايين- ط.2 -1981م-

62- **ابن ذريل عدنان** - اللغة والأسلوب-سوريا- منشورات اتحاد كتاب العرب- ط.1-1980.

63_**الرازي محمد بن أبي بكر**-مختار الصحاح- تحقيق:مصطفى ديب البغا-الجزائر دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط . 4 ـ 1990م .

64-**الرازي محمد بن عمر حسين فخر الدين** – التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب – لبنان – بيروت- دار الفكر – ط.3- 1985م .

65- **الرافعي مصطفى صادق** – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية –مصر- المكتبة التجارية الكبرى –ط.6- 1961، و طبعة بيروت- الكتاب

العربي- ط.8 .د.ت.

66- **الرافعي مصطفى صادق** - تاريخ آداب العرب – ضبط و تصحيح محمد سعيد العريان- القاهرة- مطبعة الاستقامة- د.ط-1953 م.

67-**رجاء عيد**- البحث الأسلوبي معاصرة وتراث - الإسكندرية- منشأة المعارف- د.ط - 1993م.

68- **الزجاجي عبد الرحمن ابن إسحاق**- تفسير رسالة أدب الكاتب- تحقيق: عبد الفتاح سليم- القاهرة- معهد المخطوطات العربية- د.ط- 1993م .

69-**الزرقاني محمد عبد العظيم** – مناهل العرفان في علوم القرآن – سوريا – دمشق – دار الفكر – د.ط- د.ت-

70- **الزركشي بدر الدين** : البرهان في علوم القرآن _ تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم-لبنان-ب يروت- دار المعرفة للطباعة والنشر- د.ط - د.ت.

71- **الزركلي خير الدين** – الأعلام قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين – بيروت- دار العلم – ط.5- د.ت.

72- **الزمخشري جار الله محمود** – الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – صححه ورتّبه :مصطفى حسين أحمد – القاهرة – نشر دار الريان للتراث – ط.3 – 1987م.

73- **ابن زنجلة عبد الرحمن**- حجة القراءات - تحقيق : سعيد الأفغاني – بيروت – مؤسسة الرسالة –ط. 2- 1399هـ - 1979.

74- **الزوزني الحسين بن أحمد**- شرح المعلقات السبع _ منشورات دار مكتبة الحياة _ د . ط _ د . ت .

75- السامرائي إبراهيم -من أساليب القرآن - بيروت- مؤسسة الرسالة- ط.2- 1407 هـ-1987م.

76- **سعد أحمد محمد**- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية- القاهرة - مكتبة الآداب - ط.1- 1418 هـ- 1998 م .

77- **سعد عبد الله الغريبي** - الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين- مكة المكرّمة - مكتبة الطالب الجامعي - ط.1 - 1406هـ - 1986م.

78- **أبو السعود العماد** - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - تحقيق : أحمد عطا - السعودية - مكتبة الرياض - د.ط -1971م.

79 - **السفاقسي علي النوري** - غيث النّفع في القراءات السّبع _ هامش سراج القارئ المبتدي_ القاهرة_ طبعة مصطفى الحلبي _ د . ط_ 1931 م

80- **السكاكي محمد بن علي**-مفتاح العلوم-لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- د.ط-د.ت.

81- **سلمان بن عمر العجلي المشهور بالجمل** - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - القاهرة - دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي) - د.ط -د.ت .

82- **السمين الحلبي**- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- ت:علي محمد عوض وآخرون-بيروت- دار الكتب العلمية -ط.1-1994.

83-**ابن سنان الخفاجي** - سر الفصاحة -شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي- القاهرة- مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده- د.ط-1969م.

84-ابن سنان الخفاجي-سر الفصاحة-ت: علي فودة-القاهرة-مكتبة الخانجي -ط.2-1994م.

85- **سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر** – الكتاب- تحقيق : عبد السلام هارون- القاهرة- مكتبة الفانجي – ط.2 – 1977 – ج.1- ص : 99.

86- **سيد قطب** - في ظلال القرآن – بيروت- دار الشروق- ط.10- 1402 هـ- 1982 م.

87- **السيوطي عبد الرحمن** ـ الإتقان في علوم القرآن ـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ دار التراث ـ ط . 3 ـ 1405

88- **السيوطي جلال الدين** - إتمام الدراية لقراء النقابة الجامع لأربعة عشر علما- مطبوع على هامش مفتاح العلوم للسكاكي – د.ط- د.ت.

89- **السيوطي جلال الدين** – شرح الجمان في علم المعاني والبيان – القاهرة – مكتبة مصطفى الحلبي – د.ط – 1939م.

90 -**السيوطي جلال الدين**- معترك الأقران في إعجاز القرآن- تحقيق : علي محمد البجاوي – القاهرة- دار الفكر العربي – د.ط- 1973م.

91-أبو شامة الدمشقي-إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع-ت: إبراهيم عطوة عوض-القاهرة-نشر مصطفى الحلبي- 1987 .

92- **شفيع سيد** – الاتجاه الأسلوبي – في النقد الأدبي – القاهرة – دار الفكر- ط.1- د.ت.

93- **شكري عياد** - موسيقى الشعر العربي - دار المعرفة – ط.2- 1978م.

94- **شكري عياد** – اللغة والإبداع : مبادئ علم الأسلوب العربي – القاهرة- أنترناشيونال للطبع والنشر - ط.1 – 1998م.

95- **شوقي علي الزهرة** - الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري- دراسة مقارنة- القاهرة- مكتبة الآداب - د.ط - 1996م.

96- **الشوكاني محمد بن علي**- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول – بيروت-دار الفكر- د.ط- د.ت .

97- **الشوكاني محمد بن علي** – فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير – بيروت- عالم الكتب –د.ط –د.ت .

98- **الشنقيطي عبد الله بن إبراهيم** - نشر البنود على مراقي السعود - المغرب- المحمدية- مطبعة فضالة – د.ط- د.ت.

99- **الشيخ حسين عثمان**- حق التلاوة -السعودية- جدة- دار المنارة- ط.10- د.ت.

100- **الشهاب الخفاجي** – حاشية الشهاب المسماة : عناية القاضي زكفاية الراضي على تفسير البيضاوي-بيروت -دار صادر د.ط – د.ت .

101- **صبري المتولي المتولي** – التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم- القاهرة-دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع-ط.1- 1998م.

102- **الصفصافي أحمد المرسي القطوري**- علم اللغة التقابلي وتطبيقاته على اللغات الشرقية -القاهرة-دار الآفاق العربية-ط.1-1422هـ-2001م.

103- **صلاح إسماعيل عبد الحق** –التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد–لبنان – روت-دار التنوير للطباعة والنشر- ط.1- 1993م-ص: 164.

104- **صلاح فضل** – علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته -القاهرة- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- ط.2-1419هـ- 1998م

105- **طاش كبرى زاده** _ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - بيروت - دار الكتب العلمية - ط . 1- 1405هـ .

106- **طه حسين** - في الأدب الجاهلي - مصر- دار المعارف- ط .2- د . ت .

107- **عائشة بنت الشاطئ** – التفسير البياني للقرآن الكريم –مصر–دار المعارف- ط .2- 1966.

108- **عبد الحسن الحسيني** - معجم مصطلحات علوم التكنولوجيا – لبنان-

بيروت- دار القلم – ط.1- 1407هـ-1987م.

109- **عبد السلام المسدي** – النقد و الحداثة – لبنان – بيروت- دار الطليعة للطباعة و النشر – ط.1- 1983-

110- **عبد الصبور شاهين**- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي- بيروت - مؤسسة الرسالة- 1400 هـ - 1980 م

111- **عبد الصبور شاهين** - تاريخ القرآن - القاهرة - دار الكتاب للطباعة والنشر - د.ط - 1966.والمطبعة العلمية -ط . 1 _ 1419هـ_1998م.

112- **عبد الصبور شاهين** – القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث – مصر - دار القلم – د.ط-1966م- وطبعة القاهرة – مكتبة الخانجي – د.ط – د.ت.

113- **عبد العال مكرم ، وأحمد مختار عمر** - معجم القراءات القرآنية – الكويت- مطبوعات جامعة الكويت- ط.1-1405هـ 1985-

114- **عبد الفتاح السيد نجمي**- هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري - الرياض - مؤسسة الجريسي - ط . 1 - 1402هـ .

115- **عبد القادر مرعي العلي الخليل** – المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة الحديث-مطبعة جامعة مؤتة- ط.1- 1993م.

116- **عبد المتعال الصعيدي** – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة – مصر- المطبعة النموذجية – د.ط –د.ت-.

117- **عبد الهادي الفضلي** - القراءات القرآنية تاريخ وتعريف-جدة - نشر مكتبة دار المجمع العلمي - د . ط - 1399هـ .

118- **العسقلاني أحمد بن علي بن حجر** _ فتح الباري شرح صحيح البخاري _

بيروت_دار المعرفة للطباعة والنشر _د.ط _د.ت

119- **العسقلاني أحمد بن علي بن حجر**- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - تصحيح : سالم الكرنكوي - الهند - حيدر أباد- مطبعة دائرة المعارف العثمانية- د . ط-د . ت.

120- **العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله** - الصناعتين- ت: علي محمد البجاوي وغيره- القاهرة- عيسى الحلبي وشركاؤه -د.ط- 1971 م.

121- **عصام نورالدين** – علم الأصوات اللغوية – الفونيتيكا – لبنان – بيروت – دار الفكر اللبناني – ط .1 – 1992م.

122- **عضيمة محمد عبد الخالق** – دراسات لأسلوب القرآن الكريم – القاهرة – دار الحديث – د.ط- 1972م-

123- **علي الجارم و مصطفى أمين** – البلاغة الواضحة – القاهرة – دار المعارف-ط.1- 1969م.

124- **علي السيد يونس** – جماليات الصوت العربي (دراسات لغوية ونقدية) – القاهرة-دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع-ط.1- 2002م.

125- **عمر السلامي** – الإعجاز الفني في القرآن- تونس- مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، و مصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع- د . ط- 1980.

126- **غنيمي محمد هلال**- النقد الأدبي الحديث- لبنان- بيروت- دار العودة- د.ط- 1976 م.

127- **ابن فارس أبو الحسين أحمد** _ معجم مقاييس اللغة – تحقيق عبد السلام هارون_ إيران- نجفي إسماعيليان- دار الكتب العلمية -د . ط- د . ت .

128- **الفارسي أبو علي** – الحجة للقراءات السبعة – تحقيق :بدرالدين قهوجي وغيره – دمشق وبيروت – دار المأمون للتراث – ط.1– 1984م.

129- **الفتوحي صديق بن حسن خان** – أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم – دمشق- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – د.ط – 1978م.

130- **الفيروز أبادي محمد بن يعقوب**- القاموس المحيط - بيروت - دار العلم للجميع - د . ط _ د . ت.

131- **ابن القاصح علي بن عثمان** _ سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي _ مراجعة علي الضباع –بيروت-دار الفكر _ د . ط _ 1403هـ.

132- **القاضي عبد الفتاح** _ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية 100_ ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها _ لبنان _ دار الكتاب العربي _ ط . 1 _ 1401هـ .

133- **القاضي عبد الفتّاح** _ القراءات الشاذّة وتوجيهها من لغة العرب_ بيروت _ دار الكتاب العربي _ ط.1_ 1401هـ _1981م .

134- **ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم**- تأويل مشكَل القرآن- شرح: أحمد صقر- مصر- القاهرة-دار التراث- ط.2-1393هـ - 1973م.

135- **ابن قتيبة** – أدب الكاتب- تحقيق: محمد الدالي- بيروت- مؤسسة الرسالة - ط.2- 1985م.

136- **القرطبي أبو عبد الله محمد** _ الجامع لأحكام القرآن _لبنان – بيروت- دار إحياء التراث _ط . 2 _ 1967م.

137- **القسطلاني شهاب الدين** _ لطائف الإشارات لفنون القراءات _تحقيق :

عامر السيد عثمان وزميله _ القاهرة – لجنة إحياء التراث الإسلامي _ د . ط _ 1392هـ .

138- **قمحاوي محمد صادق** _ البرهان في تجويد القرآن _ لبنان _ بيروت_ عالم الكتب _ د.ط_ د . ت .

139- ا **بن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر**– زاد المعاد في هدي خير العباد–تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط – بيروت– مؤسسة الرسالة_ ط . 7 _1407هـ.

140- **كمال بشر**–علم الأصوات–القاهرة–دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (طبعة جديدة ومنقّحة) – ط.1- 1420هـ–2000م.

141- **كمال بشر** – علم اللغة العام – القسم الثاني الأصوات– مصر دار المعرفة– د.ط– 1971م.

142- **لبيب سعيد** – المصحف المرتل– القاهرة– دار المعارف – ط. 2 – د . ت

143- **لبيب السعيد** – دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسّر – القاهرة– دار المعارف – ط.1- 1987م.

144- **مازن الوعر**– دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة– سورية–دمشق– دار المتنبي للطباعة والنشر– ط.1 – 2001م.

145- **مالمبرج برتيل** – الصوتيات – ترجمة : محمد حلمي هليل – القاهرة – العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية– د.ط – 1994م .

146- **مبارك حنون** – في الصواتة الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاسيكية– الرباط–مطبعة الكرامة ودار الأمان –ط.1- 1424هـ – 2003م

147- **ابن مجاهد أبو بكر**– السبعة في القراءات – ت: شوقي ضيف– القاهرة –

دار المعارف- ط.2-1980.

148- **مجدي إبراهيم محمد إبراهيم** – في أصوات العربية دراسة تطبيقية – القاهرة- مكتبة النهضة المصرية– ط.1-1422هـ- 2001م-

149- **مجدي وهبة** – معجم المصطلحات الأدبية – لبنان – بيروت – مكتبة لبنان –ط.1- 1974م.

150- **محب الدين بن عبد الشكور**- مسلم الثبوت شرح فواتح الرحموت – مطبوع على هامش المستصفى للإمام الغزالي – بولاق –مطبعة الأميرية–ط.1- 1324هـ .

151- **محمد إبراهيم الحفناوي** - دراسات في القرآن الكريم – القاهرة – دار الحديث – د.ط- د.ت.

152- **محمد الزرقاني** _ مناهل العرفان في علوم القرآن_سوريا_دمشق _دار الفكر _د.ط_د.ت.

153- **محمد سالم محيسن** _ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة _ بيروت_دار الجيل _ مكتبة الكليات الأزهرية _ ط . 2 _1984هـ .

154- **محمد سالم محيسن**- المقتبس في اللهجات العربية والقرآنية_مصر _مكتبة القاهرة _ ط . 1_ 1399هـ .

155- **محمد سالم محيسن** _ المهذَّب في القراءات العشر وتوجيهها من طيبة النّشر _ القاهرة–دار الأنوار للطباعة–ط.2-1389هـ _ 1978م .

156- **محمد عبد المطلب** – قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني – القاهرة- الشركة العالمية للنشر (لونجمان)د.ط- 1995م.

157- **محمد أبو موسى** – البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري – القاهرة – مكتبة وهبة – ط.2 – 1988م.

158- **محمود فهمي حجازي** –علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة – القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر –ط.2 –1995.

159- **محمود فهمي حجازي** – مدخل إلى علم اللغة – القاهرة- دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- طبعة جديدة مزيدة ومنقّحة – د.ط – 1998م-

160- **محيي الدين رمضان** – في صوتيات العربية- عمان – مكتبة الرسالة الحديثة – د.ط-د.ت

161- **مصطفى حركات** – الصوتيات والفونولوجيا – الجزائر- الأبيار- دار الآفاق – د.ط- 1992م.

162- **المطيعي محمد بخيت** - الكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن- القاهرة- المطبعة الخيرية-د. ط -1323هـ .

163- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** – رتّبه ونظّمه لفيف من المستشرقين ونشره : أ.ي .وِنْسِنك- تركيا-إستانبول- دار الدعوة – تونس- دار سحنون-ط.2- 1988م

164- **المقري أحمد بن محمد** _ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب _ تحقيق : إحسان عباس _ لبنان _ بيروت_ دار صادر _ د.ط_ 1388هـ_1968م .

165- **مكي بن أبي طالب**- الإبانة عن معاني القراءات- تحقيق: عبد الفتاح شلبي- الرياض- المكتبة الفيصلية-ط.3-1405هـ .

166- **مكي بن أبي طالب** – الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها – تحقيق : محيي الدين رمضان – دمشق – مطبوعات جامعة الدول العربية- – د.ط – 1974م.

167- **مكي بن أبي طالب** – مشكل إعراب القرآن – تحقيق : حاتم صالح الضامن – بيروت –مؤسسة الرسالة- ط.4 – 1988م.

168- **مناع القطان** - مباحث في علوم القرآن – بيروت – مؤسسة الرسالة- ط . 1 – 1982م .

169- **منصور بن محمد الغامدي** - الصوتيات العربية - السعودية – الرياض- مكتبة التوبة -ط .1-1421-2001م

170- **ابن منظور محمد بن مكرم** ـ لسان العرب- بيروت- دار صادر ,ودار إحياء التراث العربي-ط.1 ـ 1300هـ .

171- **موسوعة الفقه الإسلامي** – يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة- دار الكتاب المصري- لبنان – بيروت- دار الكتاب اللبناني- د.ط- 1411هـ- 1990م

172- **ناجي مجيد عبد الحميد** – الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية – بيروت – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – ط.1 – 1984م.

173- **نايف معروف** - الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين – لبنان – بيروت- دار النفائس – ط.1- 1410 هـ- 1990م-

174- **النجار محمد عبد الله** - علم أصول الفقه ـ القاهرة ـ مطبعة محمد علي وأولاده ـ ط . 5 ـ 1385هـ ـ 1966م.

175- **النحاس أبو جعفر** – إعراب القرآن – تحقيق: زهير غازي زاهر- بيروت- مكتبة عالم الكتب و النهضة العربية-د.ط- 1985 م

176- **النديم محمد بن إسحاق** ـ الفهرست ـ حققه وقدم له : مصطفى الشويمي ـ تونس – الدار التونسية للنشر ـ والمؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ د . ط ـ 1406هـ ـ 1985م.

177- **النسفي أبو عبد الله بن محمود** – تفسير النسفي – القاهرة – دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي) د.ط – د. ت

178- **نورالدين السد** – الأسلوب وتحليل الخطاب-الجزائر- دار هـ – د.ط-

د.ت.

179- **النيسابوري الحسن محمد القمّي** – غرائب القرآن ورغائب الفرقان – مطبوع بهامش جامع البيان للطبري .

180- **وليد العناتي**- اللسانيات التطبيقية و تعليم اللغة العربية لغير الناطقين – الأردن-الجوهرة للنشر و التوزيع-ط.1- 1424هـ- 2003م.

181- **ابن يعيش موفق الدين** – شرح المفصّل – بيروت – مكتبة عالم الكتب – والقاهرة –مكتبة المتنبي – د.ط – د.ت .

182- **ابن هشام الأنصاري المصري**- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب -تحقيق:الشيخ محي الدين عبد الحميد-د.مطبعة- د.ط- د.ت.-

183- **هريدي أحمد عبد المجيد** – الألعاب الكلامية اللسانية دراسة صوتية تركيبية – القاهرة- الشركة الدولية للطباعة ونشر مكتبة الخانجي – ط.1- 1420هـ - 1999م

184- **الهمداني حسين بن أبي العز** - الفريد في إعراب القرآن المجيد - ت : محمد حسن النمر وفؤاد علي مخيمر-قطر-دار الثقافة - ط.1- 1411هـ.

المخطوطات

1- **النويري** ـ النويري على شرح الطيبة ـ محفوظ بمكتبة الأزهر برقم : 374 قراءات

الرسائل الجامعية

1- **أحمد سعد محمد** – الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي – رسالة ماجستير – كلية البنات – جامعة عين شمس – نوقشت سنة :1990.

2- **خيرالدين سيب** – الفروق الصرفية والنحوية بين القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام " نماذج"- رسالة ماجستير- إشراف :أ.د: محمد عباس – معهد اللغة العربية وآدابه بجامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان نوقشت في ديسمبر 1997م.

3- **عبد الشكور سامي محمد سعيد** -القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرها في التفسير والأحكام دراسة مقارنة -رسالة ماجستير- إشراف:د:أحمد محمد صبري-الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية-نوقشت سنة :1420هـ.

4- **عبد الله عليوة حسن** – التوجيه البلاغي في القرءات القرآنية – رسالة دكتوراه – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر- القاهرة – نوقشت سنة : 1986هـ.

5- **عبد المحسن سعيد احمد الزهراني** –الزيادة على النص دراسة وتطبيق- إشراف : د : صالح عبد الله بن حميد- كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة المملكة العربية السعودية – نوقشت سنة409هـ.

6- **عمار ساسي** – في إعجاز القرآن الكريم دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات الأحكام – إشراف :أ.د :جعفر دك الباب – رسالة ماجستير – جامعة الجزائر – معهد اللغة العربية وآدابها – نوقشت سنة : 1993م.

7-**محمد الحبش**-القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الاعتقادية الفقهية-رسالة دكتوراه- إشراف:أ.د:أحمد علي الإمام وأ.د:وهبة الزحيلي-جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان السودان – نوقشت سنة 1416هـ - 1996م.

8- **محمد مشهوري محمد نعيم**-الاحتجاج بالقراءات الشاذة وأثرها في اختلاف الفقهاء – رسالة ماجستير- إشراف: د :محمد إبراهيم الحفناوي- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية – نوقشت سنة 1409هـ.

الدوريات

1- **الأطرش أحمد السنوسي** – علاقة الأحكام الشرعية بالإعراب – مجلة الحضارة الإسلامية – وهران – العدد الثاني ذو الحجة 1416هـ – أفريل 1996م .

2 – حمادي صمود – المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية – مجلة الجامعة التونسية – تونس – العدد الأول – سنة 1981 م – 235.

3 – **سليمان بن إبراهيم العايد** – القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلّع إليه التراث– العدد الأربعون–جريدة البلاد–العدد 15826– شعبان1420هـ.

4–سيد بحراني– التضمين في العروض و الشعر العربي – مجلّة فصول – القاهرة – أبريل– سبتمبر– 1987 .

5 – **مرفت محمد أحمد فشل –** الغنة في حالة إدغام النون في الياء والواو في تلاوة القرآن الكريم " دراسة تجريبية " مقال بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية – جامعة الكويت–العدد الخامس والستون – السنة الرابعة عشر – سنة 1999م.

6 – المهدي البوعبدلّي – اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث– كتاب الأصالة : ملتقى القرآن الكريم (محاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر) – الجزائر – سبتمبر– 1401هـ– 1981م– الجزء الأول .

7 – **نصر سلمان** – موقف الإمام الشافعي من الاحتجاج بالقراءات الشاذة–مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة–العدد السادس–1420هـ–1999م .

المراجع باللغة الأجنبية

1 - **DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE** 2000 LA ROUSSE– PARIS - CEDEX 06- 1ER EDITION- 1993-1999 - P :1179 .

2- **F.L.LUCAS** - STYLE - LONDON - 1974.

3-**GENEVIEVE JOLY Et ARMAND COLIN** –FICHES DE PHONETIQUE – PARIS- EDITEUR – 1999

4- **GEORGE MOUNIN , DICTIONNAIRE DE** LINGUISTIQUE- PQRIS- EDITION 1-1974

5- **GLEASON HA** - INTRODUCTION A LA L'INGUISTIQUE - PARIS - LIBRAIRIE LA ROUSSE - 1969..

6–**HENRI FLEISCH** - TRAITE DE PHILOLOGY ARABE- BEYROUT-IMPRIMERIE CATOLIQUE-1961.

7- **HOUGH GRAHAM**- STYLE AND STYLISTICS - LONDON -1965.

8- **JAUNE MURRY** - THE PROBLEM OF STYLE - LONDON - 1967- P.A .

9- **JEAN BUBOIS** , DICTIONNAIRE DE LINGUISTIQUE - PARIS - - LIBRAIRIE LA ROUSSE -1989.

10–**JONES DANIEL** -AN OUTLINE OF ENGLICH PHONETICS-COMPBLIDGE 1967.

11– **PATRICE BELLOT** ET **MARC EL.BEZE** – CLASSIFICATION ET SEGMENTATION DE TEXES PAR ARBRES DE DECISION (RVEU TECHNIQUE ET SCIENCE INFORMATIQUE TRAITEMENT AUTOMATIQUE DU LANGAGE NATUREL VOLUME 20 - N° = 3/2001- P .404.

12–**PHILIPPE DELSARTE ET ANDRE THAYSE** - LE TRAINTEMENT DE LA LANGUE NATURELLE – PARIS – HERMES SEIENCE

PUBLICATIONS – 2001-P: 124ET 125.

13- PIERRE GUIRAUD - LA STYLISTIQUE - PARIS - COLL "QUE SAIT JE" 7EME ED- 1972

14-- ROSA VARGAS -ANALYSE ACCOUSTIQUE DE L ACCENT DE L ESPAGNOL PARLE - TRAVAUX DE L INSTITUT DE PONETIQUE DE STRASBOURG- 1986-N° 18

15- S.PIT CORDER – INTRODYCING APPLIED LINGUISTICS PENGRIN BOOKS – UNIVERSITY OF EDURBUNGH .

فهرست الموضوعات

مقدمة ..... أ

المدخل: القراءات القرآنية وأقسامها 1-47

المبحث الأول : تعريف القراءات 02

- المطلب الأول : تعريف القراءات لغة..... 02

1- الاستعمالات 02

2- المعاني 03

- المطلب الثاني : تعريف القراءات اصطلاحا. 06

أولا : الأصل الشرعي لكلمة قراءة 06

ثانيا : القراءة اصطلاحا 08

1- تعريف أبي حيان الأندلسي 08

2- تعريف بدر الدين الزركشي..... 09

3- تعريف ابن الجزري..... 10

4- تعريف السيوطي 10

5- تعريف شهاب الدين القسطلاني..... 11

6- تعريف طاش كبرى زادة..... 12

7- تعريف الدمياطي..... 12

8- تعريف الزرقاني 13

9- تعريف عبد الفلتاح القاضي..... 13

10- تعريف محمد سالم محيسن..... 13

خلاصة 14
تعريف القراءات باعتبار الفن.....15
المبحث الثاني: أقسام القراءات القرآنية 16
- المطلب الأول : أركان القراءة الصحيحة والشاذة.....16
أولا : أركان القراءة الصحيحة 17
الركن الأول : صحة السند وتواتره 18
الركن الثاني : موافقة رسم المصحف العثماني ولو احتمال.22
الركن الثالث : موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية 24
ثانيا : القراءة الشاذة :.....27
أولا : تعريفها لغة.....27
ثانيا : تعريفها اصطلاحا.....28
- المطلب الثاني : أقسام القراءات 32
1- تقسيم ابن جني 32
2- تقسيم مكي بن أبي طالب.....33
3- تقسيم أبي شامة.....34
4- تقسيم السُّبكي.....35
5- تقسيم البُلقيني.....36
6- تقسيم ابن الجزري.....37
7- تقسيم السيوطي.....42
تحليل 44

الباب الأول: الأسلوب والقراءات القرآنية 48-75

تمهيد :.....48

أولا : مفهوم الأسلوب 48
أ . مفهوم الأسلوب لغة :.....48
ب. أصل كلمة أسلوب : 49
ج. مفهوم الأسلوب اصطلاحا :.....50
- تعريف ابن خلدون : 51
- تعريف ابن قتيبة : 53
- تعريف الخطابي 53
- تعريف الباقلاني : 54
- تعريف عبد القاهر الجرجاني 54
ثانيا : الأسلوب في الدراسات الحديثة : 56
أ . عند الدراسيين الغربيين : 56
ب.عند الدراسيين العرب : 61
1- مصطفى أمين 61
2- تعريف الشايب : 62
3- زهران البدراوي 62
4- أحمد أمين 63
5- محمد غُنَيْمِي هلال 63
6- حمادي صمود 63
7- عبد السلام المسدي 64
ثالثا : الأسلوب و الدراسات القرآنية : 66
معنى أسلوب القرآن : 66
رابعا : مفهوم الخبر و الإنشاء : 70
أ . مصطلح الخبر : 70
ب . مصطلح الإنشاء : 71

الفصل الأول :تغاير الأسلوب بين الإخبار والاستفهام في القراءات القرآنية 76-105

1- أن يؤتى..... من الآية 73 من سورة آل عمران 76

2- أئنكم .....من الآية 19 من سورة الأنعام.....78

3- آمنتم .....من الآية 123 من سورة الأعراف.....80

4- أئنك.....من الآية 89 من سورة يوسف.....83

5- أصطفى..... من الآية 154 من سورة.الصافات.....86

6- أئذا .. أئنا.....من الآية 5 من سورة الرعد.....91

7- شهادة الله.....من الآية 106 من سورة المائدة.....95

8- السحر.....من الآية 81 من سورة يونس.....97

9- أعجمي.....من الآية 44 من سورة فصّلت.....101

10- من فرعون..... من الآية30 من سورة الدخان.....103

الفصل الثاني: تغاير الأسلوب بين الإخبار والأمر في القراءات القرآنية .106-123

1- الحمد .... الآية 2 من سورة الفاتحة.....106

2- يؤمنوا ..ويجاهدوا ... الآية 10،و11 من سورة الصف.....108

3- وليقولوا .. وليتمتّعوا... الآية 105 من سورة الأنعام 111

4-فاستبقوا ..... الآية 66 من سورة يس.....114

5- اتخذوا..... الآية 125 من سورة البقرة.....117

6- قال ..... الآية 4 من سورة الأنبياء.....119

7- ربنا باعد .... الآية 18،و19 من سورةسبأ.....121

الفصل الثالث : تغاير الأسلوب بين الإخبار و النهي في القراءات القرآنية 124-135

1- لا تعبدون ..... من الآية 83 من سورة البقرة 124
2- لا يسرف .....من الآية 33 من سورة الإسراء.....127
3- يخاف .....من الآية 112 من سورة طه،و الآية 13 من سورة الجن.131
4- تُسأل ....من الآية 119 من سورة البقرة.....133

الباب الثاني : الأداء في الدراسات الصوتية مع تطبيقات في القرآن قراءاته. 137-145

تمهيد : تعريف الأداء لغة 137
تعريف الأداء اصطلاحا.....141
تعريف الكفاءة.....143
علاقة الأداء بالتنغيم و النبر.....144

الفصل الأول : : النبر والتنغيم في الدراسات الصوتية. **147-178**

أولا : أهمية أعضاء النطق في ظاهرتي النبر و التنغيم :.....147
أ. الوتران الصوتيان 147
ب. الخيشوم 148
ج. الحنجرة :.....149
ثانيا : أهمية الصوت اللغوي في دراسة ظاهرتي النبر و التنغيم :.....150
أ. أصوات اللين 152
ب. أصوات اللين المركبة : 160
ج. أصوات أشباه اللين : 162

ثالثا : أهمية الظواهر الصوتية الفيزيائية في تحقيق النبر و التنغيم :.....164
أ. الإطالة 164
ب. مراتب الطول : 165
أولا:المدالطبيعي:.....165
1- الأصوات الخيشومية :.....165
2- الأصوات الجانبية (المنحرفة) :.....165
3- الأصوات الشديدة :.....165
4- الأصوات المقلقلة :.....166
ثانيا : المد المكتسب : 166
1- المقطع المنبور.....166
2- الهمز :.....166
3- الإدغام : 167
ج. الحـــــدة : 167
رابعا : أهمية الائتلاف الصوتي في تحقيق النبر و التنغيم :.....168
خامسا : أهمية المقطع الصوتي في الدراسات الفونـــولوجية.....169
1. أهمية المقطع الصوتي في دراسة النبر و التنغيم 169
2. مفهوم المقطع عند العرب 171
3. أنواع النسيج المقطعي في اللغة العربية 173
4. محاذير النظام المقطعي 177

الفصل الثاني : التنغيم والأداء في القرآن وقراءاته.....179-207

أولا : تعريف التنغيم 180

أ . لغة 180

ب . اصطلاحا 180

ثانيا : التنغيم لدى علماء التجويد.....185

أ . إدراك التنغيم لدى علماء التجويد 185

ب . إدراك علماء التجويد الجانب الوظيفي للتنغيم 190

ج. علاقة الوقف بالتنغيم 191

ثالثا : التنغيم لدى النحاة 195

أ . إدراك النحاة لمفهوم التنغيم 196

ب . مؤشرات فهم التنغيم وظيفيا لدى النحاة.....201

ج . مطل الحركات 205

الفصل الثالث : النبر والأداء في القرآن وقراءاته.....208-230

أولا : مفهوم النبر.....209

أ . تعريف النبر 209

أ.1- لغة.....209

أ.2- اصطلاحا..... 210

ب.أنواع النبر عند القدامى.....213

ب-1. النبر الهمزي.....213

ب-2. النبر الموسيقي.....214

ج. علاقة الهمز بمواطن النبر.....215
ثانيا : النبر عند المحدثين.....216
النوع الأول : النبر اللغوي 217
النوع الثاني : النبر الشعري 219
-النبر في القرآن و قراءاته 221
-العلاقة بين النبر اللغوي و الشعري.....221
النوع الثالث : النبر البنيوي 225

الباب الثالث :الدراسة التطبيقية الأداء والأسلوب في القرآن وقراءته 231-299

أولا : التعريف بالمحلل الصوتي 233
ثانيا : دراسة الأمثلة التطبيقية.....241
1-﴿ إنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى . . . ﴾ 243
2- قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ 251
3- قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ 255
4- وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ 259
5- أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا 263
6- وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ . 267
7- وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ 271
8- هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ 275
9- وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ 280
10- ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا 284
11- يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ 287

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ
12- عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ 290
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

الخاتمة.....300

فهرست الآيات القرآنية 308

فهرست المصادر والمراجع.....314

فهرست الموضوعات.....337